

بيع من السلسلة أكثر من 66 مليون نسخة وترجمت إلى 31 لغة

حروب القطط

الجزء الرابع

ثورة العاصفة

إيرين هانتر

ERIN HUNTER

الأكثر مبيعاً على لائحة نيويورك تايمز



الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.

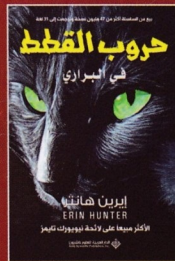
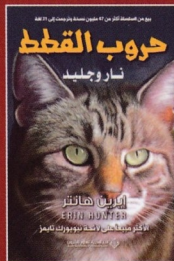


تمت هزيمة عدو قلب النار الخائن، النمر الشرس
ونُفي من عشيرة الرعد. غير أن قلب النار ظل
يشعر أن الهر الشرس يترصّ في الغابة، بانتظار
فرصته للهجوم.

ليست هذه المشكلة الوحيدة التي تواجه المحارب
الشاب في أشهر الصيف الملتهبة تلك، وهو يكافح
مع النبوءات المشؤومة، ومبتدئ يخفي سرّاً
صامداً، وزعيمة عشيرة محطمة لم تعد تشبه
بشيء الزعيمة التي عرفها.

في تلك الأثناء، تلهب الحرارة الغابة... ويستعدّ
الجميع لمواجهة العاصفة القادمة ...

صدر من هذه السلسلة



telegram @yasmmeenbook



جميع كتبنا متوفرة على الإنترنت
في مكتبة نيل وفرات، كوم
www.nwf.com

الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.
www.asp.com.lb - www.aspbooks.com



حروب القطط

ثورة العاصفة

RISING STORM

إيرين هانتر

ERIN HUNTER

ترجمة

زينة إدريس

مراجعة وتحرير

مركز التعريب والبرمجة



telegram @
yasmeenbook

الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc. S.A.L

يتضمن هذا الكتاب ترجمة الأصل الإنكليزي

RISING STORM

حقوق الترجمة العربية مرخص بها قانونياً من الناشر

WORKING PARTNERS LIMITED

بمقتضى الاتفاق الخطي الموقع بينه وبين الدار العربية للعلوم ناشرون، ش.م.ل.

Copyright © 2004 by Working Partners Limited

Map art © 2015 by Dave Stevenson

Interior art © 2015 by Owen Richardson

All rights reserved

Arabic Copyright © 2023 by Arab Scientific Publishers, Inc. S.A.L

الطبعة الأولى: كانون الثاني/يناير 2024 م - 1445 هـ

ردمك 978-614-01-3696-0

الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.



جميع الحقوق محفوظة

إصدار

التوزيع في المملكة العربية السعودية
شركة الدار العربية للعلوم ناشرون للنشر
السجل التجاري 1010921463

الدار العربية للعلوم ناشرون م ح

مركز الأعمال، مدينة الشارقة للنشر

المنطقة الحرة، الشارقة

الإمارات العربية المتحدة

جوال: 0585597200 - 971 585597200 - داخلي: 0585597200

هاتف: 786233 - 785108 - 785107 (+961-1)

البريد الإلكتروني: asp@asp.com.lb

الموقع على شبكة الإنترنت: http://www.asp.com.lb



telegram @
yasmineenbook

telegram @yasmineenbook

قال الكفّ الأترب بحدّة: «أنت على أرضنا»، ولمعت عيناه بغضب وهو يحدّق إلى قلب النّار.

فكّر قلب النّار بياس، أين نجمة الصّباح؟ عرف من الزمجرة الصّادرة من جانبه أنّها عادت من أجله. فاسترق نظرة ليرى نجمة الصّباح واقفة عند أطراف أجمة رثم، رأسها مرفوع وعيناها تشتعلان غضباً. «نحن مسافرون إلى الأحجار العالية. لقد منحتنا عشيرة النّجوم ممراً آمناً، ولا يحقّ لكم إيقافنا!».

أجاب الكفّ الأترب من دون أن يرفّ له جفن: «لقد تنازلتم عن حقّكم في التمتع بحماية عشيرة النّجوم عندما ضمتم الذّيل النّمروذ إلى عشيرتكم!».

حدّق قلب النّار إلى عيني الكفّ الأترب وهما تلمعان بشراسة وقال: «لقد مات الذّيل النّمروذ».

ومضت عينا الكفّ الأترب متسائلًا: «هل قتلتموه؟».

تردّد قلب النّار، بينما صدرت زمجرة تهديد عن نجمة الصّباح الواقفة بجانبه. «بالطبع لم نقتله، فقطط عشيرة الرّعد ليسوا قتلة».

ردّ الكفّ الأترب بحدّة: «كلّا، بل تحمون القتلة وحسب!»، وهنا، قوّس محارب عشيرة الرّيح ظهره بعدوانية. فما كان من نجمة الصّباح إلّا أن هسّت قائلة: «ستسمحون لنا بالمرور!». تجمّد قلب النّار عندما رأى زعيمته تكشف عن مخالبتها، فيما انتصب وبرها استعداداً للهجوم.

إلى دنيز - هذا أقرب ما يكون إلى الأغنية.

عشائر الغابة

عشيرة الرّعد

الزعيمة نجمة الصّباح - هرّة ذات فراء رمادي مائل إلى الزرقة

مشوب بلون فضّي حول خطمها.

النائب قلب النّار - هرّ أشقر وسيم.

تلميذه، بسّ الغمام

الهرة المداوية جمرة - هرّة عجوز ذات لون رمادي داكن ووجه عريض

ومسطّح، كانت تنتمي سابقاً إلى عشيرة الظّلال.

تلميذتها، فراء الرّماد - هرّة ذات لون رمادي داكن.

المحاربون (هررة ذكور وهرر إناث بلا صغار)

الرّعب الأبيض - هرّ أبيض كبير.

تلميذته، بسّة زاهية

التمرّ الأسود - هرّ ذو فراء أملس مخطّط باللونين الأسود والرّمادي.

تلميذته، بسّة الرّيش

التمرّ الذّيال - هرّ فاتح اللون مخطّط بالأسود.

تلميذه، بسّ رشيق.

البرق الخاطف - هرّ مخطّط يمتاز بسرّعه.

الفأرة السّمراء - هرّة سمراء صغيرة الحجم.

تلميذها، بسّ الشّوك

الفراء الأشقر - هرّ مخطّط باللونين البني والذهبي

الفراء الأغبر - هرّ مخطّط بني داكن

تلميذه، بسّ أرقش

عاصفة الرّمال - هرّة شقراء فاتحة اللون

(هررة تجاوزوا الشهر السادس من العمر، يتدربون

ليصبحوا محاربين)

بسّ رشيق - هرّ أبيض وأسود.

بسّ الغمام - هرّ أبيض طويل الوبر.

بسّة زاهية - هرّة بيضاء مع بقع شقراء.

بسّ الشّوك - هرّ بني ذهبي

بسّة الرّيش - هرّة رمادية فاتحة اللون مع بقع أغمق لوناً

وعينين خضراوين فاتحتين

بسّ أرقش - هرّ رمادي فاتح اللون مع بقع أغمق لوناً

وعينين كحليّتين

(هرر تنتظر صغاراً أو تربيتها)

بياض الثلج - هرّة جميلة ذات فراء أبيض وعينين

زرقاوين.

عين الزّمرد - هرّة مخطّطة جميلة.

زهرة الذهب - هرّة شقراء فاتحة اللون.

النّمرّة الشّقراء - هرّة شقراء مخطّطة، وأكبر الإناث

الحضانة سنّاً.

غصن الصّفصاف - هرّة ذات لون رمادي فاتح جداً

وعينين شديديّتي الزرقة.

(إناث ومحاربون سابقون متقاعدون حالياً)

المبتدئون

إناث الحضانة

القطط المسنّة

الذَّيْلُ الْأَبْتَرُ - هَرَّ مَخْطَطٌ كَبِيرُ الْحَجْمِ ذُو فَرَاءٍ بَنَى دَاكِنٌ خَسِرَ جِزْءًا مِنْ ذَيْلِهِ.

شَمْشُومٌ - هَرَّ رِمَادِي يَمْلِكُ أُذُنَيْنِ صَغِيرَتَيْنِ جَدًّا وَهُوَ أَكْبَرُ هَرٍّ فِي عَشِيرَةِ الرَّعْدِ.

كَشْكُولٌ - هَرَّ صَغِيرٌ أَبْيَضٌ وَأَسْوَدُ اللَّوْنِ.

عُورَاءٌ - هَرَّةٌ ذَاتُ لَوْنٍ رِمَادِي فَاتِحٍ، وَهِيَ أَكْبَرُ هَرَّةٍ فِي عَشِيرَةِ الرَّعْدِ. شَبِهَ عَمِيَاءَ وَصَمَاءَ.

فَرَاءُ الْكَسْتَنَاءِ - هَرَّةٌ بَنِيَّةٌ كَانَتْ جَمِيلَةً فِي شَبَابِهَا، ذَاتُ فَرَاءٍ مَرْقَطٍ نَاعِمٍ.

عَشِيرَةُ الظَّلَالِ

نَجْمُ اللَّيْلِ - هَرَّ أَسْوَدُ عَجُوزٍ.

الْفَرَاءُ الْأَفْحَمُ - هَرَّ رِمَادِي هَزِيلٍ.

شُرْشُورٌ - هَرَّ صَغِيرُ الْحَجْمِ رِمَادِي وَأَبْيَضٌ.

الذَّيْلُ الْقَصِيرُ - هَرَّ بَنَى مَخْطَطٌ.

تَلْمِيذُهُ، بَسَّ بَنَى.

كَفَّ تَشْتُوشٌ - هَرَّ رِمَادِي مَخْطَطٌ.

تَلْمِيذُهُ، بَسَّ سَنْدِيَانٌ.

النَّمْرُ الصَّغِيرُ - هَرَّ مَخْطَطٌ صَغِيرُ الْحَجْمِ جَدًّا.

الطُّوقُ الْأَبْيَضُ - هَرَّ أَسْوَدُ ذُو صَدْرٍ وَأَكْفَ بَيَاضًا

سَحَابَةُ الْفَجْرِ - هَرَّةٌ مَخْطُطَةٌ صَغِيرَةٌ.

الزَّهْرَةُ السُّودَاءُ - هَرَّةٌ سُّودَاءُ.

زَهْرَةُ الْأَقْحَوَانِ - هَرَّةٌ عَسَلِيَّةُ اللَّوْنِ مَخْطُطَةٌ وَذَاتُ قَوَائِمٍ طَوِيلَةٍ.

الزَّعِيمُ

النَّائِبُ

الْهَرَّ الْمَدَاوِي

الْمَحَارِبُونَ

إِنَاثُ الْحَضَانَةِ

عشيرة الرّياح

الزّعيم	النّجم المذنب - هرّ أسود وأبيض ذو ذيل طويل جدّاً.
النائب	الكفّ الأعرج - هرّ أسود ذو كفّ ملتوٍ.
الهزّ المداوي	فراء البندق - هرّ بني قصير الذّيل.
المحاربون	الكفّ الأترب - هرّ بني داكن مرقط.

تلميذه، بسّ أرمد.

النمر الأشرم - هرّ مخطّط.

تلميذته، بسّة شعلة

النمر الوحيد - هرّ بني مخطّط.

تلميذته، البسّة البيضاء.

غدير - هرّة رمادية فاتحة اللون ومخطّطة

سحابة الرّماد - هرّة رمادية.

زهرة الصّباح - هرّة ذات بقع بيّنة داكنة وفاتحة.

إناث الحضانة

عشيرة النّهر

الزّعيم	النّجم الأعوج - هرّ مخطّط ضخّم وفاتح اللون ذو فكّ أعوج.
النائب	فراء الفهد - هرّة مخطّطة ومرقّطة بلون ذهبي نادر.
الهزّ المداوي	فراء الوحل - هرّ بني فاتح طويل الفراء.
المحاربون	سواد اللّيل - هرّ أسود داكن.

تلميذه، بسّ بليد.

قلب الصّوّان - هرّ رمادي أذناه تحملان ندوب المعارك.

تلميذته، بسّة الظّلام.

كركور - هرّ بني داكن.

التمر الرمادي - هرّ رمادي طويل الفراء، هرّ سابق في
عشيرة الرّعد.

سحابة الضباب - هرّة رمادية داكنة

إناث الحضانة

فراء الثرى - هرّة بنية

ظلماء - هرّة رمادية نحيلة ذات فراء غير مكتمل وندوب
على خطمها

القطط المسنة

قطط من خارج العشائر

بربر - هرّ أبيض وأسود يعيش في مزرعة قريبة من الغابة.

الكفّ الأسود - هرّ أبيض كبير أكفّه سوداء كالفحم، كان
نائب عشيرة الظلال سابقاً.

جلمود - هرّ فضي مخطّط، وعضو سابق في عشيرة
الظلال.

أميرة - هرّة مخطّطة عسلية اللون ذات صدر أبيض وأكفّ
بيضاء - بسبوسة أليفة.

بسّ أدهم - هرّ أسود أملس يعيش في المزرعة مع بربر.

زعتر - هرّ صغير أبيض وأسود، ممتلئ الجسم وودود،
يعيش في منزل عند أطراف الغابة - بسبوس أليف.

التمر الشرس - هرّ ضخّم مخطّط ذو لون بني داكن
ومخالب أمامية طويلة جداً، عضو سابق في عشيرة الرّعد.

رموز

الخارطة



غابات فضفية



مستنقعات



مستنقعات



مستنقعات وصخور



مستنقعات للزراعة



مستنقعات



تشيلفورد

غابة تشيلفورد

طاحونة تشيلفورد

غابات واينهارت

طريق ويندوفر

موقع إعادة التشجير في
نورت اليندوفر

نهر تشيل

أساس الشيطان (قطع
حجارة مهجورة)

دريد

غور

دريد

صفحة

مستنقعات ويندوفر

مزرعة ويندوفر

مخيم مزرعة
مورغان

مزرعة
مورغان

طريق مورغان

البلد من وجهة نظر توري السام



الشمال

عشيرة النجوم



عشيرة الرياح



عشيرة الخلال



عشيرة النهر



عشيرة الرعد



العشائر

رموز

المنطقة ذوى الساقين

غابة الصنوبر

القرور
الرملي

صدور الأفاعى

الجيرة
الخطيرة

مخيم
عشيرة
الرعد

شجرة اليوم

درب الرعد

مخيم
عشيرة
الخلال

منطقة الجيف

منطقة الأشجار الخفيفة

مخيم
عشيرة
النهر

المخيم
المشمسة

النهر

الشلالات

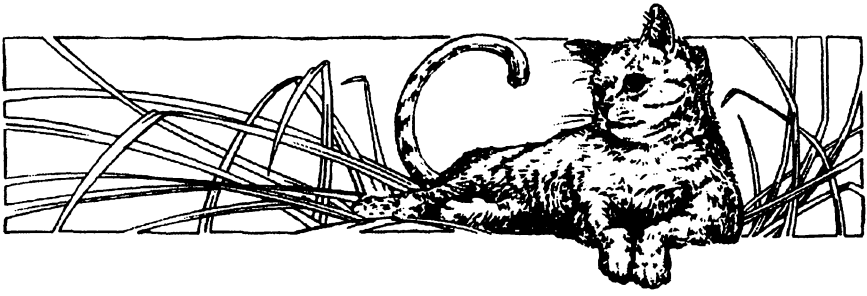
الأشجار
الأربع

مخيم
عشيرة
الرياح

مرزقة
بربر

الأحجار
العالية





telegram @
yasmeenbook

مقدمة



تردد صدى أنين في أرجاء فسحة في الغابة أنارها ضوء القمر. جثم هزان في الظل تحت إحدى الشجيرات عند أطراف الفسحة، وراح أحدهما يتلوّى الماء، ويضرب على الأرض بذيله الطويل. رفع الهز الآخر نفسه على أكفّه وخفض رأسه. كان هزاً مداوياً منذ أشهر طويلة، ومع ذلك لم يكن بيده حيلة سوى مشاهدة زعيم عشيرته وهو يُهزم في معركته مع المرض الذي خطف أرواحاً عديدة حتى الآن. فهو لا يعرف عشباً من شأنها أن تخفف من هذه التشنجات والحمى. انتصب فراؤه الرمادي المرقط بإحباط عندما تشنّج الزعيم مجدداً، ثم سقط منهكاً على فراش من الطحالب. فانحنى الهز المداوي إلى الأمام وقد استبدّ به الخوف، وراح يشتمّه. كان الزعيم ما زال يتنفس، لكن نفسه ضعيف وكريه الرائحة، بينما ارتفعت خاصرته الهزيلة مع كلّ شهقة.

مزقت صرخة صمت الغابة، ولم يكن هذه المرة صوت هز، بل زعيق بومة. فتصلّب الهز المداوي في مكانه. يجلب البوم الموت إلى الغابة، إذ يسرق الفرائس، وحتى الصغار الذين شردوا بعيداً عن أمهاتهم. فما كان من الهز المداوي إلّا أن رفع عينيه المتوسّلتين إلى السماء، وراح يدعو أرواح أجداده المحاربين ألا تكون البومة نذير شؤم. حدّق

من خلال الأغصان التي امتدّت كالسقف فوق الوكر، وبحث عن الفراء الفضّي في سماء الليل المظلمة. غير أنّ النّجوم المتلاثلة التي تعيش فيها عشيرة النّجوم اختفت خلف السُّحب، فارتجف الهزّ المداوي خوفاً. هل تخلّى عنهم الأجداد المحاربون وتركوهم لمصيرهم في مواجهة المرض الذي يجتاح المخيم؟

فجأة، حرّكت الرياح الأشجار، وصدر حفيف عن الأوراق اليابسة. في الأعلى، تنحّت السّحب وأرسلت نجمةً وحيدة شعاعاً ضعيفاً من الضّوء عبر سقف الوكر. في الظّل، أخذ الزّعيم نفساً طويلاً وثابتاً. فوثب الأمل في قلب الهزّ المداوي كالسمكة، وقد أدرك أنّ عشيرة النّجوم كانت معهم على الزّغم من كلّ شيء.

تنفّس الهزّ المداوي الضّعفاء، ورفع ذقنه منهكاً ليشر بصمت أجداده المحاربين على إنقاذ حياة زعيمه. وبينما كان يزمّ عينيه باتجاه شعاع النّجوم، سمع أصواتاً تتمم عميقاً في رأسه. راحت تهمس بالمعارك العظيمة القادمة، والأراضي الجديدة، وتحكي عن عشيرة أعظم شأنًا تنهض من رماد العشيرة القديمة. شعر الهزّ المداوي بفرح يغمر صدره وينبض في أكفّه. لقد حمل هذا النّجم أكثر من مجرد رسالة نجاة.

فجأة، ومن دون سابق إنذار، اخترق جناح رماديّ عريض شعاع ضوء النّجوم، مغرقاً الوكر في الظلام. فانكمش الهزّ المداوي إلى الخلف، وضغط بطنه على الأرض، بينما زعقت البومة بصوت عالٍ، وراحت تخذش سقف الوكر بمخالبها. لا بدّ أنّها اشتمّت رائحة المرض الذي أضعف الزّعيم، وأتت تحوم بحثاً عن فريسة سهلة. غير أنّ الأغصان كانت كثيفة للغاية بحيث لم تستطع البومة اختراقها.

أصغى الهزّ المداوي إلى رفرفة جناحي البومة وهي تبتعد ببطء في سماء الغابة، ثم جلس وقلبه ينبض بعنف، وراح يتأمل سماء الليل مجدداً. كان النجم قد اختفى، شأنه شأن البومة، وحلّ مكانه الظلام. فذبّ الرّعب في فراء الهزّ المداوي وانقبض قلبه.

صاح هزّ من مدخل الوكر بنبرة عالية مشوبة بالذعر: «هل سمعت ذلك؟». خرج الهزّ المداوي بسرعة إلى الفسحة، وقد عرف أنّ العشيرة تنتظر تفسيراً لهذا النّذير. احتشد المحاربون وإناث الحضانة والمسنّون - ممّن يتمتّعون بصحّة جيّدة بما فيه الكفاية للانتقال من فراشهم - في الظلال على الجانب الآخر من الفسحة. فتوقّف الهزّ المداوي للحظة، مصغياً إلى همسات العشيرة المشوبة بالقلق.

هسّ محاربٌ مرّقط وعيناه تلمعان في الظلام: «ماذا تفعل البومة هنا؟».

صاح هزّ مسنّ: «لم يقترب البوم يوماً من المخيم».

سأل محارب آخر وهو يدير رأسه العريض إلى هزّ يقف بجانبه: «هل اختطفّت أحداً من الصّغار؟».

أجابت الهزّة الفضّية الأمّ: «ليس هذه المزمّة». كانت قد خسرت ثلاثة من صغارها بسبب المرض، وبدا صوتها مثقلاً بالحزن. «لكنّها عائدة لا محالة، فقد اشتّمت ضعفنا».

«ظننّ أنّ رائحة الموت التّينة ستبقيها بمنأى عنّا». عرج محارب مخطّط إلى الفسحة بأكفّه الملطّخة بالطّين وفرائه الأشعث. كان يدفن أحد أبناء عشيرته، وكان عليه حفر مزيد من القبور، لكنّه لم يعد يقوى على ذلك في تلك اللّيلة. سأل بصوت وثره الخوف: «كيف حال زعيمنا؟».

أجاب الهَرّ المرقط: «لا ندري».

أنت الهَرّة الأمّ قائلة: «أين الهَرّ المداوي؟».

جالت أنظارهم في أرجاء الفسحة، ورأى الهَرّ المداوي الخوف في أعينهم اللامعة في الظلام. سمع أيضاً الذعر المتصاعد في أصواتهم، وأدرك أنهم بحاجة إلى التهذئة والاطمئنان إلى أن عشيرة النجوم لم تتخل عنهم تماماً. فأخذ نفساً عميقاً، وبذل جهده لبسط فرائه على كتفيه، ثم تقدّم عبر الفسحة.

قال هرّ مسنّ، والخوف بادٍ في عينيه: «لسنا بحاجة إلى الهَرّ المداوي ليخبرنا أن زعيق البومة نذيرٌ موت».

قال المحارب المرقط بحدّة: «وكيف عرفت؟».

أردفت الهَرّة وهي تنظر إلى الهَرّ المسنّ: «صحيح، فعشيرة النجوم لا تتحدّث إليك!». استدارت عندما وصل الهَرّ المداوي إليهم، وماءت بقلق: «هل كانت البومة نذير شؤم؟».

حرّك الهَرّ المداوي أكفّه بعدم ارتياح، وتجنّب الردّ المباشر. أعلن قائلاً: «لقد تحدّثت عشيرة النجوم معي هذه الليلة. هل رأيتم النجم الساطع بين الغيوم؟».

هزّت الهَرّة الأمّ رأسها، بينما ومضت أعين بقية القطط حولها بأمل يائس. سأل الهَرّ المسنّ: «وما معناه؟».

وسأل المحارب المخطّط: «هل سيعيش زعيمنا؟».

تردّد الهَرّ المداوي في الردّ.

صاحت الهَرّة الأمّ قائلة: «يستحيل أن يموت الآن! ماذا عن أرواحه التسعة التي منحته إياها عشيرة النجوم منذ ستّة أشهر وحسب!».

أجاب الهَرّ المداوي: «ليس بإمكان عشيرة النجوم أن تمنح قوّة غير

محدودة، لكنّ أجدادنا لم ينسونا». تابع محاولاً إبعاد صورة جناح البومة الأسود الذي حجب شعاع الضوء الرقيق: «فقد جلب النجم بارقة أمل». انطلق أنين عالٍ من زاوية معتمة من المخيم، فقفزت هرة أم بنية وهرعت باتجاه الصّوت. أما الآخرون، فواصلوا التحديق إلى الهَرّ المداوي بنظرات متوسّلة.

سأل محارب شاب: «هل تحدّثت عشيرة النّجوم عن المطر؟ لقد مرّ وقت طويل منذ أن هطلت الأمطار، وربّما تنظّف المخيم من المرض». هزّ الهَرّ المداوي رأسه قائلاً: «ليس عن المطر، بل عن فجر جديد وعظيم ينتظر عشيرتنا. في ذاك الشّعاع من الضوء، أراني أجدادي المحاربون المستقبل المجيد الذي ينتظرنّا!». مائت الهرة الفضية: «هل سننجو إذًا؟».

بشّره الهَرّ المداوي قائلاً: «لا بل أكثر من ذلك، سنحكم الغابة بأكملها!».

سرت خرخرة ارتياح بين القطط، ولم تكن هذه الخرخرة قد سُمعت في المخيم منذ ما يقارب الشّهر. غير أنّ الهَرّ المداوي أدار رأسه بعيداً لإخفاء شاربيه المرتعشين، متمنياً ألاّ تسأل العشيرة مجدداً عن البومة. ولم يجرؤ على إطلاعهم على الإنذار المخيف الذي أرسلته عشيرة النّجوم عندما حجب جناح الطائر النجم - أنّ العشيرة ستدفع أغلى الأثمان مقابل فجرها الجديد العظيم.



الفصل 1



تخلّلت أشعة الشّمس الدافئة مظلة أوراق الشّجر، وتراقصت على فراء قلب النّار. فانحنى إلى الأسفل، مدركاً أنّ فراءه سيبدو كوهج كهرمانيّ بين الشّجيرات الخضراء المورقة.

تسلّل تحت نبتة الخنشار، خطوة تلو الأخرى. كان يشتم رائحة حمام، فتحرّك ببطء باتجاه الرائحة الشّهية، إلى أن لمح الطائر السمين ينقر الأرض بين أغصان الخنشار.

أخرج قلب النّار مخالبه وشعر بوخز الترقّب في أكفّه. كان يتضوّر جوعاً بعد أن قاد دوريّة الفجر وانشغل بالصّيد طوال فترة الصّباح. فهذا موسم الذّروة بالنّسبة إلى الفرائس، وهو وقت تسمن فيه العشيرة بفضل خيرات الغابة. ومع أنّ الأمطار كانت شحيحة منذ فيضانات فصل الزّهر، إلّا أنّ الغابة ظلّت وافرة بالطّعام. وبعد تخزين كدسة الطرائد الطازجة في المخيم، حان الوقت لكي يصطاد لنفسه. فتوتّرت عضلاته استعداداً للانقضاض.

فجأة، حمل النّسيم الجاف رائحة أخرى. ففتح قلب النّار فمه، وأمال رأسه جانباً. ولا بدّ أنّ الحمامة اشتمت الرائحة هي الأخرى، لأنّها رفعت رأسها وهمت بفتح جناحيها، غير أنّ الألوان كان قد فات.

إذ اندفعت كتلة من الفراء الأبيض من تحت نبات العَلِيق، وحدّق قلب
النّار مذهباً إلى الهَرّ وهو ينقضّ على الطّائر المرعوب، ويثبته على
الأرض بكفّيه الأماميتين، قبل أن يُجهز عليه بعضّة سريعة على عنقه.
اجتاحت رائحة الفريسة الطازجة الشهيّة أنف قلب النّار. فوقف
وخرج من تحت الشّجيرات إلى الهَرّ الأبيض ذي الوبر المنفوش. ماء
قائلاً: «أحسنّت يا بسّ الغمام. لم أرك قادماً إلّا بعد فوات الأوّان».
صاح بسّ الغمام وهو يرفع ذيله بعجرفة: «ولا هذا الطّائر الغبيّ
رأني».

شعر قلب النّار بتوتّر في كتفيه. كان بسّ الغمام تلميذه وكذلك ابن
أخته، وتقع على عاتقه مسؤوليّة تعليمه مهارات محاربي العشيرة وكيفيّة
احترام قانون المحاربين. كان الهَرّ الشّاب بلا شكّ صياداً بارعاً، لكنّ
قلب النّار تمنّى لو يتحلّى بشيء من التّواضع. وغالباً ما كان يتساءل في
أعماقه عمّا إذا كان بسّ الغمام سيفهم يوماً أهميّة قانون المحاربين القائم
على عادات وطقوس قديمة العهد تمّ تناقلها عبر أجيال من قطط الغابة.
غير أنّ بسّ الغمام ولد في منزل لذوي السّاقين، من بسبوسة أليفة
تدعى أميرة، شقيقة قلب النّار الذي أحضره إلى عشيرة الرّعد وهو لا
يزال بسبوساً صغيراً. وقد عرف من تجربته المريعة أنّ قطط العشائر لا
تحترم البسايبس الأليفة. فقد عاش قلب النّار الأشهر الستّة الأولى من
حياته مع ذوي السّاقين، ولم يدعه بعض أبناء عشيرته ينسى قطّ حقيقة
أنّه لم يولد في الغابة. نفّض أذنيه بنفاد صبر. كان يعلم أنّه بذل كلّ ما
في وسعه لإثبات ولائه للعشيرة، لكنّ تلميذه العنيد كان مسألة أخرى.
وإذا ما أراد بسّ الغمام أن يكسب أيّ تعاطف من أبناء عشيرته، فعليه
أن يتخلّى عن غطرسته.

أشار قلب النار قائلاً: «من حسن حظك أنك تتحلّى بالسرعة. فقد كنتَ تقف بعكس اتجاه الرياح، لذلك استطعتُ أن أشتّم رائحتك، حتّى لو لم أتمكن من رؤيتك. وكذلك الأمر بالنسبة إلى الطائر».

انتصب فراء بسّ الغمام الطويل الأبيض، وتراجع إلى الخلف قائلاً: «أعلم أنني كنت أقف بعكس اتجاه الرياح، لكنني عرفت أنه لن يكون من الصعب عليّ اصطياد هذه اليمامة الغبيّة، سواء اشتّمت رائحتي أم لا». حدّق الهرّ الصّغير بتحدّ إلى عينيّ قلب النار، فشعر هذا الأخير أنّ انزعاجه يتحوّل إلى غضب. قال بحدّة: «هذه حمامة وليست يمامة! وعلى المحارب الحقيقي أن يُظهر احتراماً أكبر للفريسة التي تغذي عشيرته».

أجاب بسّ الغمام: «هذا صحيح! مع أنني لم أر بسّ الشوك يُظهر احتراماً كبيراً لذلك السّنجاب الذي جرّه إلى المخيمّ أمس. قال عنه إنّّه كان غيبياً جدّاً، حتّى إنّ بسبوساً يمكنه اصطياده».

زمجر قلب النار: «بسّ الشوك مجرّد مبتدئ وما زال عليه تعلّم الكثير، شأنك أنت».

تذمّر بسّ الغمام وهو يدفع الحمامة بعناد. «حسنّاً، لقد أمسكتُ بها، ألم أفعل؟».

«ثمّة ما هو أهمّ من اصطياد الحمام لكي تصبح محارباً!». ردّ بسّ الغمام بحدّة: «أنا أسرع من بسّة زاهية وأقوى من بسّ الشوك، فماذا تريد بعد؟».

«يعرف زملاؤك في الوكر أنّ المحارب لا يهاجم أبداً والريح من ورائه!». كان قلب النار يعي أهمية عدم الانجرار إلى جدال، لكنّ عناد تلميذه أثار حنقه، تماماً مثل قرادة على أذنه.

رفع بسّ الغمام صوته في مواء غاضب: «وما المشكلة في ذلك؟ ربّما كنتَ تقفَ باتّجاه الرّيح مثلما يفعل محارب بارع، لكن أنا من اصطدّت الحمامة أولاً!».

هسّ قلب النّار، وقد انصرف انتباهه عنه فجأة: «اصمّت». رفع رأسه واشتّم الهواء. بدت الغابة صامتة على نحو غريب، فيما تردّد صدى مواء بسّ الغمام عالياً جداً عبر الأشجار. نظر بسّ الغمام حوله متسائلاً: «ما الأمر؟ أنا لا أشتّم شيئاً». اعترف قلب النّار قائلاً: «ولا أنا». «ما الذي يقلّقلك إذاً؟».

أجاب قلب النّار بصراحة: «النّمر الشّرس». كان المحارب الدّاكن يلاحقه في أحلامه منذ أن طردته نجمة الصّباح من العشيرة قبل ربع قمر. فقد حاول النّمر الشّرس قتل زعيمة عشيرة الرّعد، لكنّ قلب النّار منعه وفضح خيانتته التي أخفاها طويلاً، وذلك أمام العشيرة بأكملها. ومنذ ذلك الحين، لم يظهر أيّ أثر للنّمر الشّرس، لكنّ قلب النّار شعر الآن بالخوف يُنشِب مخالبه الجليدية في قلبه وهو يصغي إلى سكون الغابة. فقد شعر أنّها تصغي هي الأخرى، حابسة أنفاسها، إلى صدى كلمات النّمر الشّرس الأخيرة التي ظلّت تتردّد في ذهن قلب النّار: إنّك أن تغمض عينيك يا قلب النّار. أبقى أذنيك مرفوعتين، وانظر خلفك دوماً، لأنّني سأجذّك يوماً ما، وحينئذٍ، سأجعلك طعاماً للغربان.

كسر مواء بسّ الغمام الصّمت، إذ قال ساخراً: «ماذا سيفعل النّمر الشّرس هنا بعد أن نفّته نجمة الصّباح من العشيرة؟!».

وافقه قلب النّار قائلاً: «أنا أعلم، ووحدها عشيرة النّجوم تعرف المكان الذي ذهب إليه. لكنّ النّمر الشّرس أكّد أنّه سيعود!».

«أنا لا أخشى ذلك الخائن».

هسّ قلب النّار: «بل عليك أن تخشاه! فالنّمر الشّرس يعرف هذه الغابة ويعرف كلّ هزّ في عشيرة الرّعد. ولن يتردّد في تمزيقك إرباً إذا سنحت له الفرصة».

شخر بسّ الغمام ساخراً ودار حول صيده بنفاد صبر. «لم تعد مسلّياً منذ أن عيّنتك نجمة الصّباح نائباً. وأنا لن أتركك حولك إذا كنت ستضيع الصّباح في محاولة إخافتي بقصص قطط الحضانة. يفترض بي أن أصطاد لمسنيّ العشيرة». ثمّ انطلق بعيداً بين أغصان العليق، تاركاً الحمامة هائمة على الأرض.

صاح قلب النّار غاضباً: «عد إلى هنا يا بسّ الغمام!»، ثمّ هزّ رأسه متمتماً: «فليعثر النّمر الشّرس على هذا الأحمق!».

لوّح بذيله، والتقط الطائر ثمّ تساءل ما إذا كان يجدر به أخذه إلى المخيم بدلاً عن بسّ الغمام. غير أنّه تراجع قائلاً في نفسه، على المحارب أن يكون مسؤولاً عن صيده، ثمّ ألقي به في أجمة كثيفة من الأعشاب. مشى فوق الأجمة، وسوى السيّقان الخضراء لتغطية الطائر السمين، آملاً أن يرجع بسّ الغمام ويحمله مع بقية صيده إلى المسنين الجائعين. قال قلب النّار في نفسه، إن لم يحضره معه إلى المخيم، فليبق جائعاً إلى أن يفعل. فعلى تلميذه أن يتعلّم أنّه لا يجب تبديد الذبائح حتّى في فصل الحرّ.

ارتفعت الشّمس عالياً في السّماء، فألهبت الأرض بحرارتها وامتصّت الرّطوبة من أوراق الأشجار. رفع قلب النّار أذنيه. كانت الغابة لا تزال هادئة على نحو مخيف، كما لو أنّ مخلوقاتا مختبئة، بانتظار حلول المساء الذي يخفّف عنها عناء يوم آخر من الحرّ الحارق. أثار

السكون أعصابه وراوده الشكّ، فتساءل ما إذا كان يجدر به البحث بسّ الغمام في النهاية.

لقد حاولت تحذيره من النمر الشرس! كان باستطاعة قلب النّار أن يسمع تقريباً الصّوت المألوف لصديقه المقرّب، النمر الرّمادي، وانكمش عندما اجتاحتها الذكريات الحلوة والمرّة. هذا بالضبط ما كان ليقوله محارب عشيرة الرّعد السابق في ظرف كهذا. فقد تدرباً معاً كمبتدئين، وقاتلا جنباً إلى جنب إلى أن فرّقهما الحبّ والمأساة. إذ أغرم النمر الرّمادي بهرّة من عشيرة أخرى. ولو لم تخسر شعاع الفضة حياتها وهي تنجب، لربّما بقي النمر الرّمادي في عشيرة الرّعد. تذكر قلب النّار مجدداً النمر الرّمادي وهو يحمل صغيره إلى أراضي عشيرة النهر، لكي ينضمّا إلى عشيرة أمهما المتوفّاة، فانخفضت كتفاه حزناً. كان يفتقد إلى صحبة النمر الرّمادي، وما زال يتحدث معه بصمت كلّ يوم تقريباً. فهو يعرف صديقه القديم جيّداً، وكان من السهل دائماً تخيل جواب النمر الرّمادي.

نفض قلب النّار الذكريات عنه بهرّة من أذنيه. لقد حان وقت العودة إلى المخيم. فهو نائب عشيرة الرّعد الآن، وعليه تنظيم فرق الصيد والدوريات. أمّا بسّ الغمام، فليتولّى أموره بنفسه.

كانت الأرض جافّة تحت أكفّ قلب النّار وهو يعبر الغابة راكضاً إلى أعلى الوادي الذي يقع فيه المخيم. تردّد للحظة، وأحسّ بموجة من الفخر والألفة لطالما شعر بهما وهو يقترب من بيته في الغابة. فمع أنّه أمضى صغره في بيتٍ لذوي الساقين، إلّا أنّه أدرك، منذ اللحظة الأولى التي غامر فيها بدخول الغابة، أنّ هذا هو المكان الذي ينتمي إليه حقّاً. تحته، كان مخيم عشيرة الرّعد مخفياً جيّداً تحت غطاء كثيف

من نبات العَلِيق. هبط قلب النَّار المنحدر الحادّ وثباً، وسلك الدرب المألوف إلى نفق القندول المؤدّي إلى المخيم.

استلقت الهرة الأم، غصن الصّفصاف، بلونها الرّمادي الفاتح، عند مدخل الحضانة، تدفئ بطنها المتنفخة تحت أشعة شمس الصّباح. كانت تنام في وكر المحاربين حتّى وقت قريب. أمّا الآن، فقد انتقلت للعيش في الحضانة مع الإناث الأخريات بانتظار ولادتها الأولى.

بجانبيها، راقبت عين الزّمرد صغيريها بحنان وهما يتعاركان على الأرض الصّلبة ويثيران سحباً صغيرة من الغبار. كان بسّ الغمام أخوهما بالتبني. فعندما أحضر قلب النَّار صغير أخته البكر إلى العشيرة، وافقت عين الزّمرد على إرضاع البسبوس المسكين. مؤخّراً، أصبح بسّ الغمام مبتدئاً، ولن يمرّ وقت طويل قبل أن يصبح صغيرا عين الزّمرد جاهزين لمغادرة الحضانة هما أيضاً.

لفتت همهمة من الأصوات انتباه قلب النَّار إلى الصّخرة العالية الواقعة عند أعلى الفسحة. هناك، احتشدت مجموعة من المحاربين في الظلّ، تحت الصّخرة التي اعتادت نجمة الصّباح، زعيمة عشيرة الرّعد، مخاطبة عشيرتها من عليها. لمح قلب النَّار الفراء المخطّط للنمر الأسود، والجسد الرّشيق للبرق الخاطف، كما عرف بينهم الرّعب الأبيض من رأسه الأبيض كالثلج.

مشى بصمت على الأرض الحرّة، بينما علا مواء النّمر الأسود بنبرة شكوى، وطغى على الأصوات الأخرى. «إذاً، من الذي سيقود الدورية عند علوّ الشّمس؟».

أجاب الرّعب الأبيض بهدوء: «سيقرّر قلب النَّار عند عودته من الصّيد». من الواضح أنّ المحارب المسنّ لم يشأ التّأثر بنبرة النّمر الأسود العدائية.

تذمر الفراء الأغبر، وهو هرّ بنيّ كان مبتدئاً في الوقت نفسه مع قلب النّار. قال: «كان يفترض به أن يعود الآن».

أعلن قلب النّار: «وقد عدت». شقّ طريقه بين المحاربين وجلس بجانب الرّعب الأبيض.

ماء النّمر الأسود قائلاً: «حسناً، بما أنّك هنا الآن، هلاً أخبرتنا من سيقود الدورية عند علوّ الشّمس؟». وجّه الهرّ المخطّط الفضيّ نظرة باردة إلى قلب النّار.

أحسّ قلب النّار بالحرارة تحت فرائه، على الرّغم من الظلّ الذي ألقتّه الصّخرة العالية. كان النّمر الأسود مقرباً من النّمر الشّرس أكثر من أيّ هرّ آخر، ولم يسع قلب النّار إلّا أن يتساءل عن مدى ولائه، على الرّغم من أنّ النّمر الأسود اختار البقاء عندما نُفي حليفه السّابق. ماء قلب النّار قائلاً: «سيقود الدورية النّمر الذّيال».

حوّل النّمر الأسود نظره ببطء من قلب النّار إلى الرّعب الأبيض، بينما ارتعش شارباه ولمعت عيناه ازدراءً. فازدرد قلب النّار لعبابه بعصبية، متسائلاً عمّا إذا كان قد تفوّه بكلام سخيف.

أوضح البرق الخاطف وقد بدا عليه الحرج: «همم.. لقد خرج النّمر الذّيال مع تلميذه، ولن يعودا هو وبسّ رشيق قبل حلول المساء، أتذكر؟». بجانبه، شخر الفراء الأغبر بازدراء.

صرّ قلب النّار على أسنانه. كان ينبغي أن أعرف ذلك! «سيقودها البرق الخاطف إذأ، ويمكنك اصطحاب الفراء الأشقر والفراء الأغبر معك».

ماء الفراء الأغبر قائلاً: «لن يستطيع الفراء الأشقر مجاراتنا، فهو ما زال يعرج منذ المعركة مع القطط الشّريّة».

«حسناً، حسناً». حاول قلب النار إخفاء ارتبাকে المتصاعد، لكنه لم يستطع أن يتجاهل حقيقة أنه كان يموء بالأسماء بشكل عشوائي وهو يأمر قائلاً: «بإمكان الفراء الأشقر الذهاب للصيد مع الفأرة السمراء... و...»

عرضت عاصفة الرمال قائلة: «أودّ مرافقتكما للصيد». نظر قلب النار بامتنان إلى القطّة البرتقالية وقال: «... وعاصفة الرمال».

ماء النمر الأسود: «وماذا عن الدوريّة؟ سيتجاوز الوقت علو الشمس إذا لم نقرّر عاجلاً!». أجاب قلب النار بحدّة: «يمكنك مرافقة البرق الخاطف في الدوريّة».

سألت الفأرة السمراء بلطف: «وماذا عن دوريّة المساء؟». حدّق قلب النار إلى الهرة البنية الداكنة، وشعر أن ذهنه أصبح فجأة مثل أرض مقفرة.

ماء الرعب الأبيض بصوته المبحوح بجانب قلب النار قائلاً: «أودّ أن أقود دوريّة المساء. هل تعتقد أن بسّ رشيق والنمر الذئب يرغبان في المجيء معي عند عودتهما؟».

«أجل، بالطبع». جال نظر قلب النار على حلقة الأعين المحيطة به، وشعر بالارتياح لرؤية الرضى بادياً على الجميع.

ابتعد الجميع تاركين قلب النار بمفرده مع الرعب الأبيض. قال وهو يحني رأسه للمحارب العجوز: «شكراً، أعتقد أنه كان يجدر بي تنظيم الدوريّات مسبقاً».

طمأنه الرعب الأبيض قائلاً: «سيصبح الأمر أكثر سهولة مع الوقت».

لقد اعتدنا جميعاً على أن يخبرنا النمر الشرس بما علينا القيام به بالضبط ومتى».

أشاح قلب النار بنظره بعيداً، وغاص قلبه.

تابع الرعب الأبيض قائلاً: «من الطبيعي أيضاً أن تكون الأجواء أكثر توتراً من المعتاد.. فقد هزّت خيانة النمر الشرس العشيرة بأكملها». نظر قلب النار إلى المحارب الأبيض، وأدرك أنه يحاول تشجيعه. كان من السهل نسيان الصدمة الهائلة التي أصابت العشيرة نتيجة أفعال النمر الشرس. فقد عرف قلب النار منذ مدة طويلة أن تعطش النمر الشرس للسلطة دفعه إلى القتل والكذب. غير أن بقية القطط وجدوا صعوبة في التصديق أن المحارب الشجاع قد ينقلب ضدّ عشيرته. وكلام الرعب الأبيض ذكر قلب النار أنه، حتّى لو لم يكن يتمتّع بعد بسلطة النمر الشرس وثقته بنفسه، إلّا أنه لن يُقدم يوماً على خيانة عشيرته كما فعل.

قاطع صوت الرعب الأبيض أفكاره. «عليّ الذهاب لرؤية عين الزمرد، فقد أخبرتني أنها تودّ التحدّث معي»، ثم خفض رأسه. فاجأت إيماءة الاحترام هذه قلب النار، الذي هزّ رأسه مربكاً.

قرقرت معدة قلب النار جوعاً وهو يشاهد الرعب الأبيض يتعدّد، وفكر في الحمامة الطرية التي اصطادها بسّ الغمام. جلست تلميذة الرعب الأبيض، بسّّة زاهية، بلونها الأشقر والأبيض، خارج وكر المبتدئين. فتساءل قلب النار عمّا إذا كانت قد أحضرت للمسّنين صيداً جديداً. توجه إلى جذع الشجرة القديمة، إلى حيث جلست تنظّف ذيلها. فرفعت رأسها وقالت: «مرحباً يا قلب النار».

سألها قلب النار: «أهلاً يا بسّّة زاهية. هل أنت عائدة من الصيد؟».

أجابت وعيناها تلمعان حماسة: «أجل. إنها المزة الأولى التي
يسمح لي فيها الرّعب الأبيض بالخروج بمفردي». «وهل كان الصّيد وفيراً؟».

نظرت بسّّة زاهية بخجل إلى أكفّها. «عصفوران وسنجاب». خرخر قلب النّار مجيباً: «أحسنت. لا شكّ في أنّ الرّعب الأبيض
كان فخوراً بك».

أومأت بسّّة زاهية برأسها موافقة. «هل أخذت صيدك مباشرة إلى المسنين؟». أجابت بسّّة زاهية وقد شابّت عينيها غمامة قلق: «نعم، هل أصبّت
بذلك؟».

طمأنها قلب النّار قائلاً: «بالتأكيد». ليته يستطيع الاعتماد على
تلميذه بهذا القدر. كان من المفترض أن يعود بسّ الغمام الآن، فالمسنّون
بحاجة إلى أكثر من عصفورين وسنجاب لملء بطونهم. قرّر زيارتهم
للتأكّد من أنّهم لا يعانون كثيراً من فصل الحزّ. وعندما اقترب من جذع
السنديانة المقطوعة التي أقام المسنّون وكرهم عنده، تناهت إليه أصوات
من وراء أغصانها العارية.

«ستلد غصن الصّفصاف قريباً». كان ذاك صوت النّمرة الشّقراء،
أكبر قطط الحضانة، وكان صغيرها الوحيد ضعيفاً وصغير الحجم بالنّسبة
إلى عمره بعد إصابته بالسّعال الأبيض.

خرخرت عوراء قائلة: «تعتبر القطط الجديدة دائماً فال خير». تمتم شمشوم بحزن: «تعلم عشيرة النّجوم أنّنا بحاجة إلى بشرى
سارّة».

سأل كشكول: «أما زلت قلقاً بشأن المراسم؟». تخيل قلب النّار

أَذْنِي الهَرَّ الْمَسْنَّ الْأَبْيَضَ وَالْأَسْوَدَ تَنْتَفِضَانِ بِنَفَادٍ صَبْرٍ وَهُوَ يَنْظُرُ إِلَى شَمْشُومٍ.

ماءت عوراء قائلة: «بشأن ماذا؟».

أوضح كشكول بصوت عالٍ: «بشأن حفل تسمية نائب العشيرة الجديد. أنتِ تعلمين، بعد رحيل النمر الشرس منذ ربع قمر».

ردّت عوراء بحدة: «أنا أعاني من مشكلة في أذنيّ، أمّا عقلي فسلیم!». تابعت كلامها، وأنصت إليها الباقون بصمت. كانت عوراء تحظى باحترام القطط لحكمتها، على الرّغم من سوء مزاجها. «لا أعتقد أنّ عشيرة النّجوم ستعاقبنا لمجرّد أنّ نجمة الصّباح تخلّفت عن تسمية النّائب الجديد قبل علوّ القمر. فالظّروف لم تكن اعتيادية على الإطلاق». قالت فراء الكستناء بقلق: «لكنّ ذلك سيزيد الأمور سوءاً! فماذا سيكون رأي عشيرة النّجوم بعشيرة انقلب نائّبها ضدها، وعُيّن نائّبها الجديد بعد علوّ القمر؟ سنبدو وكأنّنا عاجزون عن الحفاظ على إخلاص قططنا، أو حتّى القيام بالمراسم بالطّريقة الصّحيحة».

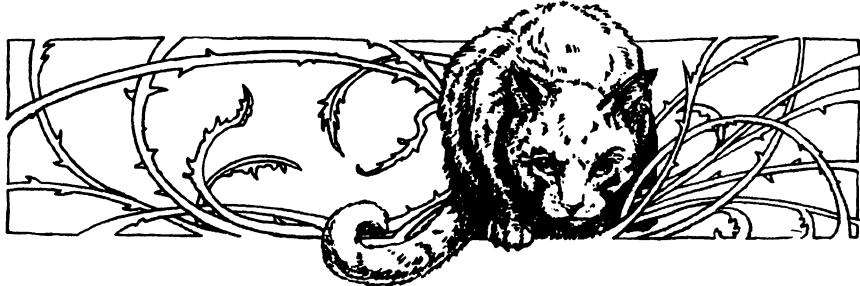
شعر قلب النّار بقشعريرة جليدية تعبر عموده الفقري. عندما علمت نجمة الصّباح بخيانة النمر الشرس وطرده من العشيرة، كانت مستاءة للغاية للتفكير في تأدية مراسم تعيين نائب جديد بالطّريقة الصّحيحة. ولم يتمّ تعيين قلب النّار خلفاً للنمر الشرس حتّى اليوم التّالي، الأمر الذي اعتبره عديد من القطط فالاً سيّئاً.

قال شمشوم بنبرة جادة: «لقد خرقت تسمية قلب النّار طقوس العشيرة للمرّة الأولى. أكره قول ذلك، لكنني أشعر رغماً عني أنّ فترة نيابته ستكون عصيبة على عشيرة الرّعد».

ماء كشكول موافقاً، بينما شعر قلب النّار بنبضه يتسارع وهو ينتظر

أن تهْدَى عوراء من روع الآخرين بكلامها الحكيم. غير أنها لَزمت الصَّمْتُ هذه المرّة. في الأعلى، سطعت الشَّمْس بأشعّتها الحارقة في سماء زرقاء صافية، إلّا أنّ قلب النّار شعر بالبرد حتّى العظم.

ابتعد عن وكر المسنّين، عاجزاً عن مواجهتهم في تلك اللحظة، ومشى بقلق على أطراف الفسحة. عندما اقترب من الحضانة، حدّق إلى الأرض، تائهاً في أفكاره. شعر بحركة مفاجئة خارج مدخل الحضانة، فنظر إلى الأعلى، لكنّه سرعان ما تجمّد في مكانه، وراح قلبه ينبض بجنون عندما تعرّف على عيني النمر الشرس العنبريّتين الوامضتين أمامه. رفّ قلب النّار جفنيه مرعوباً من النظرة المألوفة، إلى أن أدرك أنّ من يبادله النّظر لم يكن المحارب البغيض، بل بسبوس العنبر - ابن النمر الشرس.



الفصل 2



لمح قلب النار فراء عنبرياً فاتحاً، فنظر إلى الأعلى ليرى زهرة الذهب تخرج من الحضانة من خلف الهزّ المخطّط الداكن. تدلّت من فكّيها بسبوسة شقراء فاتحة اللون، وضعتها بلطف على الأرض بجانب بسبوس العنبر. عرف قلب النار على الفور أنّ زهرة الذهب رأت ردّ فعله، لأنّ الهزة الشّقراء الأمّ لفتّ ذيلها بحركة حمائية حول صغيريها ورفعت ذقنها، كما لو أنّها تتحدّى قلب النار أن يقول شيئاً.

شعر قلب النار بالذنب. ما الذي دهاه؟ إنّهُ نائب العشيرة! كان عليه أن يطمئن زهرة الذهب أنّه سيتمّ الاعتناء بصغيريها واحترامهما مثل أيّ عضو آخر في عشيرة الرّعد. قال متلعثماً: «يبدو الصّغيران... بصحّة جيّدة»، لكنّ فراءه انتصب بينما حدّق إليه البسبوس المخطّط الداكن بعينه العنبريّتين من دون أن يرفّ له جفن، وبدا صورة عن النمر الشّرس بنظرته المتوقّدة.

حاول قلب النار أن يطرد عنه الخوف والغضب اللّذين دفعاه غريزياً إلى إخراج مخالبه والضغط بها على الأرض الصّلبة. قال في نفسه، النمر الشّرس هو من خان عشيرة الرّعد، وليس هذا البسبوس الصّغير. قالت له زهرة الذهب: «إنّها المرة الأولى التي تغادر فيها بسبوسة

شعلة الحضانة». نظرت بقلق إلى الهرة الصغيرة.

تمتم قلب النار: «لقد كبرا بسرعة».

انحنى زهرة الذهب إلى الأسفل ولعقت كلاً منهما على رأسه، ثم اقتربت من قلب النار. قالت بهدوء: «أنا أفهم شعورك، فعيناك تفضحان قلبك دائماً. لكن هذين صغيريّ وأنا مستعدة لحمايتهما بحياتي إذا اضطر الأمر». نظرت إلى عيني قلب النار، ورأى قوة مشاعرها في أعماق عينيها الصفراوين.

تابعت قائلة: «أنا خائفة عليهما يا قلب النار. لن تسامح العشيرة أبداً النمر الشرس - ولا ينبغي لها ذلك. لكن بسبوس العنبر وبسبوسة شعلة لم يرتكبا أيّ ذنب، ولن أسمح بمعاقبتهما بذنب النمر الشرس. لن أخبرهما حتى من يكون أبوهما، بل سأقول لهما إنه كان محارباً جسوراً وقوياً».

شعر قلب النار بالتعاطف مع الهرة الأم القلقة، فوعدها قائلاً: «سيكونان بأمان هنا». مع ذلك، ظلت عينا بسبوس العنبر تسببان له وخز انزعاج في أكفّه بينما استدارت زهرة الذهب مبتعدة. خلفهما، خرج الرعب الأبيض بصعوبة من فتحة الحضانة الضيقة. قال لقلب النار: «تقول عين الزمرد إنّ صغيريها المتبقّين باتا جاهزين للتدريب».

سأله قلب النار: «وهل عرفت نجمة الصّباح؟».

هزّ الرعب الأبيض رأسه نافياً. «أرادت عين الزمرد إخبار نجمة الصّباح بنفسها، لكنها لم تزر الحضانة منذ أيام».

عبس قلب النار عندما سمع ذلك. فمن عادة زعيمة العشيرة أن تهتم بكلّ شاردة وواردة من حياة العشيرة، ولا سيّما الحضانة. وكلّ القطط

يعرفون مدى أهميّة صحّة الصغار بالنسبة إلى عشيرة الرّعد.

تابع الرّعب الأبيض: «هذا ليس مستغرباً، فهي ما زالت تتعافى من جروحها بعد المعركة مع القطط الشّريدة».

سأله قلب النّار: «هل أذهب وأخبرها الآن؟».

«أجل، فقد تُفرحها بعض الأخبار السّارة».

أجفل قلب النّار عندما أدرك أنّ الرّعب الأبيض قلق هو الآخر على زعيمته، فوافقه قائلاً: «أنا واثق من ذلك، فعشيرة الرّعد لم تمتلك هذا العدد الكبير من المبتدئين منذ أشهر».

لمعت عينا الرّعب الأبيض فجأة وقال: «بالمناسبة، أين بسّ الغمام؟ ظننت أنّه يصطاد للمسّنين».

أشاح قلب النّار بنظره محرجاً. «آه، أجل. لا أعرف سبب كلّ هذا التّأخير».

رفع الرّعب الأبيض كفّه الضخمة ولعقها. تتمم قائلاً، كما لو أنّه قرأ أفكار قلب النّار المضطربة: «لم تعد الغابة آمنة كما عهدناها من قبل. لا تنس أننا أثّرنا حفيظة عشيرتي النّهر والظلال عندما آوينا الذّيل النّمرود. وبما أنّهما لا تعرفان حتّى الآن أنّ الذّيل النّمرود قد مات، فقد تشنّان علينا هجوماً جديداً».

كان الذّيل النّمرود زعيم عشيرة الظلال في ما مضى، وكاد أن يدمّر بقيّة عشائر الغابة بسبب طمعه في مزيد من الأراضي. وقد ساعدت عشيرة الرّعد في إخراج الذّيل النّمرود من عشيرته المضطربة، لكنّها منحته ملاذاً في ما بعد، كسجين أعمى وعاجز، وهو قرار يتّسم بالرحمة لم يرحّب به أعداؤه السّابقون.

علم قلب النّار أنّ الرّعب الأبيض يحذّره بعناية بالغة - حتّى إنّ

المحارب لم يذكر احتمال تواجد النمر الشرس في الأرجاء - لكن شعوره بالذنب لأنه سمح لبس الغمام بالذهاب بمفرده جعل ردّه دفاعياً: «مع ذلك، تركت بسّة زاهية تصطاد بمفردها هذا الصّباح».

«هذا صحيح، لكنني طلبتُ منها أن تبقى في الوادي وأن تعود عند علوّ الشّمس». كانت نبرة الرّعب الأبيض لطيفة، لكنّه توقّف عن لعق كفه ونظر إلى عينيّ قلب النّار بقلق. «أمل ألاّ يتعدّ بسّ الغمام كثيراً عن المخيم».

أشاح قلب النّار بنظره وتمتم قائلاً: «سأذهب لإخبار نجمة الصّباح أنّ الصّغيرين جاهزان للتدريب».

أجاب الرّعب الأبيض: «فكرة حسنة. أمّا أنا، فأفكر في اصطحاب بسّة زاهية لتدريبها قليلاً. صحيح أنّها ماهرة في الصّيد، لكنّ مهاراتها القتالية لم تكتمل بعد».

توجّه قلب النّار إلى الصّخرة العالية وهو يشتمّ بسّ الغمام بصمت. نظّف أذنيه سريعاً أمام وكر نجمة الصّباح، وطرّد بسّ الغمام من فكره قبل أن يلقي بتحيةٍ عبر ستارة الأشنة التي تغطّي المدخل. عندما تناهى إليه صوت خافت يدعوه للدّخول، شقّ طريقه ببطء إلى داخل الوكر.

كان الجوّ بارداً في الكهف الصّغير، الذي حفره جدول قديم في قاعدة الصّخرة العالية. وكانت الجدران تلمع بفعل ضوء الشّمس الدّافئ الذي تسلّل عبر نبات الأشنة. جلست نجمة الصّباح منحنية في فراشها مثل بطّة حاضنة، ولاحظ قلب النّار أنّ فراءها الرّمادي الطّويل متسخ ومتلبّد. فقال في نفسه، ربّما لا تزال جروحها تؤلمها بحيث لم تستطع تنظيف نفسها كما ينبغي. وخجل من التفكير في الاحتمال الآخر - أنّ زعيمته لم تعد راغبة في الاعتناء بنفسها.

غير أن القلق الذي لمحه في عيني الرّعب الأبيض راوده هو الآخر. فقد لاحظ كم بدت نجمة الصّباح نحيلة، وتذكّر الطّائر الذي لم تكمله اللّيلة الماضية، بل عادت بمفردها إلى وكرها بدلاً من البقاء لتجاذب الألسنة مع كبار محاربيها، كما اعتادت أن تفعل.

نظرت زعيمة العشيرة إليه عندما دخل، فشر بالارتياح لشرارة الاهتمام التي عبرت عينيها عندما رأيته.

حيّته قائلة: «قلب النّار»، ثمّ جلست ورفعت ذقنها. كان ترفع رأسها الرّمادي العريض بالوقار نفسه الذي أعجب به قلب النّار عندما التقى بها للمرّة الأولى في الغابة، بالقرب من منزله القديم عند ذوي السّاقين. كانت نجمة الصّباح هي التي دعتّه للانضمام إلى العشيرة، وسرعان ما ولّدت ثقتها به رابطاً مميّزاً بينهما.

تكلم خافضاً رأسه احتراماً: «نجمة الصّباح، لقد زار الرّعب الأبيض الحضانة اليوم، وأخبرته عين الزّمرد أنّ صغيرها باتا جاهزين للتدريب». اتّسعت عيناها ببطء، ثمّ تمتمت قائلة: «حقاً؟».

انتظر قلب النّار أوامر نجمة الصّباح بشأن حفل المبتدئين، لكنّ الهزّة اكتفت بالتحديق إليه.

حثّها قائلاً: «من تريدين أن يتولّى تدريبهما؟».

ردّدت نجمة الصّباح بصوت ضعيف: «تدريبهما».

انتصب فراء قلب النّار بعدم ارتياح.

فجأة، لمعت عيناها الزرقاوان بقسوة، قبل أن تجيب بحدّة: «وهل ثمة هزّ يمكننا الوثوق به لتدريب هذين الصّغيرين البريئين؟».

أجفل قلب النّار، وقد صدمه الجواب بحيث عجز عن الردّ. ومضت عينا الزعيمة مجدداً وسألته: «هلاً درّبتهما أنت، أو النمر الرّمادي؟».

هز قلب النار رأسه، محاولاً إبعاد إحساس الخوف الذي انقض عليه كالأفعى. هل نسيّت نجمة الصّباح أنّ النمر الرّمادي لم يعد من أعضاء عشيرة الرّعد؟ «أنا - أنا أدزّب أساساً بسّ الغمام. أمّا النمر الرّمادي...» صمت قليلاً، ثم أخذ بسرعة نفساً قصيراً وتابع قائلاً: «النمر الشّرس هو المحارب الوحيد غير المناسب لتدريب هذين الصّغيرين يا نجمة الصّباح، وقد تمّ نفيه، أتذكرين؟ بالمقابل، فإنّ أيّ هرّ من محاربي عشيرة الرّعد سيكون مدرّباً ممتازاً لصغيري عين الزّمرد». تفحص وجه نجمة الصّباح بحثاً عن ردّ فعل، لكنها كانت تحدّق إلى أرض الوكر. «كما أنّ عين الزّمرد تأمل في إقامة حفل التّسمية قريباً، فقد أصبح صغيراها جاهزين منذ مدّة. كان بسّ الغمام رفيقهما، وهو الآن مبتدئ منذ نصف قمر».

انحنى قلب النار إلى الأمام بانتظار إجابة نجمة الصّباح. أخيراً، أومأت الهرة برأسها بخفّة، ونظرت إلى قلب النار. شعر بالارتياح عندما رأى التوتر قد زال عن كتفها. وعلى الرّغم من أنّ نظرتها لا تزال تبدو باردة وشاردة، إلّا أنّها أصبحت أكثر هدوءاً الآن. «سنقيم احتفال التسمية هذا المساء قبل تناول الطّعام». تمتمت بجملتها كما لو أنّها لم تشكّ في ذلك قطّ.

سألها قلب النار بحذر: «ومن تريد أن يقوم بتدريبهما؟». شعر برعشة تسري في ذيله بينما تصلّبت نجمة الصّباح مجدّداً وجالت نظراتها القلقة في أرجاء الكهف. «قرّر بنفسك».

كان ردّها مسموعاً بالكاد، فقرّر قلب النار عدم الضغط عليها أكثر. خفض رأسه وماءً قائلاً: «أمرك يا نجمة الصّباح»، ثم خرج من الوكر.

جلس قلب النار في ظل الصخرة العالية للحظة ليستجمع أفكاره.
لا بد أن خيانة النمر الشرس قد هزتها أكثر مما كان يظن ما دامت لم
تعد تثق بأي من محاربيها. خفض رأسه ليهدي نفسه بلعقة على صدره.
بالكاد مضى ربع قمر منذ هجوم القطط الشريفة، ولا شك في أن نجمة
الصباح ستجاوز هذه التجربة. في هذا الوقت، عليه أن يخفي قلقها عن
بقية القطط. فالعشيرة مضطربة أساساً، بحسب الزعب الأبيض، ورؤية
نجمة الصباح بهذه الحالة ستزيد من اضطرابها.

مدد قلب النار عضلات كتفيه واتجه نحو الحضانة. ماء عندما
اقترب من الهرة الأم قائلاً: «مرحباً يا غصن الصفصاف». كانت الهرة
الزماوية الفاتحة مستلقية على جنبها خارج أجمة العليق التي تؤوي
الصغار، تستمتع بدفء الشمس.

رفعت رأسها عندما وقف قلب النار بجانبها. «أهلاً يا قلب النار،
كيف الحال بعد أن أصبحت نائباً؟». كانت عيناها الوديعتان تنمان عن
الفضول، وتحدثت بصوت ودود يخلو من التحدي.

أجاب: «بخير». أضاف قائلاً في نفسه بإحباط، لكنني أفضل حالاً
لو لم يكن تلميذي شوكة في خاصرتي، ولو لم يكن المسنون خائفين
من غضب عشيرة النجوم، ولو لم تكن زعيمة العشيرة عاجزة حتى عن
اتخاذ قرار بشأن من يدرّب صغيري عين الزمرد.

خرخرت غصن الصفصاف قائلة: «يسرني سماع ذلك»، ثم أدارت
رأسها لتنظف ظهرها.

سألها قلب النار: «هل عين الزمرد هنا؟».

ماعت وهي تلعق ظهرها: «إنها في الداخل».

«شكراً». شق قلب النار طريقه إلى نباتات العليق، فوجد المكان

مضيئاً على نحو مدهش في الداخل. كان ضوء الشّمس يتسلّل عبر الفجوات في الأغصان الملتوية، فقرّر أن يطلب إصلاح الثقوب قبل حلول فصل الرّيح.

ماء قائلاً: «مرحباً يا عين الزّمرد، عندي لك أخبار سارة! فقد أعلنت نجمة الصّباح أنّنا سنقيم احتفال تسمية صغيريك هذا المساء».

كانت عين الزّمرد مستلقية على جنبها، تاركة صغيرها الرّماديين يتسلّقان ظهرها. «الشّكر لعشيرة النّجوم!». شخرت عندما قفز صغيرها الأثقل وزناً، بفرائه المرقط ببقع داكنة، عن جنب أمه ورمى بنفسه على أخته. قالت: «لقد أصبح هذان الاثنان كبيرين على الحضانة».

تعثّر البسبوسان وتدحرجا على ظهر أمهما في كتلة تشابكت فيها الأكف والأذيال. دفعت عين الزّمرد صغيرها بعيداً عنها بلطف وسألت: «هل تعرف من سيدرّ بهما؟».

كان قلب النّار مستعداً لهذا السؤال، فأجاب: «لم تقرّر نجمة الصّباح بعد. هل تفضّلين مدرّبين معيّنين؟».

بدا الاستغراب على عين الزّمرد. «القرار يعود لنجمة الصّباح، فهي أدري بذلك».

كان قلب النّار يعرف، شأنه شأن أيّ هرّ آخر، أنّ اختيار المدرّبين يقع على عاتق زعيم العشيرة. فماء بصعوبة: «أجل، أنت محقّة».

انتصب فراؤه عندما التقطت غدد الشّم لديه رائحة صغير النّمر الشّرس. سأل عين الزّمرد بنبرة أكثر حدة ممّا أراد: «أين زهرة الذهب؟».

اتّسعت عيناها مجيبة: «لقد أخذت صغيريها لتعريفهما على كبار العشيرة»، ثمّ زمّت عينيها وهي تنظر إلى قلب النّار، وأضافت: «يبدو أنّك رأيت النّمر الشّرس في ابنه، أليس كذلك؟».

هَزَّ قَلْبَ النَّارِ رَأْسَهُ بَعْدَ ارْتِيَاحٍ.

طَمَأْنَنَتْهُ عَيْنُ الزَّمَرْدِ قَائِلَةً: «إِنَّهُ يَشْبَهُ وَالِدَهُ بِالشَّكْلِ وَحَسَبٍ. فَهُوَ لَطِيفٌ بِمَا فِيهِ الْكَفَايَةُ مَعَ بَقِيَّةِ الصَّغَارِ، كَمَا أَنَّ أَخْتَهُ تَبْقِيَهُ حَتْمًا تَحْتَ السَّيْطَرَةِ!».

«حَسَنًا، هَذَا جَيِّدٌ». أَشَاحَ بِنَظَرِهِ بَعِيدًا، ثُمَّ أَضَافَ وَهُوَ يَشُقُّ طَرِيقَهُ عَائِدًا عَبْرَ الْمَدْخَلِ: «أَرَاكَ لَاحِقًا فِي الْإِحْتِفَالِ».

سَأَلَتْهُ غَصَنُ الصَّفْصَافِ عِنْدَمَا خَرَجَ: «هَلْ هَذَا يَعْنِي أَنَّ نَجْمَةَ الصَّبَاحِ حَدَّدَتْ مَوْعِدًا لَاحْتِفَالِ التَّسْمِيَةِ؟».

أَجَابَ: «نَعَمْ».

«وَمَنْ سَيَكُونُ الْمَدْرَسِيُّ؟»

غَيْرَ أَنَّ قَلْبَ النَّارِ ابْتَعَدَ قَبْلَ أَنْ يَتِمَكَّنَ مِنْ سَمَاعِ بَقِيَّةِ سَوَالِهَا. سَيَنْتَشِرُ خَبَرُ إِحْتِفَالِ التَّسْمِيَةِ فِي الْمَخِيَمِ كَالنَّارِ فِي الْهَشِيمِ، وَسَيَرْغَبُ كُلُّ أَفْرَادِ الْعَشِيرَةِ فِي مَعْرِفَةِ هَوِيَّةِ الْمَدْرَبِينَ. كَانَ عَلَى قَلْبِ النَّارِ أَنْ يَتَّخِذَ قَرَارَهُ بِسُرْعَةٍ، لَكِنَّ رَائِحَةَ بَسْبُوسِ الْعَنْبَرِ كَانَتْ لَا تَزَالُ عَالِقَةً فِي أَنْفِهِ، وَالْأَفْكَارُ السُّودَاوِيَّةُ الَّتِي عَصَفَتْ بِرَأْسِهِ شَوَّشَتْ تَفْكِيرَهُ.

تَوَجَّهَ غَرِيزِيًّا إِلَى نَفَقِ الْخَنْشَارِ الْمُؤَدِّيِّ إِلَى فَسْحَةِ الْهَرَّةِ الْمَدَاوِيَّةِ بَحْثًا عَنْ فَرَاءِ الزَّمَادِ، تَلْمِيزَةً جَمْرَةً. فَبَعْدَ رَحِيلِ النَّمْرِ الزَّمَادِيِّ لِلْعَيْشِ مَعَ عَشِيرَةِ النَّهْرِ، أَصْبَحَتْ فَرَاءُ الزَّمَادِ صَدِيقَتَهُ الْمُقَرَّبَةَ. وَأَدْرَكَ أَنَّ الْهَرَّةَ الزَّمَادِيَّةَ اللَّطِيفَةَ سَتَتِمَكَّنُ مِنْ فَهْمِ الْمَشَاعِرِ الْمَضْطَّرَةِ الَّتِي تَعْمَلُ فِي صَدْرِهِ.

حَثَّ خَطَاهُ عَبْرَ نَبَاتَاتِ الْخَنْشَارِ الْبَارِدَةِ وَخَرَجَ إِلَى الْفَسْحَةِ الَّتِي تَضِيئُهَا الشَّمْسُ. فِي أَحَدِ أَطْرَافِهَا، لَاحَ سَطْحُ صَخْرَةٍ عَالِيَةٍ شَقَّهَا صَدْعٌ فِي الْوَسْطِ. وَكَانَتْ الْفَتْحَةُ فِي وَسْطِ الصَّخْرَةِ كَبِيرَةً بِمَا فِيهِ الْكَفَايَةُ

لتحوّلها جمرة إلى وكر لها وتخزّن فيها أعشابها العلاجية.

كان قلب النّار على وشك أن ينادي فراء الرّماد عندما خرجت وهي تعرج من الشّق المظلل. كما هو الحال دائماً، فرحه بلقاء صديقه يعكّره ألم رؤية ساقها الخلفية الملتوية التي منعته من أن تصبح محاربة. فقد أصيبت الهزّة الشّابة بجروح بالغة وهي تعبر درب الرّعد. ولطالما شعر قلب النّار أنّه المسؤول عن ذلك، لأنّ فراء الرّماد كانت تلميذته عندما وقع الحادث. لكن بينما كانت تتعافى على يد الهزّة المداوية، بدأت جمرة تعليمها كيفيّة رعاية المرضى، وأصبحت مدرّبتها منذ شهر ونصف. فوجدت فراء الرّماد مكانها في العشيرة أخيراً.

تدلّت مجموعة كبيرة من الأعشاب من فكّي فراء الرّماد وهي تعرج متّجهة إلى الفسحة. كان وجهها متجهماً، ولم تلاحظ أنّ قلب النّار يقف عند مدخل النّفق. وضعت الحزمة على الأرض المشمسة وبدأت بفرز الأوراق بكفّيتها الأماميتين بقلق.

«فراء الرّماد؟».

فوجئت الهزّة الصّغيرة ونظرت إلى الأعلى. «قلب النّار! ماذا تفعل هنا؟ هل أنت مريض؟».

هزّ قلب النّار رأسه نافياً. «كلّا. هل كلّ شيء على ما يرام؟».

نظرت فراء الرّماد بكآبة إلى حزمة الأوراق أمامها، فمشى قلب النّار نحوها وداعبها بأنفه. «ما الأمر؟ لا تخبريني أنّك سكبت عصارة مرارة الفأر في وكر جمرة مجدّداً؟».

أجابت بسخط: «كلّا!»، ثمّ خفضت نظرها متابعة: «ما كان يجدر بي أن أوافق على التدرّب كهزّة مداوية، فأنا مصيبة. كان عليّ أن أقرأ الإشارات عندما عثرتُ على ذاك الطائر المتعفن!».

تذكّر قلب النار ما حدث بعد احتفال تسميته. فقد اختارت فراء الزّمام طائر عقق من كومة الذبائح الطازجة لتعطيه لنجمة الصّباح، ليتبين أنّ الديدان كانت تزحف من تحت ريشه الناعم.

سألها: «وهل اعتبرت جمرة تلك الحادثة فالأ سيّئاً عليك؟».

أجابت: «حسناً، كلّاً».

«إذاً ما الذي يدفعك إلى الاعتقاد أنّك لن تصبحي هرة مداوية؟».

حاول ألاّ يسمح لنفسه بالتّفكير في حقيقة أنّ الطائر المتعفن قد يكون فالاً سيّئاً على هرة أخرى، أي زعيمته، نجمة الصّباح.

هزت فراء الزّمام ذيلها محبطة. «لقد طلبت منّي جمرة أن أعدّ لها كمادة، مجرّد كمادة عاديّة لتطهير الجروح. إنّها من أولى الأمور التي علّمتني كيفيّة تحضيرها منذ البداية، لكنني نسيت الآن أيّ أعشاب أضع فيها. ستظنني غبيّة حتماً!». تحوّل مواؤها إلى نواح، وبدأ الاضطراب في عينيها الزرقاوين الكبيرتين.

قال لها بحزم: «أنت لست غبيّة على الإطلاق، وجمرة تعرف ذلك».

«لكن هذه ليست الحماقة الوحيدة التي ارتكبتها مؤخراً. فبالأمس، اضطرت لسؤال جمرة عن الفرق بين قفاز الثعلب وبذور الخشخاش».

خفضت رأسها أكثر، متابعة: «فقلت إنّني أشكّل خطراً على العشيرة».

طمأنها قلب النار قائلاً: «أوه، أنت تعرفين طباع جمرة، فهي تحدّث دائماً بهذه الطّريقة». كانت جمرة في ما مضى الهرة المداوية لعشيرة الظلال. ومع أنّها انضمت إلى عشيرة الرّعد بعد أن نفاها زعيم عشيرتها القاسي، الذّيل النمرود، إلّا أنّ الطّباع الشّرسة لمحاربي عشيرة الظلال ما زالت تظهر عليها بين الحين والآخر. غير أنّ أحد الأسباب التي جعلتها تتفق مع فراء الزّمام أنّ هذه الأخيرة تملك القدرة على

مواجهة نوبات غضب جمرة.

تنهّدت فراء الرّماد قائلة: «لا أعتقد أنني أملك المؤهلات اللازمة لأصبح هرة مداوية. فقد ظننت أنني فعلت الشيء الصحيح عندما أصبحت تلميذة جمرة، لكنّ قراري ليس مجدياً. فأنا عاجزة عن تعلّم كلّ ما عليّ معرفته».

جثم قلب النّار بحيث أصبحت عيناه بمستوى عيني فراء الرّماد، وماء بحدة: «هذا بسبب شعاع الفضة، أليس كذلك؟». عاد إلى ذاكرته ذاك اليوم عند الصّخور المشمسة، عندما أنجبت شعاع الفضة، هرة عشيرة النّهر، صغيري النّمر الرّمادي، قبل موعد ولادتها. ومع أنّ فراء الرّماد حاولت إنقاذها بيأس، إلّا أنّها خسرت كثيراً من الدماء. فماتت الهرة الفضية الجميلة، على الرّغم من نجاة صغيرها.

لم تجبه فراء الرّماد، فأدرك أنّه كان محقّقاً في شكوكه. قال لها: «لقد أنقذت صغيرها!».

«لكنني خسرتها».

انحنى قلب النّار إلى الأمام ليلعق الرأس الرّمادي الناعم. «لقد بذلت كلّ ما في وسعك. اسمعي، أسألي جمرة عن الأعشاب اللازمة للكمامة، فهي لن تمانع».

«آمل ذلك». لم يبدُ عليها الاقتناع، غير أنّها ما لبثت أن انتفضت قائلة: «عليّ أن أكفّ عن الإشفاق على نفسي، أليس كذلك؟».

أجاب وهو يلوّح بذيله نحوها: «أجل».

«أنا آسفة». نظرت إليه بحزن ممزوج بروح الدّعابة القديمة التي كانت تتمتع بها. «لا أظنّ أنّك أحضرت معك صيداً طازجاً، أليس كذلك؟».

هَزَّ قَلْبَ النَّارِ رَأْسَهُ نَافِياً. «أنا آسف، فقد جئت للتحدّث معك. لا تقولي إنّ جمرة تجعلك تتصوّرين جوعاً!».

أجابت: «كلّا، لكنّ مهامّ الهَرّة المداوية أصعب مما تظنّ، ولم تتح لي الفرصة لاصطياد شيء اليوم». ومضت عيناها بفضول. «عمّ كنت تريد التحدّث؟».

شعر قلب النار بالكآبة تعتصر قلبه مجدّداً. «عن صغيري النمر الشرس، لاسيّما بسبوس العنبر». «أهذا لأنّه يشبه والده؟».

أجفل قلب النار. هل كانت مشاعره واضحة إلى هذا الحدّ؟ «أعلم أنّه لا ينبغي أن أحكم عليه، فهو مجرّد هزّ صغير، ولكن عندما التقيت به، شعرت كما لو أنّ النمر الشرس هو الذي ينظر إليّ. حتّى إنّني... عجزتُ عن الحراك». هَزَّ قَلْبَ النَّارِ رَأْسَهُ ببطء، محرجاً من اعترافه، وسعيداً لأنّه يستطيع الوثوق بصديقه. «لا أعرف ما إذا كنت سأتمكّن من الوثوق به يوماً ما».

مئات فراء الرّماد بلطف: «شعورك ليس مستغرباً إنّ كنت ترى النمر الشرس كلّما نظرت إليه. في الواقع، عليك أن تنظر إلى ما هو أبعد من لون فرائه وتحاول رؤيته من الدّاخل. تذكّر أنّه ليس صغير النمر الشرس وحسب، فدماء زهرة الذهب تجري في عروقه أيضاً. كما أنّه لن يعرف والده أبداً، بل ستربيه العشيرة وسيشرّب مبادئها». أضافت: «أنت بالذات تعرف تماماً أنّه لا ينبغي الحكم على أحد على أساس ظروف ولادته». كانت فراء الرّماد محقّة. فقلب النار لم يسمح يوماً لماضيه كبسبوس أليف أن يؤثّر على ولائه للعشيرة. سألهما، لعلّهما أنّ فراء الرّماد وجمرة درسا الفراء الفضّي لحظة ولادة الصغير: «هل تحدّثت معك

عشيرة النجوم بشأن بسبوس العنبر؟».

غاص قلبه عندما أشاحت الهزة الرمادية بنظرها وتمتمت قائلة: «لا تشاركني عشيرة النجوم دائماً كلّ الأخبار».

كان قلب النار يعرف فراء الرماد بما فيه الكفاية ليفهم أنّها تخفي شيئاً ما. «لكنّها شاركتك شيئاً، أليس كذلك؟».

حدّقت إليه فراء الرماد بعينيها الزرقاوين ثمّ ماءت بحزم: «مصييره لا يقلّ أهميّة عن مصير أيّ صغير يولد في عشيرة الرعد».

عرف قلب النار أنّه لن يتمكّن من جعل فراء الرماد تخبره بما كشفتها لها عشيرة النجوم إنّ لم ترغب في ذلك، فقّر إخبار فراء الرماد بالمشكلة الأخرى التي تؤرق راحته. اعترف قائلاً: «ثمة أمر آخر أردت أن أحدثك بشأنه. عليّ أن أقّر من سيدرب صغيري عين الزمرد».

«أليس هذا من اختصاص نجمة الصّباح؟».

«بلى، ولكنّها طلبت منّي أن أختار بدلاً عنها».

رفعت فراء الرماد رأسها بدهشة. «لمّ يدو عليك القلق إذأ؟ عليك أن تشعر بالإطراء».

قال في نفسه وهو يتذكّر الارتباك في عيني نجمة الصّباح، الإطراء؟ أخيراً، هزّ كتفيه مجيباً: «ربّما، لكنني لا أعرف من أختار».

حدّته فراء الرماد قائلة: «لا شكّ في أنّ لديك فكرة ما».

«كلّا، على الإطلاق».

سألته وهي تفكّر عابسة: «حسناً، كيف كان شعورك عندما تمّ تعيينك مدرباً لي؟».

فوجئ قلب النار بسؤالها، لكنّه أجاب ببطء: «شعرت بالفخر، والخوف، وباليأس لإثبات نفسي».

مَاءت فراء الرّماد قائلة: «مَنْ مِنَ المحاربين تظنّ أنّه يريد إثبات نفسه؟».

زَمَّ قلب النّار عينيّه، فومضت صورة هَرَبْنِي فِي ذهنه. «الفراء الأغبر». أومأت فراء الرّماد برأسها موافقة، بينما تابع قائلاً: «لا بدّ أنّه يتحرّق شوقاً للحصول على أوّل تلميذ له. فقد كان مقرباً من النّمر الشّرس، ويرغب في إثبات ولائه للعشيرة بعدما تمّ نفي هذا الأخير. إنّهُ محارب قويّ، وأعتقد أنّه سيكون مدرّباً جيّداً». حتّى خلال حديثه، أدرك أنّ لديه دافعاً شخصياً أكثر لاختيار الفراء الأغبر. فقد لمعت عيناه بحسد عندما عيّنت نجمة الصّباح قلب النّار مدرّباً مرّتين، أوّلاً لفراء الرّماد ولاحقاً لبسّ الغمام. ففكّر وهو يشعر بشيء من الذنب أنّ اختيار الفراء الأغبر ليكون مدرّباً قد يخفّف من غيرة المحارب ويحسن من علاقتهما. قالت فراء الرّماد بصوت مشجّع: «حسناً، ها قد تمّ اختيار المدرّب الأوّل».

نظر قلب النّار إلى عيني الهرة المداوية الواسعتين والصفائيتين. لقد جعلت الأمر يبدو بسيطاً جداً.

سألته فراء الرّماد: «والآن، ماذا عن الثاني؟».

«الثاني؟». تنهّى إليهما مواء جمرة المبحوح من نفق الخنشار، قبل أن تدخل الهرة، بلونها الرّمادي الدّاكن، الفسحة بخطوات متصلّبة. استدار قلب النّار لتحيّتها. كالعادة، بدا فراءها الطّويل متشابكاً ومتلبّداً، كما لو أنّ الاهتمام بالعشيرة لم يترك لها وقتاً للعناية بنفسها، لكنّ عينيها البرتقاليّتين كانتا تلمعان باهتمام ولا تفوتهما فائتة.

أوضحت فراء الرّماد: «لقد طلبت نجمة الصّباح من قلب النّار اختيار مدرّبين لصغيري عين الرّمرد».

اتّسعت عينا جمرة بدهشة. «أوه، حقّاً؟ وعلى من وقع اختيارك؟». أجاب قلب النّار: «اخترنا الفراء الأغبر-» قاطعته جمرة: «اخترنا؟ ومن تقصد؟». اعترف قائلاً: «لقد ساعدتني فراء الرّماد». قالت جمرة: «أنا واثقة من أنّ نجمة الصّباح ستفرح إن علمت أنّ هرة بالكاد بدأت تدريبها تتخذ مثل هذه القرارات المهمّة للعشيرة». التفتت إلى فراء الرّماد وسألتها: «هل انتهيت من خلط الكمادة؟». فتحت فراء الرّماد فمها، ثمّ هزّت رأسها نافية، قبل أن تعود بصمت إلى كومة الأعشاب وسط الفسحة.

شخرت جمرة وهي تراقب تلميذتها تعرج مبتعدة، ثمّ اشتكت لقلب النّار قائلة: «تلك الهرة لا تردّ عليّ منذ أيّام! مضى زمن لم أكن أستطيع فيه أن ألفظ كلمة واحدة. كلّما عادت إلى طبيعتها في وقت أسرع، كان ذلك أفضل لكلّينا!». عبست الهرة المداوية وتابعت حديثها مع قلب النّار: «والآن، أين كنّا؟». أجاب قلب النّار بكآبة: «كنّا نحاول أن نقرّر من سيكون المدرّب الثاني لصغيري عين الزّمرد».

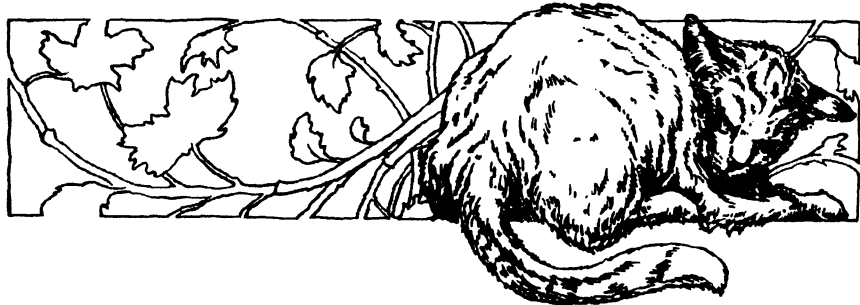
سألته جمرة: «من من المحاربين لا يملك متدرباً؟». أجاب قلب النّار: «في الواقع، عاصفة الرّمال». شعر أنّه من غير المنصف تعيين الفراء الأغبر مدرّباً واستثناء عاصفة الرّمال. ففي النهاية، تدرب الهزان معاً وحصلوا على اسميهما كمحاربين في الوقت نفسه. سألته جمرة: «هل تعتقد أنّه سيكون من الحكمة تعيين مدرّبين عديمي الخبرة في وقت واحد؟». هزّ قلب النّار رأسه نافياً، فضغطت جمرة عليه قائلة: «هل ثمة

محارب أكثر خبرة في عشيرة الرّعد لا يملك تلميذاً؟».

فكّر قلب النّار على مضض، النّمر الأسود. فالجميع يعرفون أنّ النّمر الأسود كان من أقرب المقرّبين إلى النّمر الشّرس، على الرّغم من أنّه اختار البقاء مع العشيرة عندما تمّ نفي الهزّ الخائن. وأدرك قلب النّار أنّه إن لم يعين النّمر الأسود مدرّباً، فقد يبدو وكأنّه ينتقم من العداء الذي أظهره له المحارب عندما انضمّ إلى عشيرة الرّعد. في الواقع، كان النّمر الأسود خياراً بديهاً ليتولّى تدريب أحد المبتدئين.

لا بدّ أنّ جمرة رأت الإصرار في عينيّ قلب النّار لأنّها ماتت قائلة: «حسناً، لقد تمّ حلّ هذه المسألة. هل تمانع الآن في تركي مع تلميذتي بسلام؟ فثمّة أعمال علينا إنجازها».

دفع قلب النّار نفسه للنهوض، وقد شعر بالارتياح لأنّه وجد المدرّبين. غير أنّ هذا الارتياح عكّره إدراك آخر. فصحيح أن ولاء المحاربين المُختارين للعشيرة لم يكن موضع شكّ، إلّا أنّه كان أقلّ ثقة بكثير في ولائهما له.



الفصل 3



خرج قلب النار من نفق الخنشار وسأل بسّ الشوك، تلميذ الفأرة السّمراء: «هل رأيت بسّ الغمام؟». كان الهرّ الأشقر يهرول نحو كومة الفرائس الطازجة، يتدلى من بين فكيه فأران. هزّ رأسه نافياً، فانقبض قلب المحارب. كان ينبغي أن يعود بسّ الغمام منذ مدة طويلة. أمر بسّ الشوك قائلاً: «حسناً، خذ هذين الفأرين مباشرة إلى المسنين». صدر عن المبتدئ مواء مكتوم قبل أن يبتعد مسرعاً. ارتفع ذيل قلب النار غضباً من بسّ الغمام، لكنّه كان يعلم أنّ الخوف هو ما أثار غضبه. ماذا لو عثر عليه النمر الشرّس؟ تعاظم خوفه، فسارع إلى وكر نجمة الصّباح. سيخبرها بقراره بشأن المدربين وينطلق بعد ذلك للبحث عن تلميذه.

عندما وصل إلى الصّخرة العالية، لم يتوقّف ليرتب فراءه المنفوش، بل شقّ طريقه عبر الأشنة بمجرد أن أعطته نجمة الصّباح الإذن بالدخول. كانت زعيمة عشيرة الرّعد جالسة في وكرها في المكان الذي تركها فيه، تحدّق إلى الحائط. قال قلب النار خافضاً رأسه: «نجمة الصّباح، أظنّ أنّ الفراء الأغبر والنمر الأسود سيكونان مدربين مناسبين».

أدارت الهرة المسنة رأسها ونظرت إلى قلب النار، ثم رفعت كتفها

مجيبة بلا اكتراث: «حسنٌ جدّاً».

شعر قلب النّار بخيبة أمل، إذ بدا له وكأنّ نجمة الصّباح لا تبالي بهذه المسألة. «هل أرسلهما إليك لتزفّي لهما الخبر؟ إنهما خارج المخيم الآن، ولكن عند عودتهما، يمكنني أن...»

ارتعش شاربا نجمة الصّباح. «ليسا في المخيم؟ كلاهما؟».

أوضح لها قلب النّار بقلق: «لقد ذهبا في دورية».

«وأين الرّعب الأبيض؟».

«إنه يدرّب بسّة زاهية في الخارج».

«الفأرة السّمراء؟».

«خرجت للصّيد مع الفراء الأشقر وعاصفة الرمال».

«هل غادر جميع المحاربين المخيم؟».

لاحظ قلب النّار أنّ عضلات كتفها توترت، فغاص قلبه. ما الذي يخيف نجمة الصّباح؟ عاد فكره إلى بسّ الغمام والخوف الذي تملكه هذا الصّباح في الغابة الصامتة. فكافح للحفاظ على هدوئه وهو يحاول طمأنة زعيمته قائلاً: «ستعود الدورية قريباً، كما أنّني لا أزال هنا».

قالت نجمة الصّباح بحدّة: «لا تتعامل معي وكأنّني هرة صغيرة خائفة!» انكمش قلب النّار إلى الخلف، بينما تابعت قائلة: «لا تغادر المخيم حتّى عودة الدورية. لقد تعرّضنا للهجوم مرّتين خلال القمر الماضي، ولا أريد أن يبقى المخيم بلا حراسة. من الآن فصاعداً، سيلازم ثلاثة محاربين على الأقلّ المخيم طوال الوقت».

سرت قشعريرة باردة في فراء قلب النّار، ولم يجرؤ على النظر إلى عينيّ زعيمته خشية عدم تعرّفه على الهرة التي تقف أمامه. تتمم بهدوء: «أمرك يا نجمة الصّباح».

«عندما يعود النمر الأسود والفراء الأغبر أرسلهما إليّ. أودّ التحدّث إليهما قبل الاحتفال».

«بالطبع».

«اذهب الآن!». لوّحت نجمة الصّباح بذيلها نحوه، كما لو كان يعرّض العشيرة للخطر بإضاعة الوقت.

خرج قلب النّار من الوكر، ثمّ جلس في ظلّ الصّخرة العالية، وأدار رأسه ليلعق فراء ذيله. ماذا يُفترض به أن يفعل؟ كان قلبه النابض بشدّة يحثّه على الإسراع إلى الغابة للعثور على بسّ الغمام وإعادته إلى أمان المخيم، لكنّ نجمة الصّباح أمرته بالبقاء هنا حتّى عودة إحدى الدوريات. في تلك اللحظة، سمع وقع خطوات قطط تدوس على الأوراق اليابسة خارج المخيم، واشتمّ الرائحة المألوفة لكلّ من النمر الأسود والبرق الخاطف والفراء الأغبر في الهواء الدافئ. تباطأت خطواتهم وهم يعبرون نفق القندول، يتقدّمهم البرق الخاطف.

وقف قلب النّار على أكفّه بارتياح. بات بإمكانه الآن مغادرة المخيم والبحث عن بسّ الغمام. سارع عبر الفسحة للقائهم، وسألهم: «كيف سارت الدورية؟».

أجاب البرق الخاطف: «ما من أثر للعشائر الأخرى».

أضاف النمر الأسود: «لكنّا اشتممنا رائحة تلميذك بالقرب من منطقة ذوي السّاقين».

سأله قلب النّار بنبرة عرضية قدر الإمكان: «وهل رأيتموه؟».

هزّ النمر الأسود رأسه نافياً.

ابتسم الفراء الأغبر ساخراً وقال: «أظنّ أنّه يبحث عن عصافير في إحدى حدائق ذوي السّاقين، فهي تناسب ذوقه على الأرجح».

تجاهل قلب النَّار سخرية الفراء الأغبر وسأل البرق الخاطف: «هل كانت الزائحة حديثة؟».

«إلى حدّ ما، لكنّنا فقدنا أثره عندما سلكنا طريق العودة إلى المخيم».

هزّ قلب النَّار رأسه. على الأقلّ، باتت لديه فكرة من أين يبدأ البحث. تمتّم موجهاً كلامه إلى النمر الزمادي والفراء الأغبر: «تودّ نجمة الصّباح رؤيتكما في وكرها». بينما كان المحاربان يبتعدان، تساءل قلب النَّار عمّا إذا كان يجدر به مرافقتهم، تحسّباً في حال كانت نجمة الصّباح لا تزال تتصرّف بغرابة، لكنّه سرعان ما رأى البرق الخاطف يقود بسّ الشوك إلى مدخل المخيم. سأله بنفاد صبر: «إلى أين تذهبان؟». فقد أمرت نجمة الصّباح ببقاء ثلاثة محاربين في المخيم، ولا يستطيع الذّهاب للبحث عن بسّ الغمام إذا خرج البرق الخاطف مجدّداً. أجاب البرق الخاطف من وراء كتفه: «لقد وعدت الفأرة السّمراء بتعليم بسّ الشوك كيفيّة اصطياد السناجب بعد ظهر هذا اليوم».

«لكنني...». تلاشى صوت قلب النَّار عندما نظر إليه المحارب النحيل بفضول، ولم يستطع أن يعترف بمدى قلقه على بسّ الغمام. هزّ رأسه متابعاً: «لا شيء»، بينما اختفى البرق الخاطف وبسّ الشوك في نفق القندول. شعر قلب النَّار بالذنب وهو يشاهد تلميذ الفأرة السّمراء يلحق بالمحارب من دون أيّ اعتراض. لماذا لم يستطع أن يستحثّ في تلميذه سلوكاً كهذا؟

مرّت فترة بعد الظهيرة ببطء. استقرّ قلب النَّار بجانب أجمة القراض خارج وكر المحاربين، ورفع أذنيه ليصغي بتمعّن إلى أصوات

الغابة، مترصداً أي إشارة لعودة بسّ الغمام. كان الخوف الذي بثته نجمة الصّباح في صدره قد تلاشى قليلاً بعد أن أخبره النّمر الأسود أنّه لم يشتم سوى رائحة المبتدئ الشاب خلال الدورية، من دون أي أثر لمتسلّلين إلى أراضي عشيرة الرّعد.

عادت فرقة الصّيد عندما بدأت الشّمس تغيب خلف قمم الأشجار. في أعقاب أفرادها، مشى الرّعب الأبيض وبسّة زاهية، وقد استدرجتهما بلا شك رائحة الفرائس الطازجة من غور التدريب. عاد النّمر الذّيال وبسّ رشيق بعد فترة وجيزة، ولكن لم يظهر أي أثر لبسّ الغمام. كان الصّيد وفيراً. مع ذلك، لم يقترب أي هزّ من الكومة. فقد انتشر خبر احتفال التسمية في أنحاء المخيم، واستطاع قلب النّار سماع بسّ الشّوك وبسّة زاهية وبسّ رشيق وهم يتهايمسون بحماسة خارج وكرهم. راحوا يسكتون بعضهم البعض عندما خرجت نجمة الصّباح من كهفها، ونظروا إلى الأعلى بأعين كبيرة مترقّبة.

قفزت زعيمة عشيرة الرّعد بسهولة على الصّخرة العالية في وثبة واحدة. من الواضح أنّها تعافت من إصابات الجسدية بعد المعركة مع القطط الشّريفة، لكنّ قلب النّار لم يعرف ما إذا كان عليه أن يشعر بالراحة أم بالقلق إزاء ذلك. فلماذا لم يتمائل عقلها للشفاء بالسرعة نفسها؟ تسارع نبضه عندما رفعت ذقنها استعداداً لمناداة أفراد العشيرة للاجتماع. بدا صوتها جافاً وأجشاً، كما لو أنّه أصبح مبحوحاً من قلة الكلام، ولكن عندما مالت عالياً بالكلمات المألوفة، شعر قلب النّار أنّه يستعيد ثقته. توهّجت شمس المغيب على فرائه البرتقالي، وتذكّر مراسم تسميته عندما انضمّ إلى العشيرة. رفع قلب النّار كتفيه بفخر، واحتلّ مكان النائب عند أعلى الفسحة أسفل الصّخرة العالية، بينما تجمّع بقية أفراد

العشيرة في دائرة حول أطراف الفسحة. جلس النمر الأسود بهدوء في المقدمة، يحدّق إلى الأمام من دون أن يرف له جفن، واستقرّ الفراء الأغبر بجانبه بتصلّب، غير قادر على كبت الحماسة التي تشعّ من عينيه. قالت نجمة الصّباح بنبرة رسمية، وهي تنظر إلى حيث جلست عين الزمرد، وصغيراها عن يمينها وشمالها: «لقد اجتمعنا اليوم لتسمية مبتدئين من العشيرة». بالكاد عرف قلب النّار الهزين الرماديين الصاخبين اللذين رأهما يتعاركان في الحضانة في وقت سابق. فقد بدوا أصغر بكثير هنا، خارج الحضانة، بفرائهما المسرّح بعناية. مالت البسبوسة نحو أمّها، وارتعش شاربها بحماسة، بينما راح أخوها الأكبر حجماً يعجن الأرض بأكفه.

خيّم الضمت على بقية أفراد العشيرة.

سمع قلب النّار صوت نجمة الصّباح وهي توجّه الأوامر من الأعلى: «تقدّما».

تقدّم الصّغيران جنباً إلى جنب إلى وسط الفسحة، وانتصب فرائهما الرمادي المرقط بترقب.

قالت نجمة الصّباح: «أيّها الفراء الأغبر، ستكون مدرّب بسّ أرقش». شاهد قلب النّار الفراء الأغبر وهو يسير باتجاه الصّغير الرمادي الأكبر حجماً ويقف بجانبه.

تابعت نجمة الصّباح: «سيكون هذا تلميذك الأوّل أيّها الفراء الأغبر. شاركه شجاعتك وعزيمتك. أنا أعلم أنّك ستحسن تدريبه، لكن لا تتردّد في اللجوء إلى كبار المحاربين طلباً للمشورة».

لمعت عينا الفراء الأغبر بفخر، وانحنى ليلاصّ أنف بسّ أرقش بأنفه. فخرخر هذا الأخير بصوت عالٍ وهو يتبع مدرّبه الجديد إلى طرف

بقيت الهزة الأصغر حجماً في وسط الفسحة. كانت عيناها تلمعان وصدرها الصغير يرتعش. التقى نظر قلب النار بنظرها وغمزها بمودة، فحدقت إليه الصغيرة كما لو أنّ حياتها تعتمد عليه.

«أيها النمر الأسود». توقفت نجمة الصّباح عندما مامت باسم المحارب. ارتعش قلب النار وهو يلوح الخوف في عيني الزعيمة، فحبس أنفاسه. غير أنّ نجمة الصّباح تجاهلت شكوكها وتابعت تقول: «ستكون مدرباً لبسة الرّيش». اتّسعت عينا الهزة الصغيرة، والتفتت لترى المحارب المخطّط الكبير يقترب منها.

مامت نجمة الصّباح قائلة: «أنت هزّ ذكيّ وجريء أيها النمر الأسود. أعطِ هذه المبتدئة الشابة كلّ ما تستطيع من معرفة وخصال حميدة». وعدّها النمر الأسود قائلاً: «بالتأكيد»، ثمّ انحنى ليلاّمس أنف بسّة الرّيش، التي انكمشت على ما يبدو للحظة، قبل أن تمدّ رأسها لقبول التحيّة. وبينما كانت المبتدئة الجديدة تتبع النمر الأسود إلى طرف الفسحة، ألقت نظرة قلقة من فوق كتفها على قلب النار، فهزّ رأسه مشجّعاً.

بدأت القطط الأخرى تهنئ المبتدئين الجديدين، وتحتشد حولهما وتناديهما باسميهما الجديدين. وكان قلب النار على وشك الانضمام إليهم عندما لمح فراء أبيض يندسّ خلصة في المخيم. لقد عاد بسّ الغمام.

أسرع قلب النار إليه وسأله: «أين كنت؟». أسقط بسّ الغمام الفأر من بين فكّيه مجيباً: «في الصّيد». «أهذا كلّ ما جلبته؟ كنت تصطاد أكثر من ذلك في فصل الثلوج!».

هزّ بسّ الغمام كتفيه بلا اكتراث: «هذا أفضل من لا شيء». سألَه قلب النَّار: «وماذا عن الحمامة التي اصطدتها هذا الصُّباح؟». «ألم تحضرها معك؟».

ردّ قلب النَّار بحدّة «هذا صيدك أنت!».

جلس بسّ الغمام، ولفّ ذيله على كفيه الأماميتين، ثمّ ماء قائلاً: «أظنّ أنّه سيكون عليّ إحضارها في الصُّباح».

أجاب قلب النَّار، غاضباً من لامبالاة بسّ الغمام: «أجل، وحتىّ ذلك الحين ستبقى جائعاً. اذهب وضع هذا» - أشار بأنفه إلى فأر الحقول - «فوق كومة الذبائح الطازجة».

هزّ بسّ الغمام كتفيه مجدّداً، والتقط الفأر ثمّ ابتعد. استدار قلب النَّار، والغضب ما زال يعتمل في صدره، ورأى الرّعب الأبيض واقفاً خلفه.

ماء المحارب الأبيض بهدوء: «سيتعلّم عندما يصبح جاهزاً». تمتم قلب النَّار: «آمل ذلك». سألَه الرّعب الأبيض، محاولاً تغيير الموضوع بطريقة دبلوماسية: «هل قرّرت من سيقود دوريّة الفجر؟».

تردّد قلب النَّار. لم يكن قد فكّر بعد في أمر هذه الدوريّة، ولا في بقيّة الدوريات وفرق الصيد لليوم التالي، فقد كان فكره مشغولاً ببسّ الغمام.

ماء الرّعب الأبيض مبتعداً: «فكّر في ذلك قليلاً، فلا يزال أمامك متّسع من الوقت».

قرّر قلب النَّار بسرعة: «سأقود أنا الدوريّة، وسيرافقني النّمر الذّيال والفأرة السّمراء».

خرخر الرّعب الأبيض: «فكرة حسنة، هل أخبرهما بذلك؟». ألقى نظرة سريعة على كومة الصّيد الجديدة، وكانت القطط قد بدأت تتجمّع حولها.

أجاب: «أجل، شكراً».

شاهد المحارب الأبيض يتّجه نحو الكومة، بينما احتجّت بطنه جوعاً. كان على وشك أن يتبعه، عندما لمح مجدّداً فراء أبيض طويلاً بلون الثلج الحديث، يختلط مع القطط حول كومة الفرائس. من الواضح أن بسّ الغمام قد عصى أمر قلب النّار بشأن عدم مشاركتهم الطعام. ومع أنّه شعر بالحنق، إلّا أنّه لازم مكانه، وأكفّه ثقيلة كالحجر. فهو لم يرغب في الجدل مع بسّ الغمام أمام باقي أفراد العشيرة.

في اللحظة نفسها، شاهد قلب النّار بسّ الغمام وهو يلتقط فأراً سميناً ثمّ يصطدم بالرّعب الأبيض. ورأى المحارب الأبيض يحدّق بجديّة إلى بسّ الغمام كما سمعه يتمم له بشيء ما - لم يتمكّن من معرفة ما هو، لكنّ الهزّ الشابّ أسقط الفأر من فمه على الفور وعاد إلى وكره خافضاً ذيله.

أدار قلب النّار رأسه بعيداً، وقد شعر بالحرص لأنّه لم يواجه بسّ الغمام قبل أن يفعل المحارب الكبير. فجأة، تلاشى إحساسه بالجوع. وحين رأى نجمة الصّباح ممّدة تحت أجمة الخنشار بجانب وكر المحاربين، تاق إلى مشاركة مخاوفه بشأن تلميذه المتمرّد مع مدرّبه القديمة. غير أنّ نظرة الخوف كانت قد عادت إلى عينيها وهي تلتقط بفتور طائر سمّن صغير. فشعر قلب النّار بحزن كالجليد يملّك قلبه وهو يشاهد زعيمة عشيرة الرّعد تنهض على أكفّها وتمشي ببطء إلى وكرها، تاركة طائر السمّن على حاله.



الفصل 4



في تلك الليلة، حلم قلب النار بوقع أكف ناعمة. ظهرت على أثره هزة بنية من الغابة بجانبه، وتوهجت عيناها العنبريتان. حدّق قلب النار إلى الورقة الرّقطاء، واعتصر الألم المألوف قلبه. كان الألم الذي خلفه موت الهزة المداوية، منذ عدّة أشهر، لا يزال مبرحاً. انتظر بفارغ الصبر تحيتها اللطيفة، لكنها لم تلامس خده بأنفها هذه المرة كما اعتادت أن تفعل. بدلاً من ذلك، استدارت ومشّت بعيداً. فوجئ قلب النار وبدأ يتبعها، ثمّ راح يجري لمطاردة الهزة المرقطة عبر الغابة. ناداها، ومع أنّها لم تسرع في مشيتها كما بدا له، إلّا أنّها بقيت أمامه، غير مكترثة لندائه. من دون سابق إنذار، لاح شكل رماديّ داكن من خلف إحدى الأشجار. كانت نجمة الصّباح. اتّسعت عينا زعيمة عشيرة الرّعد بخوف، فتحوّل قلب النار عنها لتجنّبها، وحاول بيأس إبقاء الورقة الرّقطاء ضمن مجال رؤيته. لكن في تلك اللحظة، قفز عليه بسّ الغمام من فوق نباتات الخنشار التي اصطقت على الجانب الآخر من الطّريق، وأوقعه أرضاً. فاستلقى قلب النار للحظة يلتقط أنفاسه، واستطاع أن يشعر بنظرات الرّعب الأبيض تخترق فراءه، بينما كان المحارب يراقبه من على أغصان إحدى الأشجار.

قفز قلب النّار على أكفّه وراح يجري خلف الورقة المرقّطة مجدّداً. كانت لا تزال على بُعد عدّة ثعالب أمامه، تمشي بثبات من دون أن تلتفت حتّى لترى من الذي ناداها. الآن، احتشد بقيّة أفراد عشيرة الرّعد على طريق قلب النّار. وبينما كان يحاول أن يشقّ طريقه بينهم، راحوا ينادونه. صحيح أنّه لم يستطع فهم كلامهم، لكنّ أصواتهم شكّلت جوقة صاخبة من المواء والاستجواب والنقد والتوسّل للمساعدة. علا المواء إلى أن طغى على ندائه، وحتّى لو كانت الورقة الرّقطاء تصغي إليه، لما سمعته. «قلب النّار!» طغى صوت على بقيّة الأصوات. كان صوت الرّعب الأبيض، الذي تابع قائلاً: «الفأرة السّمراء والنّمر الذّيال ينتظران للانطلاق. استيقظ يا قلب النّار!».

دفع قلب النّار نفسه للوقوف وهو شبه نائم، وقال مترنّحاً: «م— ماذا؟».

تسلّل ضوء الصّباح الباكر إلى وكر المحاربين. وقف الرّعب الأبيض بجانبه في الوكر الخالي، في المكان الذي اعتاد النّمر الرّمادي أن ينام فيه، وكرّر يقول: «الدوريّة تنتظر، كما أنّ نجمة الصّباح تريد رؤيتك قبل أن تذهب».

هزّ قلب النّار رأسه لتصفية ذهنه، وقد أخافه الحلم. فلطالما كانت الورقة الرّقطاء مقرّبة منه في الأحلام أكثر ممّا كانت عليه حتّى وهي على قيد الحياة. لذا، ألمه سلوكها في اللّيلة الماضية، كمن تعرّض لعصّة ثعبان. هل تخلّت عنه الهرة المداوية؟

تراجع قلب النّار إلى الخلف يتمطّى، وأطرافه ترتعش. «أخبرِ الفأرة السّمراء والنّمر الذّيال أنّني سألحق بهما بأسرع ما يمكن». مرّ بسرعة بين أجسام بقيّة المحاربين النائمين. فلمح عين الزّمرد نائمة بالقرب من

جدار الوكر، بينما تكوّرت بياض الثلج بجانبها. لقد عادت الهزتان إلى حياتهما كمحاربيتين بعد أن غادر صغارهما الحضانة.

شقّ قلب النّار طريقه إلى الفسحة. كان الجوّ دافئاً، على الرّغم من أنّ الشّمس لم ترتفع بعد فوق قمم الأشجار، وبدأت الغابة خضراء ومغرية عند أعلى الوادي. بينما كان يستنشق الروائح المألوفة للغابة، بدأ الألم الذي خلّفه الحلم يتلاشى، وشعر بفرائه ينسبط على كتفيه.

كان النّمر الذّيال والفأرة السّمراء ينتظران عند مدخل المخيم. فأوماً لهما قلب النّار وهو يتّجه إلى وكر نجمة الصّباح. ماذا تريد منه زعيمة عشيرة الرّعد في هذا الوقت المبكر؟ هل تؤدّ أن توكل إليه مهمّة خاصّة؟ أحسّ قلب النّار رغباً عنه أنّها دلالة على أنّ نجمة الصّباح استجمعت نفسها، فألقى عليها تحيّة مرحّة عبر ستارة الأشنة.

«ادخل!». بدت الحماسة في صوت زعيمة العشيرة، فتعاظمت آمال قلب النّار. في الداخل، كانت نجمة الصّباح تذرّع الأرض الرّمليّة ذهاباً وإياباً. ولم تتوقّف عندما دخل قلب النّار، بل اضطرّ هذا الأخير لضغط جسده على الجدار لكي يفسح لها الطّريق.

قالت من دون أن تنظر إليه: «قلب النّار، أريد أن أشارك الأحلام مع عشيرة الظّلال. عليّ السفر إلى حجر القمر». كان حجر القمر عبارة عن صخرة متألّثة تقع في عمق الأرض وراء أراضي عشيرة الرّيح، التي تغرب عندها الشّمس.

سألها قلب النّار وقد بدت عليه الدّهشة: «هل تريد الذهاب إلى الأحجار العالية؟».

أجابت نجمة الصّباح بصبر نافذ: «وهل تعرف حجر قمر آخر؟» كانت لا تزال تروح وتجيء، ووقعُ أكفّها يتردّد في الوكر.

أجاب متلعثماً: «لكنَّ الطريق طويل إلى هناك، هل أنت واثقة من قدرتك على تحمّل هذه المشقّة؟».

أصرت نجمة الصّباح على موقفها قائلة: «عليّ التحدّث مع عشيرة النّجوم!» توقّفت فجأة، وضاحت عينها وهي تنظر إلى نائبها. «كما أريدك أن ترافقني. بإمكان الرّعب الأبيض أن يتولّى مسؤوليّة العشيرة في غيابنا». أخذ انزعاج قلب النّار يتنامى بسرعة. «ومن سيرافقنا أيضاً؟».

أجابت نجمة الصّباح بتجهم: «لا أحد».

ارتعش قلب النّار، وشعر بالارتباك من حدّة نبرة الزعيمة وعبوسها، إذ بدا الأمر كما لو أنّ حياتها تعتمد على هذه الرحلة. تجرّأ وسألها: «ولكن أليس من الخطر بعض الشّيء أن نذهب بمفردنا؟».

ألقت عليه نجمة الصّباح نظرة جليديّة، وجفّ فمه عندما هسّت في وجهه: «أتريد أن يرافقنا الآخرون؟ لماذا؟».

حاول أن يجيب بنبرة ثابتة: «ماذا لو تعرّضنا لهجوم؟».

همست بصوت خشن: «ستدافع عني، ألن تفعل؟».

وعدها قائلاً: «سأدافع عنك بحياتي!». فبغض النظر عن رأيه في سلوك نجمة الصّباح، إلّا أنّ ولاءه لزعيمته لم يتزعزع.

من الواضح أنّ كلامه طمأنها، فجلست أمامه. «هذا جيّد».

أمال قلب النّار رأسه جانباً، وسألها بتردد: «ولكن ماذا عن الخطر الذي يتهدّدنا من عشيرتي الرّيح والظلال؟ لقد ذكرت ذلك بنفسك أمس».

هزّت رأسها ببطء، فتابع يقول: «سيتعيّن علينا عبور أراضي عشيرة الرّيح للوصول إلى الأحجار العالية».

هبت نجمة الصّباح واقفة. انتصب فراء كتفيها، وقالت بحدّة: «يجب

أن أتحدّث مع عشيرة النّجوم، فلماذا تحاول أن تُثنيّني عن الذّهاب؟ إمّا أن ترافقني أو أن أذهب بمفردي!».

نظر إليها المحارب الشابّ وأدرك أنّه لا يملك الخيار، فوافق قائلاً: «سأرافقك».

هزّت نجمة الصّباح رأسها مجدّداً، ولانت نبرتها قليلاً وهي تجيب: «هذا جيّد، سنحتاج إلى أعشاب السّفر للحفاظ على قوّتنا. لذا، سأذهب وأطلب من جمرة تحضيرها». تجاوزته، وشقّت طريقها إلى خارج الكهف.

سألها: «هل نحن ذاهبان الآن؟».

أجابت من دون أن تتوقّف: «أجل».

تبعها إلى خارج الوكر وهو يحتجّ قائلاً: «لكن يفترض بي أن أقود دورية الفجر».

أمرته نجمة الصّباح قائلة: «أرسلهم بدونك».

«حسناً». توقّف قلب النّار، وشاهد الهرة تختفي بين نباتات الخنشار المؤدّية إلى فسحة جمرة. تملكه إحساس قويّ بعدم الارتياح وهو يتّجه إلى مدخل المخيم ليتحدّث إلى النّمر الذّيال والفأرة السّمراء. كان النّمر الذّيال يحرك ذيله بنفاد صبر، بينما استلقت الفأرة السّمراء على بطنها، وشاهدت بعينين شبه مغمضتين قلب النّار وهو يقترب.

سأله النّمر الذّيال: «ماذا يجري؟ لماذا ذهبت نجمة الصّباح لرؤية جمرة؟ أهى بخير؟».

أجابه قلب النّار: «لقد ذهبت لإحضار أعشاب السّفر، فهي تريد مشاركة الأحلام مع عشيرة النّجوم. لذا، نحن ذاهبان إلى حجر القمر». علّقت الفأرة السّمراء قائلة وهي تعدّل جلستها ببطء: «لكنّ الطّريق

إلى هناك طويل. أهو قرار حكيم؟ فنجمة الصّباح ما زالت متعبة على الأرجح بعد هجوم القطط الشّريدة». لاحظ قلب النّار كيف تجنّبت بلباقة ذكر دور النّمر الشّرس في الهجوم.

أجاب: «أخبرتني أنّ عشيرة النّجوم استدعتها».

سأله النّمر الذّيال: «ومن سيرافقكما أيضاً؟».

«لا أحد غيرنا أنا ونجمة الصّباح».

عرضت عليه الفأرة السّمراء قائلة: «سأتي أنا أيضاً، إن رغبت».

هزّ قلب النّار رأسه أسفاً.

لوى النّمر الذّيال فمه بسخرية، وهسّ قائلاً: «هل تظنّ أنّك قادر على حمايتها بمفردك؟ صحيح أنّك النائب، لكنّك لست النّمر الشّرس!». «من حسن الحظّ أنّه ليس كذلك!» أحسّ قلب النّار بالارتياح يغمره عندما تناهى إلى مسمعه صوت الرّعب الأبيض من خلفه. لا بدّ أنّ المحارب الأبيض سمع الحديث كاملاً، لأنّه تابع يقول: «من غير المرجّح أن يلاحظ أحدهم قلب النّار ونجمة الصّباح إذا سافرا معاً على هذا النّحو. فبغضّ النّظر عن امتلاكهما حقّ المرور الآمن إلى الأحجار العالية على أيّ حال، من المحتمل أن يظهروا كمجموعة إغارة على عشيرة الرّياح إن رافقهما مزيد من المحاربين».

أومأت الفأرة السّمراء برأسها موافقة، بينما أشاح النّمر الذّيال بوجهه بعيداً. أمّا قلب النّار، فنظر بامتنان إلى المحارب الأبيض.

«جمرة!». علا مواء نجمة الصّباح المضطرب من وكر الهرة

المداوية.

ماء الرّعب الأبيض بصوت خافت: «اذهب إليها، سأقود الدورية

بنفسي».

أجابه قلب النار: «لكنّ نجمة الصّباح تريدك أن تتولّى مسؤوليّة العشيرة في غيابنا».

«في هذه الحال، سأبقى هنا وأنظّم فرق الصّيد لهذا اليوم. بإمكان الفأرة السّمراء قيادة الدورية».

وافقه محاولاً إخفاء اضطرابه: «نعم». أضاف وهو يلتفت إلى الفأرة السّمراء: «خذي معك بسّ الشوك».

خفضت الهرة رأسها، فيما استدار قلب النار وركض عبر الفسحة إلى وكر الهرة المداوية.

قالت جمرة عندما خرج قلب النار من النفق: «أظنّ أنّك بحاجة إلى بعض أعشاب السّفر أنت أيضاً». جلست الهرة المسنّة بهدوء في الفسحة، بينما راحت نجمة الصّباح تسير بقلق في الأرجاء، تائهة في أفكارها.

أجاب قلب النار: «نعم، من فضلك».

خرجت فراء الرّماد وهي تعرج من الوكر في شقّ الصّخرة، واتّجهت مباشرة نحو جمرة من دون التوقّف لإلقاء التحية عليه. همست في أذن الهرة المداوية الشّعثاء: «أيّ عشبة هي البابونج؟».

هست جمرة بغضب: «ينبغي أن تكوني قد أصبحت قادرة على معرفتها!».

انتفضت أدنا فراء الرّماد. «ظننتُ أنّي أعرفها لكنني لست متأكّدة. أردت أن أتحقّق وحسب».

شخرت جمرة، وقامت من جلستها، ثمّ ذهبت إلى أسفل الصّخرة، إلى حيث اصطفت أكوام صغيرة من الأعشاب.

نظر قلب النار إلى نجمة الصّباح. كانت قد توقّفت عن السير،

وراحت تحدّق إلى السّماء وهي تشتمّ الهواء بحذر. فلحق بجمرة متممّاً: «البابونج ليس عشبة سفر».

ضاقّت عينا جمرة. «تحتاج نجمة الصّباح إلى عشبة تُسكن قلبها وتمنحها القوّة الجسديّة». وجهّت نظرة لاذعة إلى فراء الرّماد مضيفة: «وكنّت أرغب بإضافتها إلى أعشاب السّفر من دون أن يعلم كلّ من في المخيم بذلك!» ثمّ دفعت إحدى الكومات بكفّها الثقيلة. «هذا هو البابونج».

مات فراء الرّماد بخنوع: «نعم، تذكّرتّه الآن». وبخّتها جمرة: «ما كان عليك نسيانه في الأساس، فالهرة المداوية لا تملك الوقت للشكّ. نصيحتي لك، استثمري طاقتك في الوقت الحاضر بدلاً من البكاء على الماضي. لديك واجب تجاه عشيرتك، لذا تخلّصي من هذا التردّد، وامضي قدماً!».

أحسّ قلب النّار بالأسف على الهرة الشابة. حاول أن يلفت انتباهها، لكنّها لم تنظر إليه. بدلاً من ذلك، انشغلت بتحضير خلطة السّفر، فطحنت كمّيّات صغيرة من كلّ كومة من الأعشاب وخلطتها معاً، في حين وقفت جمرة تراقبها عابسة.

خلفهم، كانت نجمة الصّباح تذرّع الفسحة مجدّداً ذهاباً وإياباً. أخيراً، مات بنفاد صبر: «ألم تجهز الأعشاب بعد؟».

اقترب قلب النّار منها وأجاب: «أوشكت أن تجهز. لا تقلقي، سنصل إلى الأحجار العالية عند غروب الشّمس». نظرت إليه ورفّت عينيها، بينما اقتربت فراء الرّماد حاملة كومة من الأعشاب.

تمتّت وهي تضع خلطة الأوراق عند أكفّ نجمة الصّباح: «هذه لك». ثمّ أومأت برأسها باتجاه الصّخرة، وقالت لقلب النّار: «أعشابك

هناك».

كان لا يزال يبتلع ريقه ليغسل طعم الأعشاب المرّ من فمه، عندما توجهت نجمة الصّباح إلى خارج الفسحة، وأومات له برأسها ليتبعها. حولهما، بدأت الحركة تدبّ في المخيم. كانت غصن الصّفصاف قد خرجت للتوّ من الحضانة وهي ترفّ جفניה وقد أبهرها ضوء الشّمس السّاطع، بينما راح كشكول يتمطّى بأطرافه المسنّة أمام جذع السّنديانة المقطوعة. نظر الاثنان بفضول إلى نجمة الصّباح وقلب النّار، ثمّ واصلا روتينهما الصّباحي.

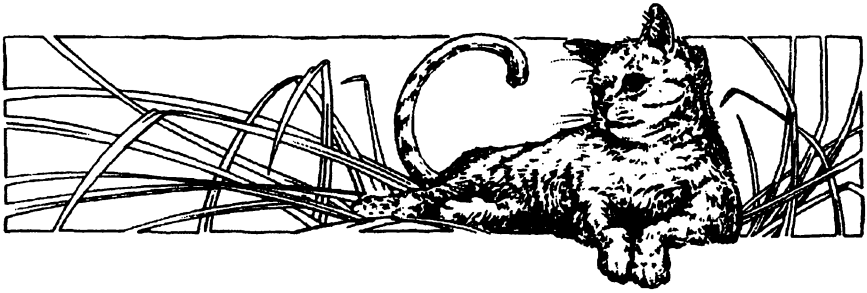
«مرحباً!».

سمع قلب النّار صوتاً مألوفاً خلفه، فغاص قلبه. كان بسّ الغمام الذي خرج من وكره بفرائه المشعث بعد ليلة من النّوم. «إلى أين أنت ذاهب؟ هل بإمكانني المجيء معك؟».

توقّف قلب النّار عند مدخل النّفق. «أليس عليك إحضار الحمامة؟». أجاب بسّ الغمام: «بإمكان الحمامة أن تنتظر. أنا واثق من أن بومة ما قد اختطفتها أساساً. دعني أرافقك، من فضلك!».

صحّح له قلب النّار: «البوم لا يأكل إلاّ الفرائس الحيّة». رأى البرق الخاطف وهو يخرج بنعاس من وكر المحاربين، فناداه قائلاً: «أيّها البرق الخاطف، هلاً اصطحبت بسّ الغمام إلى الصّيد هذا الصّباح؟». لمح وميض استياء في عينيّ المحارب الذي أوماً برأسه من دون حماسة. فتذكّر قلب النّار كيف اصطحب البرق الخاطف بسّ الشّوك يوم أمس عن طيب خاطر لاصطياد السّناجب، لكن من الواضح أنّه ليس مولعاً بسّ الغمام، وفي الواقع، هو لا يلومه على ذلك. فتلميذه لا يبذل جهداً كافياً ليكسب احترام قطط العشيرة.

تذمر بسّ الغمام قائلاً: «هذا ليس عادلاً، فقد ذهبت للصيد يوم
أمس. ألا يمكنني المجيء معك؟». قاطعه قلب النار بحدة: «كلاً، بل ستذهب للصيد اليوم مع البرق
الخاطف!». استدار قلب النار ولحق بنجمة الصّباح، قبل أن يترسل
بسّ الغمام في جداله.



الفصل 5



كانت زعيمة عشيرة الرّعد قد وصلت إلى أعلى الوادي عندما لحق بها قلب النّار. توقّفت لتشم الهواء قبل دخول الغابة، ولاحظ بارتياح كم بدت مسترخية بعد أن غادرا المخيم، وهي تشتم طريقها عبر الشّجيرات باتجاه حدود عشيرة النّهر.

التفت قلب النّار باستغراب إلى الهرة، إذ لم يكن هذا الطّريق الأسرع إلى الأشجار الأربع والمرتفعات الواقعة خلفها، لكنّه مع ذلك لم يسألها. بالمقابل، شعر بالحماسة لإمكانية أن يلمح النمر الرّمادي على الضفة الأخرى من النّهر.

التقى المحارب والزعيمة عند حدود عشيرة النّهر، فوق الصّخور المشمسة، وتبعاً آثار الرائحة بعكس جريان النّهر. حمل نسيم دافئ رائحة نبات الخلنج الخفيفة من المستنقع إليهما، واستطاع سماع تدفق النّهر من الجانب الآخر من نباتات الخنشار. فرفع عنقه، ورأى الماء يتلألأ في بقع من الصّوء تحت الأشجار. فوق رأسه، توهّجت الأوراق باللّون الأخضر، وتألّقت في الأطراف التي اخترق عندها ضوء الشّمس سقّف الغابة الكثيف. حتّى في الظلّ، شعر قلب النّار بالحرّ، وتمنّى لو يغطس في الماء، مثل قطط عشيرة النّهر، ليبرد جسده.

أخيراً، انعطف النهر بالاتجاه المعاكس، وتوغّل في أراضي عشيرة النهر، بينما واصلت نجمة الصّباح سيرها في خطّ مستقيم، وهي تتبع الآثار على طول الحدود بين عشيرتي الرّعد والنهر. أمّا قلب النّار، فلم يكفّ عن إلقاء النظرات من فوق أثر الرّائحة، يفتّش الغابة الممتدّة وراءه بحثاً عن أيّ أثر لقطط عشيرة النهر، خشية أن يتمّ رصدتهما من قبل إحدى الدوريات، وكذلك أملاً في رؤية صديقه القديم. كانت نجمة الصّباح تتقدّمه بهوّر بالقرب من الحدود، حتّى إنّها كانت تتجاوزها من حين إلى آخر أثناء مرورهما بين الشّجيرات. ولا يدري قلب النّار كيف سيكون ردّ فعل عشيرة النهر إذا ما عثروا عليهما هنا. فقد أوشكت العشيرتان على الدخول في صراع حول صغيّري شعاع الفضة، ولم تتجنّب المعركة إلّا عندما أعاد النمر الرمادي صغيّره إلى عشيرة أمّهما. فجأة، توقّفت نجمة الصّباح ورفعت خطمها، ثمّ فتحت فمها لتشتّم الهواء. جلست في وضع القرفصاء، وبما أنّ قلب النّار كان يثق في الغريزة الدّفاعية لنجمة الصّباح، فقد انخفض هو الآخر، واختفى خلف رقعة من نبات القراص.

حدّرتة نجمة الصّباح بصوت هامس: «إنّهم محاربو عشيرة النهر». تمكّن قلب النّار من اشتمام رائحتهم الآن. شعر بفرائه ينتصب مع اشتداد الرّائحة، وسمع احتكاك فرائهم بالشّجيرات أمامهما. فرفع رأسه ببطء شديد ونظر من خلال الأشجار، بينما تسارع نبضه وهو يبحث عن فراء رماديّ مألوف. بجانبه، اتّسعت عينا نجمة الصّباح وبالكاد تحرك جسمها وهي تأخذ أنفاساً صامتة وخفيفة. تساءل قلب النّار في نفسه، هل كانت تأمل في رؤية النمر الرمادي هي الأخرى؟ لم يخطر بباله من قبل أن ترغب نجمة الصّباح هي أيضاً في مصادفة بعض قطط عشيرة

النَّهْر. غير أن هذا يفسّر بالتأكيد سبب مجيئها من هذا الطريق.

مع ذلك، لم يصدّق قلب النّار أن رغبتها في رؤية النمر الرّمادي هي التي أتت بها إلى هنا. فبالأمس، عندما كانت مشوشة، نسيت أن المحارب الرّمادي ترك العشيرة، وشعر أن أفكاراً أخرى كانت تدور في ذهن زعيمة العشيرة. فجأة، صدمته حقيقة الأمر، تماماً مثل صغير طائر يسقط بين كفيّه.. إنهما صغيراها. فمنذ أقمار عديدة، أنجبت زعيمة عشيرة الرّعد صغيرين نشأ في عشيرة النّهر. إذ عهدت بهما إلى أبيهما الذي ينتمي إلى عشيرة النّهر عندما بلغا بالكاد السنّ المناسبة لمغادرة الوكر. في الواقع، حال طموح نجمة الصّباح وولاؤها لعشيرتها دون أن تربي صغيرها بنفسها. والآن، يعيش الهزان كمحاربين في عشيرة النّهر، من دون أن يدركا أن أمهما الحقيقيّة تنتمي إلى عشيرة الرّعد. غير أن نجمة الصّباح لم تنسهما قطّ، على الرّغم من أن أحداً لا يعرف سرّها سوى قلب النّار. لا بدّ أنّها تبحث عن قلب الصوّان وسحابة الضّباب بين الشّجيرات.

لمح قلب النّار فراء صفراوياً مرقطاً من بعيد، فانخفض مجدداً. لم يكن النمر الرّمادي ولا أيّاً من ولدي نجمة الصّباح، ذلك أن الرّائحة المألوفة بعض الشّيء أكّدت لقلب النّار هويّة المحارب. إنّها فراء الفهد، نائبة عشيرة النّهر.

نظر قلب النّار إلى نجمة الصّباح. كان رأسها لا يزال مرفوعاً، تحدّق من خلال الأشجار. أنذره حفيف الخنشار من أن فراء الفهد تقترب، فشعر بأنفاسه تتسارع. ماذا سيحدث إذا رأت زعيمة عشيرة الرّعد قريبةً إلى هذا الحدّ من حدود عشيرة النّهر؟

تجمّد قلب النّار بينما ارتفع صوت الحفيف في الأجسام. سمع

نائبة عشيرة النّهر تتوقّف، وأدرك من صمتها أنّها اكتشفت شيئاً ما. فحدّق بيأس إلى نجمة الصّباح، وكان على وشك أن يشير إليها بذيله، عندما خفضت رأسها وهست في أذنه: «تعال! من الأفضل أن نتوغّل في أراضيها».

تنهّد قلب النّار بارتياح، بينما تسلّلت زعيمة عشيرة الرّعد بعيداً بصمت. أبقى أذنيه مسطّحتين وبطنه على الأرض، وتبعها مبتعداً عن علامات الرّائحة إلى أمان غابة عشيرة الرّعد.

قالت نجمة الصّباح ما إن ابتعدا عن الحدود: «إنّ فراء الفهد تتحرّك بصخب شديد، حتّى إنّ عشيرة الظّلال سمعتها تقترب على ما أظنّ». ارتعش شاربا قلب النّار وقد فوجئ بكلامها، وبدأ يتساءل عمّا إذا كانت نجمة الصّباح قد نسيت مدى الشراسة التي تدافع بها العشائر عن حدودها، لا سيّما في هذه الأوقات العصيبة.

تابعت بهدوء: «إنّها محاربة جيّدة، ولكن من السهل تشتيت انتباهها. فقد كانت أكثر اهتماماً بذاك الأرنب الواقف بعكس اتّجاه الرّيح منها بالبحث عن محاربين أعداء».

لم يسع قلب النّار إلّا أن يشعر بالفرح لثقة زعيمته. والآن وقد فكّر في الأمر، فقد حمل النسيم بالفعل رائحة أرنب، لكنّه كان شديد الانشغال بالاختباء من فراء الفهد ولم ينتبه لذلك.

خرخرت نجمة الصّباح وهي تمشي على أرض الغابة المرقّطة ببقع مضيئة: «هذا يذكرني بالأيام التي كنت أصطحبك فيها للتدريب». ركض قلب النّار للّحاق بها، وأجاب: «وأنا كذلك».

تمتّت قائلة: «كنت سريع التعلّم، وكان خيارى موفّقاً عندما دعوتك للانضمام إلى عشيرتي». نظرت إلى الخلف من فوق كتفها إلى

قلب النار، ورأى الفخر في عينيها، فرف عينيه بامتنان.

أضافت: «لدى كلّ عشيرة من العشائر ما تشكره عليه. فقد أخرجت النمر الذئال من عشيرة الظلال، وأعدت عشيرة الرياح من المنفى إلى أرضها، وساعدت عشيرة النهار خلال الفيضان، وأنقذت عشيرة الرعد من النمر الشرس». بدأ قلب النار يشعر بالإرباك قليلاً من مديحها، بينما تابعت تقول: «ما من محارب يملك حسك بالعدالة أو الولاء أو الشجاعة...»
انتصب فراء قلب النار بتوتر وأجاب: «لكنّ جميع قطط عشيرة الرعد تحترم قانون المحاربين مثلي. وكل واحد منهم مستعد للتضحية بحياته لحمايتك وحماية العشيرة».

توقفت نجمة الصباح، واستدارت لتنظر إليه. ذكرته قائلة: «أنت الهز الوحيد الذي تجزأ على الوقوف في وجه النمر الشرس».
«لكنني كنت الوحيد الذي علم أنه قتل ذيل الأرجوان!». كان قلب النار لا يزال مبتدئاً عندما اكتشف أنّ محارب عشيرة الرعد هو المسؤول عن موت نائب نجمة الصباح المخلص، لكنه لم يتمكن من إثبات جريمة النمر الشرس إلا عندما استخدم الهز الخائن القطط الشريفة ضدّ عشيرته. ومض الاستياء كالنار في عيني نجمة الصباح. «كان النمر الزمادي يعرف هو الآخر، لكنك الوحيد الذي أنقذني!».

أشاح قلب النار بنظره بعيداً، وقد خانت الكلمات، وانتفضت أذناه بتوتر. بدا له كما لو أنّ نجمة الصباح لم تعد تثق بأيّ من محاربيها باستثنائه هو، وربما الرعب الأبيض أيضاً. وأدرك أنّ الضرر الذي تسبّب به النمر الشرس يفوق ما يمكن أن يتخيله أيّ فرد من أفراد العشيرة. فقد سمّم المحارب الداكن قدرة زعيمته على الحكم واستنزف كلّ ثقتها في محاربيها.

قالت نجمة الصّباح: «هيا بنا!».

شاهد الهزّة الزّمادية وهي تتّعد عبر الغابة، بكتفين متصلّبتين وذيل مرفوع، وسرت رعشة في جسده. فعلى الرّغم من أنّ السّماء كانت لا تزال صافية فوقهما، إلّا أنّه شعر كما لو أنّ سحابة سوداء حجبت ضوء الشّمس وألقت بظلّ مشؤوم على رحلتها.

وصلا إلى الأشجار الأربع مع تخلّل أشعة الشّمس قمم الأشجار. فتبع نجمة الصّباح إلى أسفل المنحدر، باتّجاه إلى الوادي. هناك، انتصبت أشجار السّنديان الأربع الضّخمة تحرس المكان الذي تجتمع فيه العشائر عند اكتمال القمر، بموجب هدنة ليلة واحدة. مرّ الهزّان بالصّخرة العظيمة التي يقف عليها زعماء العشائر لمخاطبة الحشد، واتّجها إلى الطّرف الأقصى من الوادي.

عندما أصبح التّل العشبي أكثر انحداراً وصخريّة، لاحظ أنّ نجمة الصّباح تكافح للحفاظ على وتيرة سيرها. كانت تتنّ كلّما قفزت على الصّخرة التّالية، وكان على قلب النّار أن يبطئ من مشيته لكي لا يتجاوزها.

عند أعلى المنحدر، توقّفت وجلست، ورافق أنفاسها صوت أزيز. سأّلها قلب النّار: «هل أنت بخير؟».

أجابت وهي تلهث: «لم أعد شابة...».

انتابه القلق لدى سماع ردّها. فقد ظنّ أنّها تعافت من جروحها الجسدية التي خلّفتها المعركة، لكن متى استجدّ هذا الضّعف المفاجئ الذي جعلها تبدو أكبر سنّاً وأكثر هشاشة من أيّ وقت مضى؟ قال في نفسه بحثاً عن فكرة مطمئنة، ربّما كان تسلّق المنحدر في هذا الحرّ هو السّبب. ففي النّهاية، فراؤها أكثر كثافة من فرائي.

بينما كانت نجمة الصّباح تلتقط أنفاسها، راح قلب النّار يتفحّص الأرجاء بعصبية من خلال نباتات القندول والخلنج القصيرة التي تغطي المرتفعات. كانت أراضي عشيرة الرّياح تمتدّ أمامهما تحت السّماء الصّافية. شعر هنا بعدم ارتياح أكبر ممّا كان عليه عند حدود عشيرة النّهر. فعشيرة الرّياح لا تزال غاضبة من عشيرته لأنّها منحت ملاذاً لزعيم عشيرة الظّلال السّابق. وكانت نجمة الصّباح هي التي قرّرت ضمّ الذّيل النّمرود الأعمى إلى عشيرتها. فماذا ستفعل دورية عشيرة الرّياح إذا وجدت زعيمة عشيرة الرّعد على أراضيها، مع محارب واحد فقط يحرسها؟ لم يكن قلب النّار واثقاً ممّا إذا كان بإمكانه حماية زعيمته من هجوم دورية كاملة.

همس قائلاً: «علينا أن نكون حذرين لكي لا يتمّ رصدنا». سألته نجمة الصّباح: «ماذا قلت؟». كان النّسيم أقوى هنا، ومع أنّه لم يخفّف من حرارة الشّمس الحارقة، إلّا أنّه حمل كلام قلب النّار بعيداً. رفع قلب النّار صوته على مضض: «علينا أن نكون حذرين لكي لا يرونا!».

«لماذا؟ نحن مسافران إلى حجر القمر، وقد منحتنا عشيرة النّجوم الحقّ في السّفر بأمان!». أدرك قلب النّار أنّ الجدال سيكون مضيعة للوقت، فعرض قائلاً: «سأ تقدّمك».

كان يعرف هذه المرتفعات جيّداً، أفضل من معظم قطط عشيرة الرّعد. فقد أتى إلى هنا مرّات عدّة من قبل، لكنّه لم يشعر قطّ أنّه مكشوف وضعيف بهذا القدر. سرعان ما قاد نجمة الصّباح إلى بحر الخلنج، وأمل أن يكون لدى عشيرة النّجوم القدر نفس من القناعة بحقّهما في

العبور، وأن يحميهما أسلافهما المحاربون من دوريات عشيرة الرياح. كما أمل أن تتمتع نجمة الصّباح بما فيه الكفاية من المنطق لعدم رفع أذنيها وذيلها عالياً.

كانت الشّمس تبلغ ذروتها عندما اقتربا من رقعة القندول في قلب أراضي عشيرة الرياح. أصبحت الأشجار الأربع على مسافة بعيدة خلفهما، لكنّ الطريق لا يزال طويلاً أمامهما قبل أن يصلا إلى المنحدر عند ضفّة المستنقع الممتدّ نزولاً إلى مزرعة ذوي السّاقين. فجأة، توقّف قلب النّار. فقد هبّ عليه نسيم حارّ وخانق، مثل أنفاس هرّ مريض، وأدرك أنّه سيحمل رائحتهما إلى أراضي عشيرة الرياح. كان أمله الوحيد أن يخفيها عطر الخلنج الغنيّ بالعسل. بجانبه، أشارت إليه نجمة الصّباح بهزّة من ذيلها، واختفت بين أجسام القندول.

في تلك اللحظة، فاجأه صوت مواء غاضب خلفهما. فاستدار وتراجع بعيداً، وانكمش عندما وخز القندول جسمه. أمامه، وقفت ثلاثة قطط من عشيرة الرياح، بفراء منتصب وآذان مسطّحة.

هسّ هرّ بنيّ داكن ومرقّط: «أنتما دخيلان، ماذا تفعلان هنا؟». عرف قلب النّار الكفّ الأترب، أحد كبار المحاربين. كان بجانبه محارب رماديّ مخطّط يُدعى النّمر الأشرم، وقف مقوّساً ظهره من دون أن يُظهر مخالفته. تعرّف قلب النّار على هذين الهزّين وبادلتهما الاحترام عندما اصطحب عشيرة الرياح من منفاهما في منطقة ذوي السّاقين، لكنّ كلّ آثار تحالفهم السّابق تبدّدت الآن. ومع أنّه لم يعرف الهزّ الأصغر، الذي قد يكون مبتدئاً، إلّا أنّه لم يكن أقلّ شراسة وتأهباً من زميله.

انتصب فراء قلب النّار على عموده الفقري وراح قلبه ينبض بسرعة، لكنّه حاول أن يظّل هادئاً. استهلّ قائلاً: «نحن نساfer وحسب عبر-».

قال الكفّ الأترب بحدة: «أنت على أرضنا»، ولمعت عيناه بغضب وهو يحدّق إلى قلب النّار.

فكّر قلب النّار بيأس، أين نجمة الصّباح؟ فمن جهة، أراد أن يستمدّ الدّعم منها، لكنّه أمل من جهة أخرى ألا تكون قد سمعت مواء الكفّ الأترب، بل واصلت طريقها بأمان عبر الوادي نحو أراضي ذوي السّاقين. عرف من الزّمجرة الصّادرة من جانبه أنّها عادت من أجله. فاسترق نظرة سريعة، ليرى نجمة الصّباح واقفة عند أطراف أجمة رثم، رأسها مرفوع عالياً وعيناها تشتعلان غضباً. «نحن مسافران إلى الأحجار العالية. لقد منحتنا عشيرة النّجوم ممراً آمناً، ولا يحقّ لكم إيقافنا!».

أجاب الكفّ الأترب من دون أن يرفّ له جفن: «لقد تنازلتم عن حقّكم في التّمتع بحماية عشيرة النّجوم عندما ضمتم الذّيل النّمروذ إلى عشيرتكم!».

تفهّم قلب النّار غضب قطط عشيرة الرّيح. فقد رأى بنفسه البؤس الذي عانوا منه عندما طردهم محاربو عشيرة الذّيل النّمروذ. وتذكّر، بإحساس عارم بالشفقة، بسبوس عشيرة الرّيح الذي ساعد في حمله إلى أرضه، وكان الوحيد الذي بقي على قيد الحياة بين إخوته. إذ كاد زعيم عشيرة الظّلال السّابق أن يدمّر العشيرة بقسوته.

حدّق قلب النّار إلى عينيّ الكفّ الأترب وهما تلمعان بشراسة وقال: «الذّيل النّمروذ قد مات».

ومضت عينا الكفّ الأترب متسائلاً: «هل قتلتموه؟».

تردّد قلب النّار، بينما صدرت زمجرة تهديد عن نجمة الصّباح الواقفة بجانبه. «بالطبع لم نقتله، فقطط عشيرة الرّعد ليسوا قتلة». ردّ الكفّ الأترب بحدة: «كلّا، بل تحمون القتلة وحسب!».

قوُس محارب عشيرة الزياح ظهره بعدوانية.

خاب أمل قلب النار، وراحت الأفكار تدور في رأسه وهو يحاول

التفكير في طريقة أخرى لإقناع عشيرة الزياح.

في تلك اللحظة، هتت نجمة الصباح: «ستسمحون لنا بالمرور!».

تجمّد قلب النار عندما رأى زعيمته تستلّ مخالبتها، فيما انتصب وبرها استعداداً للهجوم.



telegram @
yasmeenbook



الفصل 6



كزرت نجمة الصّباح بعناد: «لقد منحتنا عشيرة النّجوم ممراً آمناً». زمجر الكفّ الأترب: «عودا من حيث أتيتما!». شعر قلب النّار بوخز في أكفّه وهو يشاهد حجم خصومهما. ثلاثة قطط أقوياء ضده وضدّ زعيمة عشيرة الرّعد غير القادرة على المواجهة. لن يتمكّننا من الخروج من القتال من دون إصابات خطيرة، ولم يكن من الممكن أن يجازف بخسارة نجمة الصّباح روحاً - لا سيّما وأنّه يعلم أنّها روحها التاسعة والأخيرة، التي تمنحها عشيرة النّجوم لكلّ زعماء العشائر.

همس قلب النّار لنجمة الصّباح: «علينا أن نعود أدراجنا». التفتت الهرة وحدّقت إليه غير مصدّقة، فحثّها قائلاً: «نحن بعيدان جدّاً عن الأمان، وهذه ليست بمعركة يمكننا خوضها».

مادت نجمة الصّباح: «لكن عليّ أن أتحدّث مع عشيرة النّجوم!». أصرّ قائلاً: «ستفعلين في وقت آخر». أضاف عندما رأى التردّد يخيم على عينيها: «لن نفوز بهذه المعركة».

انتفض بارتياح عندما أخفت مخالبتها وانبسط فراء كتفيها. أخيراً، استدارت زعيمة عشيرة الرّعد نحو الكفّ الأترب وقالت له: «حسناً،

سنعود أدراجنا، لكننا سنرجع. لا يمكنكم قطع صلتنا بعشيرة النجوم إلى الأبد!».

انبسط فراء الكف الأترب على ظهره وهو يجيب: «لقد اتخذت قراراً حكيماً».

زمجر قلب النار في وجه الكف الأترب: «هل سمعت ما قالته نجمة الصّباح؟». زمّ الكف الأترب عينيه مهدّداً، لكنّ قلب النار تابع يقول: «سنرحل هذه المرة، لكنكم لن تمنعونا مرةً أخرى من السفر إلى حجر القمر».

استدار الكف الأترب مبتعداً: «سنرافقكما إلى الأشجار الأربع». توتّر قلب النار وخشي من ردّ فعل نجمة الصّباح بشأن تلميح محارب عشيرة الرّياح عن عدم ثقته في قطط عشيرة الرّعد لمغادرة أراضيه. غير أنّها تقدّمت ببساطة إلى الأمام، متجاوزة قطط عشيرة الرّياح، وهي تسير عائدة من حيث أتت.

لحق بها قلب النار، وتبعتهما قطط عشيرة الرّياح على مسافة منهما. شعر بوجودهم من احتكاك أجسادهم بنبات الخلنج خلفه. وعندما نظر من فوق كتفه، لمح أجسادهم البنية الرشيقة بين الأزهار الأرجوانية. وخزته أكفه من شدة الإحباط مع كلّ خطوة، فقرّر ألا يسمح لعشيرة الرّياح باعتراض طريقهم مرةً أخرى.

وصلا إلى الأشجار الأربع، وبدأ الهبوط عائدين إلى أسفل المنحدر الصخري، تاركين محاربي عشيرة الرّياح في الأعلى يراقبونهما بنظرات عدائية. بدأ التعب يظهر على نجمة الصّباح بشدة، فقد كانت تهبط بثقل مع كلّ قفزة وهي تتنهد. فخشي قلب النار أن تنزلق، لكنّها حافظت على تقدّمها حتّى وصلا إلى العشب في الأسفل. هناك، نظر

إلى أعلى التلّ ليرى قطط عشيرة الرياح الثلاثة تحت قبة السّماء العريضة الصّافية، قبل أن يستديروا ويختفوا في أراضيهم.

عندما اجتاز هراً عشيرة الرّعد الصّخرة العظيمة، صدر عن نجمة الصّباح أنين طويل. فتوقّف قلب النّار وسألها: «هل أنت بخير؟».

هزّت رأسها بنفاد صبر، ثمّ تمتمت قائلة: «عشيرة النّجوم لا تريد مشاركة الأحلام معي. ما سبب كلّ هذا الغضب من عشيرتي؟».

ذكّرها قلب النّار قائلاً: «عشيرة الرياح هي التي أعاقت طريقنا، وليس عشيرة النّجوم». مع ذلك، شعر رغماً عنه أنّه كان بإمكان عشيرة النّجوم أن تجعل حظّهما أوفر. في تلك اللّحظة، تردّد كلام شمشوم في ذهنه: لقد خرقت تسمية قلب النّار طقوس العشيرة للمرّة الأولى منذ ما قبل ولادتي.

راحت الأفكار المخيفة تعصف برأسه. هل الأجداد المحاربون غاضبون حقّاً من عشيرة الرّعد؟

من همهمات الدّهشة التي استقبلت خبر عودة قلب النّار ونجمة الصّباح إلى المخيم، حمّن قلب النّار أنّ العشيرة تشاركه مخاوفه. إذ لم يسبق أن اعترضت رحلة زعيم من زعماء العشائر إلى حجر القمر. مشّت نجمة الصّباح بتعثّر إلى وكرها، وعبرت الفسحة ونظرها مثبتّة على الأرض التّرابية. فراقبها قلب النّار بقلب مثقل بالحزن. فجأة، شعر أنّ حرّ الشّمس لا يطاق تحت فرائه الكثيف. فتوجّه إلى الظلّ عند أطراف الفسحة، ورأى الفراء الأغبر يتقدّم نحوه آتياً من نفق القندول، وبسّ أرقش في عقبه.

ماء المحارب المخطّط: «لقد عدتما باكراً». دار حول قلب النّار،

بينما وقف بسّ أرقش ينظر إلى المحاربين بعينين تملأهما الدهشة.
شرح له قلب النّار: «لم تسمح لنا عشيرة الرّياح بالمرور».
سأله الفراء الأغبر وهو يجلس بجانب تلميذه: «ألم تقولاً لهم إنكما
تقصدان الأحجار العالية؟».

أجاب قلب النّار: «بالطّبع فعلنا».

لاحظ أنّ الفراء الأغبر ينظر إلى نفق القندول، فالتفت ورأى النّمر
الأسود وبسّة الرّيش يدخلان المخيم. بدت بسّة الرّيش منهكة وهي
تركض لمواكبة مدرّبها، وكان فراؤها متلبّداً ومكسوّاً بالغبار.

زَمّ النّمر الأسود عينيه وهو يسأل قلب النّار: «ماذا تفعل هنا؟».
أخبره الفراء الأغبر: «لم تسمح لهما عشيرة الرّياح بالمرور».
نظرت بسّة الرّيش إلى الفراء الأغبر، وحملت إليه بعينيها الخضراوين
الجميلتين بدهشة.

ماء النّمر الأسود وقد ارتفع ذيله بغضب: «ماذا؟ كيف يجرؤون؟».
علّق الفراء الأغبر قائلاً: «لا أدري لماذا سمح لهم قلب النّار بفرض
كلمتهم عليه».

زمجر قلب النّار قائلاً: «لم تكن خياراتي كثيرة، هل كنت ستخاطر
بسلامة زعيمك؟».

تناهى إليه مواء البرق الخاطف عبر الفسحة. «قلب النّار!» كان
المحارب النحيل يهرول نحوه، وقد بدا عليه الاضطراب. نظر كلّ من
النّمر الأسود والفراء الأغبر إلى بعضهما البعض وقادا المبتدئين بعيداً.
وصل البرق الخاطف إلى قلب النّار وسأله: «هل رأيت بسّ الغمام؟».
«كلّا». غاص قلب المحارب خوفاً وهو يضيف: «ظننتُ أنّه
سيرافك إلى الصّيد بعد ظهر هذا اليوم».

بدا البرق الخاطف غاضباً أكثر منه قلقاً. «قلت له أن ينتظر حتّى أغتسل، ولكن عندما انتهيت، أخبرني بسّة زاهية أنّه ذهب للصيد بمفرده».

«أنا آسف». اعتذر قلب النّار، وهو يتنهّد. لم يكن ينقصه الآن سوى تمزّد بسّ الغمام. «سأتحدّث إليه عندما يعود».

لمعت عينا البرق الخاطف بانزعاج وبدا غير مقتنع بوعد قلب النّار. كان هذا الأخير على وشك الاعتذار مجدّداً عندما رأى تعبير البرق الخاطف يتحوّل إلى عدم تصديق وهو يشاهد بسّ الغمام يندفع إلى المخيم، حاملاً سنجاباً بين فكّيه. تألّقت عينا المبتدئ بفخر بصيده الذي كان بحجمه تقريباً، فما كان من البرق الخاطف إلّا أن شخر غضباً.

قال قلب النّار بسرعة: «سأقوم بتسوية الأمر». شعر أنّ لدى البرق الخاطف الكثير ليقوله عن بسّ الغمام، لكنّ المحارب أوماً برأسه وابتعد. شاهد قلب النّار الهزّ الأبيض وهو يحمل سنجابه إلى كومة الذبائح الطازجة. وضع بسّ الغمام صيده على الأرض وتوجّه إلى وكر المبتدئين من دون أن يأخذ أيّ طعام لنفسه، على الرّغم من أنّ الذبائح كانت كثيرة. فخمّن محبطاً أنّ بسّ الغمام قد أكل أساساً وهو يصطاد. وتساءل بغضب، كم مرّة بعد سيخرق بسّ الغمام قانون المحاربين في يوم واحد؟

ناداه قلب النّار: «بسّ الغمام!».

نظر إليه المبتدئ مجيباً: «ماذا؟».

«أريد التحدّث إليك».

بينما كان بسّ الغمام يتقدّم ببطء، شعر قلب النّار بنظرات البرق الخاطف غير المريحة وهو يراقبهما من أمام وكر المحاربين.

سأل بسّ الغمام ما إن اقترب: «هل أكلت وأنت تصطاد؟». هزّ الهزّ الأبيض كتفيه مجيباً: «وماذا في ذلك؟ كنت جائعاً». «بماذا يأمرنا قانون المحاربين بشأن الأكل قبل إطعام العشيرة؟». نظر بسّ الغمام إلى قمم الأشجار، ثمّ تمتم قائلاً: «إذا كان كبقية البنود، فإنّه يأمرني بعدم الأكل قبلهم».

قمع قلب النار غضبه المتعاضم وسأله: «هل أحضرت تلك الحمامة؟».

«لم أتمكن من ذلك، فقد اختفت».

صدم قلب النار حين أدرك أنّه لا يصدّق بسّ الغمام تماماً. فاستنتج أنّه لا جدوى من مواصلة النقاش، وسأله بدلاً من ذلك: «لماذا لم تذهب للصّيد مع البرق الخاطف؟».

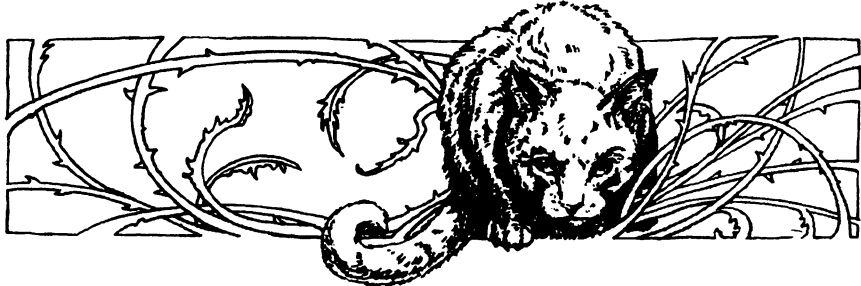
«لقد استغرق وقتاً طويلاً في الاستعداد. على أيّ حال، أنا أفضل أن أصطاد بمفردي!».

ذكّره قلب النار بجديّة: «أنت ما زلت مجرد مبتدئ. ستتعلم بشكل أفضل إذا اصطدت مع محارب».

تنهّد بسّ الغمام وهزّ رأسه مجيباً: «حسناً يا قلب النار». لم يكن لدى قلب النار أيّ فكرة عمّا إذا كان بسّ الغمام يصغي إليه حقّاً، فما كان منه إلّا أن أضاف: «لن تُمنح اسم محارب أبداً إذا استمرّيت على هذا المنوال! كيف سيكون شعورك وأنت تحضر احتفال تسمية بسّ أرقش وبسة الريش بينما لا تزال مبتدئاً؟». «هذا لن يحدث أبداً».

ردّ قلب النار: «حسناً، ثمّة أمر واحد مؤكّد، وهو أنّك ستبقى في المخيم بينما يذهبان هما الاثنان إلى اجتماع العشائر».

أخيراً، حظي قلب النار على ما يبدو باهتمام بسّ الغمام. إذ حدّق إليه الهزّ الأبيض غير مصدّق وقال: «لكن -»
قاطعته قلب النار بشراسة: «عندما أبلغ نجمة الصّباح بذلك، أعتقد أنها ستوافقني الرّأي. والآن، اغرب من وجهي!».
خفض بسّ الغمام ذيله، ومشى نحو بقيّة المبتدئين، الذين كانوا يراقبون من أمام وكرهم. لم يكلف نفسه عناء إلقاء نظرة لمعرفة ما إذا كان البرق الخاطف قد رأى المشهد. في الوقت الحاليّ، لم يكن يكثرث لرأي العشيرة بتلميذه. فقد بدت آراء بقيّة القطط تافهة بنظره مقارنة بخوفه المتعاضم من ألا يصبح بسّ الغمام يوماً محارباً حقيقياً.



الفصل 7



«نجمة الصّباح، لقد مضى ربع قمر على عودتنا من المرتفعات». تجنّب قلب النّار بعناية ذكر حجر القمر. فمع أنّهما كانا في وكرها على انفراد، إلّا أنّه ما زال يشعر بعدم الارتياح للحديث عن رحلتها الفاشلة. «وما من أثر لعشيرة الرّيح أو عشيرة الظّلال على أراضينا». زمّت نجمة الصّباح عينيها غير مصدّقة، فيما واصل قلب النّار كلامه. «ثمة عدد كبير جدّاً من المبتدئين في التدريب، والغابة مليئة بالفرائس، بحيث يصعب إبقاء ثلاثة محاربين في المخيم طوال الوقت. أنا... برأيي، محاربان اثنان سيكفيان».

سألته نجمة الصّباح بقلق: «وماذا لو تعرّضنا لهجوم مجدّداً؟». أجاب قلب النّار: «لو كانت عشيرة الرّيح تنوي حقّاً إيذاء عشيرة الرّعد، ما كان الكفّ الأترب ليسمح لك بمغادرة المرتفعات...» على قيد الحياة، أنهى جملته بصمت.

هزّت نجمة الصّباح رأسها، وشابت عينيها مشاعر غامضة: «حسناً، فليلازم المخيم محاربان فقط».

«شكراً لك يا نجمة الصّباح». سيسهل هذا القرار إلى حدّ بعيد مهمّة تنظيم الحراس وفرق الصّيد وتدريب المبتدئين. أضاف وهو يخفض

رأسه باحترام لمغادرة الوكر: «سأذهب لتنظيم دوريات يوم غد».

كان المحاربون ينتظرونه في الخارج، فراح يصدر الأوامر قائلاً: «أيها الرّعب الأبيض، أنت من سيقود دورية الفجر، واصطحب معك عاصفة الرّمال وبسّ أرقش. الفراء الأشقر والفراء الأغبر، ستحرسان المخيم بينما نصطاد أنا وبسّ الغمام». نظر حوله إلى بقية المحاربين، وأدرك كم أصبح أكثر ثقة بنفسه وهو ينظم الدوريات. فقد ازداد خبرة في هذا المجال، لأنّ نجمة الصّباح تمضي وقتاً طويلاً في وكرها هذه الأيام. تابع مبعداً تلك الفكرة المزعجة: «أما البقية، فسأترك لكم حزية الاختيار بين تدريب المبتدئين أو اصطحابهم للصّيد، لكنني أريد أن تكون كومة الذبائح كبيرة كما هي اليوم. فقد اعتدنا على ملء بطوننا!». سرت خرخرة مرحلة بين المحاربين. «أيها النمر الأسود، ستقود غداً دورية علوّ الشّمس. أمّا أنت أيها البرق الخاطف، فستتولّى دورية غروب الشّمس. ويمكنك أن تختار من تصطحب معك، لكن احرص على إبلاغهم ليكونوا جاهزين في الوقت المناسب».

أوماً البرق الخاطف برأسه موافقاً، بينما ومضت عينا النمر الأسود وسأله: «من سيذهب إلى اجتماع العشائر الليلة؟». أجاب قلب النّار: «لا أدري».

زمّ النمر الأسود عينيه متسائلاً: «ألم تخبرك نجمة الصّباح، أم أنّها لم تقرّر بعد؟».

«لم تناقش الأمر معي. ستخبرنا عندما تصبح جاهزة». أدار النمر الأسود رأسه، وحدّق إلى ظلال الأشجار. «من الأفضل أن تقرّر قريباً، فالشّمس بدأت تغيب».

أجابه قلب النّار: «إذاً، عليك أن تتناول طعامك. فأنت يجب أن

تكون قوياً خلال الاجتماع، إن كنت ذاهباً». سببت له نبرة النمر الأسود شيئاً من عدم الارتياح، لكنه أبى أن يسمح لذلك بتعكير فرائه. جلس وانتظر أن يتعد المحاربون. وعندما انصرفوا جميعاً، استدار عائداً إلى وكر نجمة الصّباح. لم تذكر شيئاً عن الاجتماع، وكان فكره مشغولاً بدوريات يوم غد بحيث نسي أمره تماماً.

«آه، قلب النّار». التقت به نجمة الصّباح بينما كانت تشقّ طريقها إلى الخارج عبر الأشنة. بدت كما لو أنّها انتهت للتوّ من غسل فرائها الذي لمع بنضارة تحت شمس المغيب. شعر قلب النّار بالارتياح لأنّها عادت للعناية بنفسها على ما يبدو. «عندما تنتهي من تناول طعامك، قم بدعوة المحاربين للذهاب إلى الاجتماع».

سألها قلب النّار: «همم... من أدعو؟».

بدت الدهشة على وجه نجمة الصّباح. ذكرت الأسماء بسهولة - مستثنية بسّ الغمام ومضيفة إليهم بسّ أرقش، كما طلب منها قبل عدّة أيّام - بحيث تساءل عمّا إذا كانت قد أخبرته بالفعل ونسي الأمر.

أجاب: «أمرّك يا نجمة الصّباح». خفض رأسه، وعبر الفسحة متّجاً إلى كدسة الفرائس الطازجة. رأى حمامة سمينة فوق الكومة، فقرّر تركها لنجمة الصّباح. فربّما تغريها بتناول أكثر من لقمتين. أخذ فأراً، مع أنّه لم يكن يشعر بالجوع حقّاً، إذ كان شديد الاضطراب من الحالة المزاجية المتقلّبة لنجمة الصّباح.

بينما حمل قلب النّار فأر الحقول إلى مكانه المفضّل لتناول الطعام، سرت قشعريرة على طول عموده الفقري. نظر من فوق كتفه لا إرادياً، وشعر بشيء من الخوف عندما رأى بسبوس العنبر يراقبه. فتذكّر كلام فراء الرّماد، لن يعرف والدّه أبداً، بل سترتيّه العشيرة. فأجبر نفسه على

الإيماء برأسه للهزّ، ثمّ استدار وتوجّه إلى أجمة القراص لتناول عشاءه. عندما أنهى وجبته، نظر إلى أرجاء الفسحة. كان بقية أفراد العشيرة يتجاذبون الألسنة، بينما خيم الليل وأضفى برودة مُرحباً بها على أجواء المخيم. كانت الأيام شديدة الحرّ مؤخراً وكثيراً ما تمنى لو يستطيع السباحة مثل قطط عشيرة النهر. نظر إلى وكر المبتدئين، وتساءل عما إذا كان بسّ الغمام سيذكّر أنّه محروم من المشاركة في الاجتماع لأنّه تناول الطّعام وهو يصطاد.

كان المبتدئ الأبيض جاثماً على جذع الشجرة خارج مدخل وكره، يلعب القتال مع بسّ أرقش الذي كان يخرمسه. ففرح قلب النّار لأنّ بسّ الغمام يكوّن صداقات مع زملائه في الوكر على الأقلّ. تساءل عما إذا كان النمر الرّمادي ذاهباً إلى الأشجار الأربع الليلة. غير أنّه استبعد ذلك، لأنّه لم يمض سوى قمر واحد على انضمامه إلى عشيرة النهر. غير أنّه أعطاهم صغيري شعاع الفضة، ولا بدّ أن يكون زعيم عشيرة النهر، النجم الأعوج، ممتناً لذلك - ففي النهاية، كانت شعاع الفضة ابنته، والبسايس أحفاده بالتّالي. وعلى الرّغم من أنّ ذلك يؤكّد قبول صديقه في عشيرة أخرى، إلّا أنّ قلب النّار وجد نفسه يتمنّى لو يُمنح النمر الرّمادي امتياز الانضمام إلى الاجتماع.

دفع نفسه للنهوض ونادى القطط التي ستشارك في دورية عشيرة الرّعد. وبينما كان يتلو الأسماء التي أعطته إيّاها نجمة الصّباح - «الفأرة السّمراء، البرق الخاطف، عاصفة الرّمال، الفراء الأشقر، بسّ زاهية، بسّ أرقش، بسّ رشيق» - أدرك بقلق متزايد أنّ كلّاً من النمر الأسود والنمر الذّيال والفراء الأغبر لم يكونوا بينهم. كان المحاربون الثلاثة جميعاً حلفاء مقرّبين للنمر الشّرس، الأمر الذي دفع قلب النّار للتساؤل عما

إذا كانت نجمة الصّباح قد استبعدتهم عمداً. سرت قشعريرة غير مريحة عبر فرائه، بينما تبادل الثلاثة النظرات، قبل أن تستقرّ أنظارهم عليه. رأى وميض غضب لا لبس فيه في عيني النمر الأسود، فما كان منه إلا أن استدار بتوتر وانضمّ إلى القطط الأخرى لانتظار نجمة الصّباح.

وجدها تتجاذب الألسنة مع الرّعب الأبيض خارج وكرها، وعندما بدأ المحاربون المحتشدون يضربون بأكفهم على الأرض بحماسة، نهضت وعبرت الفسحة.

أعلنت قائلة: «سيتولى الرّعب الأبيض المسؤولية أثناء غيابنا». سألتها الفأرة السّمراء بحذر: «نجمة الصّباح، ألن تخبرهم كيف منعتك عشيرة الرّيح من السّفر إلى الأحجار العالية؟».

توترت كتفا قلب النّار. من الواضح أنّ الفأرة السّمراء أرادت أن تعرف ما إذا كان على قطط عشيرة الرّعد الاستعداد لعدائية عشيرة الرّيح. أجابت نجمة الصّباح بحزم: «لن أقول شيئاً، فعشيرة الرّيح تعرف أنّ ما فعلوه كان خاطئاً. والأمر لا يستحقّ أن نثير عداءهم ضدّنا من خلال ذكر الحادثة أمام العشائر الأخرى».

ردّ محاربو عشيرة الرّعد على إجابتها بإيماءات متردّدة، وتساءل قلب النّار رغماً عنه عمّا إذا كانوا قد رأوا ضعفاً أم حكمة في قرار زعيمتهم وهم يتبعونها عبر نفق القندول، ويخرجون إلى الغابة التي يضيئها القمر.

تناثر التّراب والحصى بينما كانت القطط تتدافع على جانب الوادي. كانت الغابة جافة مثل العظام المسحوقة بسبب قلة الأمطار، وبدت الأرض التي أحرقتها حرارة الشّمس وكأنّها تتحوّل إلى غبار تحت أكفهم. بمجرد وصولهم إلى الغابة، ركضت نجمة الصّباح لتقدّمهم.

فتراجع قلب النار إلى مؤخرة المجموعة، بينما حثّ الباقون خطاهم بصمت عبر الأشجار، يحنون رؤوسهم تحت أغصان الخنشار اليابسة ويلتفون حول أجسام العليق.

أبطأت عاصفة الرمال من سرعتها إلى أن واكبت قلب النار خطوة خطوة، وتجاوزا فرع شجرة على الأرض بقفزة واحدة. عندما هبطا، التفتت إلى قلب النار وتمتت قائلة: «تبدو نجمة الصّباح على خير ما يرام مجدّداً».

وافقها قائلاً: «أجل». كان يركّز على تمرير جسده بين بعض سيقان العليق الشائك.

تابعت الهزة حديثها بصوت منخفض، لكي لا يسمعها الآخرون: «لكن يبدو عليها الشرود. ليست كما...». تردّدت، ولم يحاول قلب النار ملء الصمت الذي أعقب ذلك، فقد تأكّدت أسوأ مخاوفه. بدأ بقية قطط عشيرة الرّعد يلاحظون أنّ نجمة الصّباح لم تعد كما عهدوها. أنهت عاصفة الرمال كلامها قائلة: «لقد تغيّرت».

لم ينظر قلب النار إلى الهزة الشّقراء. بدلاً من ذلك، انحرف بعيداً لتجنّب أجمة قراص كثيفة، بينما قفزت عاصفة الرمال فوقها، متجاوزة الأوراق اللّاذعة لتحطّ وراءها على أرض الغابة.

أسرع قلب النار ليلحق بها. وقال وهو يلهث: «لا تزال نجمة الصّباح مضطربة. فخيانة النمر الشّرس سبّبت لها صدمة كبيرة».

«لا أفهم كيف لم تشكّ به أبداً».

سألها قلب النار: «هل سبق لك أنتِ أن شككت في النمر الشّرس؟». اعترفت عاصفة الرمال قائلة: «كلّاً، لم يشتبه به أيّ هزّ. غير أنّ بقية أفراد العشيرة تعافوا من الصدمة، أمّا نجمة الصّباح فما زالت تبدو...»

عجزت عن إتمام جملتها مجدداً.

أشار قلب النار: «إنّها تقودنا إلى الاجتماع».

أجابت مبتسمة: «نعم، هذا صحيح».

فقال لها مؤكداً: «ما زالت نجمة الصّباح كما عهدناها، سترين».

حسّ المحاربان خطاهما. فقفزا فوق جدول يتدفّق عادة بغزارة خلال فيضانات فصل الزهر إلى حدّ أنّه يصعب عبوره. أمّا الآن، فانسابت المياه في خطّ هزيل على طول قاع حجريّ جافّ جداً بحيث يستحيل تقريباً للنّاظر أن يتخيّل أنّ مستوى الماء كان أعلى يوماً ما.

كانت بقية المجموعة أمامهما مباشرة عندما اقتربا من الأشجار الأربع. قاد قلب النار عاصفة الرّمال على أثرهم، وكانت الشّجيرات لا تزال تهتزّ على الطّريق الذي عبره القطط، كما لو أنّ أوراق الشّجر تشارك العشيرة ترقّبها للاجتماع.

توقّفت نجمة الصّباح عند أعلى المنحدر، وحدّقت إلى الوادي. تمكّن قلب النار من رؤية قطط رشيقة تنزلق عبر الظّلال، وتلقي التحيّة على بعضها البعض بخرخرة صامتة. ومن الروائح التي عبق بها الهواء السّاكن، أدرك أنّ عشيرة الرّعد كانت آخر الواصلين. راقب نجمة الصّباح وهي تحدّق إلى الصّخرة العظيمة وسط الفسحة، ولمح رعشة تسري على طول عمودها الفقريّ. فعرف أنّها تأخذ نفساً عميقاً قبل أن تهبط المنحدر.

أسرع قلب النار خلفها مع قطط عشيرته، ثمّ أبطأ من سرعته عندما وصل إلى الفسحة، وراح يتفحص القطط الأخرى بحثاً عن النمر الرّمادي. كانت نائبة عشيرة النّهر، فراء الفهد، تتحدّث مع محاربٍ من عشيرة الظّلال لم يتعرّف عليه قلب النار. جلس النّجم الأعوج، زعيم

عشيرة الرّيح، منع قلب الصّوّان يتأمّلان الفسحة بصمت. اشتّم قلب النّار رائحة هرّ آخر من عشيرة النّهر بالقرب منه، ولكن عندما استدار، رأى مبتدئاً يلقي التّحيّة على بسّة زاهية. لم يكن ثمة أيّ أثر أو رائحة للنّمر الرّمادي. ومع أنّه لم يُفاجأ بذلك، إلّا أنّ ذيله تدلّى بخيبة أمل.

أتى مبتدئ رماديّ اللّون ينتمي إلى عشيرة الظّلال، واقترب من بسّة زاهية أيضاً. فسمع قلب النّار حديثهما عرضاً.

«هل رأت عشيرتك القطط الشّريفة مجدّداً؟ فنجم اللّيل يخشى أن يكونوا ما زالوا يجوبون الغابة».

تجمّد قلب النّار عندما سمع سؤال هرّ عشيرة الظّلال. كانت جميع العشائر قلقة بشأن القطط الشّريفة بعد أن اشتمّت دورياتها رائحتهم في أراضيها. لكن ما لم تعرفه العشائر الأخرى أنّ نائب عشيرة الرّعد، النّمر الشّرس، تحالف مع هؤلاء الشاردين واستخدمهم لمهاجمة مخيمه. وجّه قلب النّار نظرة تحذير إلى بسّة زاهية لتنبئها من أجل التزام الصّمت، ولكن لم يكن ثمة حاجة لذلك. فقد أجابت الهرة ذات الفراء الأبيض والأشقر ببرود: «لم نشمّ رائحتهم في أراضينا منذ شهر تقريباً».

شعر قلب النّار بالارتياح عندما أضاف هرّ عشيرة النّهر: «ولا نحن، لا بدّ أنّهم غادروا الغابة». تمنّى قلب النّار لو أنّه يشارك هرّ عشيرة النّهر ثقته تلك، لكنّ حدسه أنبأه أنّه إذا كان النّمر الشّرس متورّطاً في المسألة، فإنّ القطط الشّريفة ستعود يوماً.

على مسافة ثعلب، جلس الكفت الأترب، محاربُ عشيرة الرّيح الذي صدّ قلب النّار ونجمة الصّباح ومنعهما من الوصول إلى الأحجار العالية. بجانبه، رأى قلب النّار محاربَ عشيرة الرّيح الشاب، النّمر الوحيد. كان قد أقام صداقة مع هذا الهرّ البنيّ الصّغير في رحلة العودة

من المنفى، لكنّه لم يجرؤ على الاقتراب منه الآن. فقد كان الكفّ الأترب ينظر إليه ببرود، وأدرك أنّ هذا ليس المكان المناسب لمواصلة الجدل الذي بدأه في طريقه إلى حجر القمر.

مع ذلك، ظهرت مخالفه رغماً عنه، فقد كان لا يزال غاضباً من الحادثة، وازداد غضبه عندما مال الكفّ الأترب جانباً ليهمس شيئاً في أذن رفيقه، وألقى نظرة ذات مغزى على قلب النّار. ففوجئ هذا الأخير عندما رفّ النّمر الوحيد عينيه متعاطفاً معه، ثمّ استدار وابتعد، تاركاً الكفّ الأترب يلوّح بذيله بانزعاج. بدا له أنّه ثمة محارب واحد على الأقلّ من عشيرة الرّياح يتذكّر دين الولاء لعشيرة الرّعد. ولم يتمكن من منع شاربيه من الارتعاش برضى وهو يمرّ من أمام الكفّ الأترب متّجهاً نحو فراء الفهد ومحارب عشيرة الظلال.

فقد ثقته بنفسه عندما اقترب من نائبة عشيرة النّهر. فعلى الرّغم من أنّهما أصبحا متساويين الآن من حيث التسلسل الهرميّ لعشيرتيهما، إلّا أنّ لهذه القطّة حضور شرّس ومهيمن. ومنذ أن تقاطلت قطط عشيرتي الرّعد والنّهر عند الهاوية، وسقط محارب عشيرة النّهر، الكفّ الأبيض، ليلقى حتفه، شعر قلب النّار بعدائها الذي لا يرحم حادّاً كالشّوك. لكنّه أراد أن يسأل عن أحوال النّمر الرّمادي. فما كان منه إلّا أن هزّ برأسه باحترام، فخفضت فراء الفهد رأسها بدورها.

همّ محارب عشيرة الظلال الجالس بجانب فراء الفهد بإلقاء التحية، لكنّه ما لبث أن توقّف وهو يسعل ويصق. لاحظ قلب النّار فجأة كم بدا فراء المحارب أشعث، كما لو أنّ قمراً انقضى منذ آخر مرّة اغتسل فيها. لعقت فراء الفهد أكفّها ومسحت وجهها، بينما ابتعد محارب عشيرة الظلال في الظلام متعثراً.

سألها قلب النار: أهو بخير؟».

أجابت فراء الفهد وهي تلوي شفيتها باشمئزاز: «وهل يبدو بخير؟ لا ينبغي على القطط المريضة حضور الاجتماع». «ألا يجدر بنا فعل شيء؟».

مات فراء الفهد: «مثل ماذا؟ لدى عشيرة الظلال هز مداو». خفضت كفها، ولمع شاربها في ضوء القمر. تألقت عيناها بفضول وهي تسأله: «سمعتُ أنك النائب الجديد لعشيرة الرعد». هز قلب النار رأسه مدركاً أن النمر الرمادي أخبر عشيرته الجديدة بذلك بلا شك. تابعت فراء الفهد: «وماذا حلّ بالنمر الشرس؟ لا يبدو أن أحداً من العشائر الأخرى يعرف شيئاً. هل مات؟».

هز قلب النار ذيله بعدم ارتياح. كان بإمكانه أن يتخيل فراء الفهد وهي تخبر العشائر الأخرى، من دون أن تضيع الوقت، أن عشيرة الرعد استبدلت نائبها المميز ببسوس أليف. ماء محاولاً التحدّث بنبرة هادئة مثلها: «ما حلّ بالنمر الشرس لا يعني عشيرة النهر». وتساءل عما إذا كانت نجمة الصباح ستقول شيئاً عن نائبها السابق عندما تعلن لاحقاً الخبر المتعلّق بقلب النار.

ضاقت عينا فراء الفهد، لكنها لم تضغط لمعرفة المزيد. سألتها: «إذاً، هل أتيت لتباهى بلقبك الجديد، أم لمعرفة أحوال صديقك القديم؟». رفع قلب النار ذقنه وقد فوجئ لأنها تعطيه فرصة واضحة للسؤال عن النمر الرمادي. ماء قائلاً: «كيف حاله؟».

هزت فراء الفهد كتفها مجيبة: «سيتحسّن. لن يصبح أبداً محارباً حقيقياً في عشيرة النهر، لكنه على الأقلّ يعتاد على الماء، وهذا يفوق توقعاتي». كان على قلب النار أن يمسك مخالفه أمام نبرة الاستخفاف

في صوتها. تابعت تقول: «أما صغيراه، فهما قوَيان وذكيان، والفضل يرجع إلى أمهما».

هل تتعمّد هذه الهرة إزعاجه؟ كافح لكبح ردّ حادّ عندما أتت الفأرة السّمراء من خلفه.

ألقت التحية على نائبة عشيرة النّهر قائلة: «مرحباً يا فراء الفهد. أخبرني قلب الصّوّان أنّ في مخيمكم صغاراً جدداً، بالإضافة إلى صغيري النّمر الرّمادي».

مات فراء الفهد: «نعم، هذا صحيح. فقد باركت عشيرة النّجوم حضاتنا في فصل الحرّ هذا».

تابعت الفأرة السّمراء: «قال أيضاً إنّ صغار سحابة الضّباب على وشك بدء تدريبيهم»، ثمّ أضافت وعيناها تلمعان بخبث: «فكما تعلمين، قلب النّار هو الذي أنقذهم من الفيضانات». لاحظ قلب النّار فراء الفهد تتصلّب، لكنّ فكره كان مشغولاً بسحابة الضّباب وشقيقها قلب الصّوّان. ألقي نظرة خاطفة حول الفسحة، ورأى نجمة الصّباح جالسة بمفردها تحت الصّخرة العظيمة. هل تعلم أنّ ابنها هنا؟ هل سمعت أنّ صغار سحابة الضّباب أصبحوا جاهزين للتدريب؟ عندما حوّل نظره إلى فراء الفهد والفأرة السّمراء، كانت نائبة عشيرة النّهر تمشي مبتعدة.

ألقت الفأرة السّمراء نظرة تعاطف على قلب النّار. «لا تقلق، ستجدها أقلّ رهبة عندما تعتاد عليها. فبقية أعضاء عشيرة النّهر بدّوا سعداء برؤيتنا. ما كانوا ليخرجوا أحياء من الفيضانات لولا مساعدة عشيرة الرّعد، كما أنّنا سمحنا لهم بالاحتفاظ بصغيري شعاع الفضة من دون مشاكل».

ذكرها قلب النّار قائلاً: «مع ذلك، لم يكن النّمر الرّمادي هرّ عشيرة

الرَّعْدَ الْمَفْضِلَ لَدَى فَرَاءِ الْفَهْدِ، لَيْسَ مِنْذَ أَنْ سَقَطَ الْكَفُّ الْأَبْيَضُ فِي الْوَادِي».

«عَلَيْهَا أَنْ تَتَعَلَّمَ كَيْفَ تَسَامَحُ وَتَنْسَى. لَقَدْ مَنْحَ النَّمْرَ الرَّمَادِي عَشِيرَةَ النَّهْرِ هَرَيْنَ رَائِعَيْنِ يَتَمَتَّعَانِ بِصَحَّةٍ جَيِّدَةٍ». نَفَضَتِ الْفَأْرَةُ السَّمْرَاءُ ذَيْلَهَا مُضِيفَةً: «هَلْ سَأَلْتِكَ عَنِ النَّمْرِ الشَّرْسِ؟».

«نَعَمْ».

«الْجَمِيعُ تَوَاقُونَ لِمَعْرِفَةِ مَا حَلَّ بِهِ».

أَضَافَ بِمَرَارَةٍ: «وَلِمَاذَا حَلَّ بِسَبُوسِ أَلِيفِ مَكَانِهِ».

«تَمَاماً». نَظَرَتْ إِلَيْهِ الْفَأْرَةُ السَّمْرَاءُ لِفَتْرَةٍ وَجِيزَةٍ. «لَا تَأْخُذِ الْأَمْرَ عَلَى مَحْمَلٍ شَخْصِيٍّ يَا قَلْبَ النَّارِ، فَنَحْنُ أَيْضاً سَنَشْعُرُ بِالْفَضُولِ لَوْ تَغَيَّرَ نَائِبُ عَشِيرَةٍ أُخْرَى». جَالَ نَظَرُهَا عَلَى أَرْجَاءِ الْفَسْحَةِ لِلْحِظَّةِ قَبْلَ أَنْ تَقُولَ: «هَلْ لَاحِظْتَ كَمْ أَنَّ عِدَدَ أَعْضَاءِ دَوْرِيَّةِ عَشِيرَةِ الظَّلَالِ قَلِيلٌ اللَّيْلَةَ؟».

أَوْماً قَلْبَ النَّارِ بِرَأْسِهِ. «لَمْ أَرِ سِوَى هَرَيْنِ مِنْ مُحَارِبِي عَشِيرَةِ الظَّلَالِ حَتَّى الْآنَ، أَحَدُهُمَا أَصِيبَ بِنُوبَةِ سَعَالٍ حَادَّةٍ».

مَاءَتِ الْفَأْرَةُ السَّمْرَاءُ بِفَضُولٍ: «حَقّاً؟».

«إِنَّهُ مَوْسِمُ كُرَةِ الْفَرَاءِ».

«أُظَنُّ ذَلِكَ».

عَلَا صَوْتُ عِنْدِ الصَّخْرَةِ الْعَظِيمَةِ، فَنَظَرَ قَلْبُ النَّارِ إِلَى الْأَعْلَى لِيَرَى زَعِيمَ عَشِيرَةِ النَّهْرِ، النَّجْمَ الْأَعْوَجَ، وَاقِفاً عَلَى قِمَّةِ الصَّخْرَةِ الضَّخْمَةِ، وَفَرَاؤُهُ الْكَثِيفَ يَلْمَعُ فِي ضَوْءِ الْقَمَرِ. جَلَسَتْ نَجْمَةُ الصَّبَاحِ إِلَى جَانِبِهِ، وَالنَّجْمُ الْمَذْنَبُ، وَجَلَسَ زَعِيمُ عَشِيرَةِ الرِّيَّاحِ إِلَى الْجَانِبِ الْآخَرِ. وَجَلَسَ نَجْمُ اللَّيْلِ فِي الْجِهَةِ الْمَقَابِلَةِ، شَبَهَ مَخْتَبِئاً فِي ظِلِّ شَجَرَةٍ سَنَدِيَانِ.

فَوَجِئَ قَلْبُ النَّارِ مِنْ مَظْهَرِ زَعِيمِ عَشِيرَةِ الظَّلَالِ. فَقَدْ بَدَأَ الْهَرَّ

الأسود هزياً أكثر حتى من بقية قطط عشيرة الرياح، الذين لم تساعد الأرناب التي يطاردونها في المستنقع على تغذيتهم بشكل أفضل. لكنّ نجم الليل لم يبد نحيلاً فحسب، بل كان رأسه منخفضاً، وكتفاه منحنيّين. للحظة، تساءل قلب النار عما إذا كان مريضاً، لكنّه سرعان ما تذكر أنّ نجم الليل كان أساساً هزاً مسناً عندما تولّى زعامة عشيرة الظلال. ربّما لم يكن ضعفه مستغرباً. فصحيح أنّه مُنح الأرواح التسعة التي يحظى بها زعماء العشائر، لكن حتى عشيرة النجوم لا تستطيع إعادة الزمن إلى الوراء.

تمتّت الفأرة السّمراء: «تعال». تبع قلب النار الهزة البنية الداكنة إلى الأمام وجلس بجانبها، بينها وبين سحابة الضباب. ماء النّجم الأعوج من على الصّخرة العظيمة قائلاً: «ترغب نجمة الصّباح في التحدّث أولاً». أحنى رأسه لزعيمة عشيرة الرّعد وهي تتقدّم للأمام وترفع صوتها، الذي بدا قوياً كعاداته. «لا بدّ أنّ بعضكم سمع الخبر من عشيرة الرياح، ولكن لمن لم يسمع منكم، فإنّ الدّيل النّمروود قد مات!».

علت همهمات الرضى من الحشد. لاحظ قلب النار أنّ نجم الليل حرّك أذنيه وذيله باضطراب. يبدو زعيم عشيرة الظلال مسروراً تقريباً لمعرفة أنّ عدوّه القديم لم يعد على قيد الحياة.

صاح نجم الليل بصوت مبحوح: «كيف مات؟». يبدو أنّ نجمة الصّباح لم تسمعه، إذ تابعت تقول: «وأصبح لدى عشيرة الرّعد نائب جديد».

ارتفع مواء دهشة من أحد محاربي عشيرة الرياح الجالس بين القطط المتفرّجة: «إذاً فما يتردّد في عشيرة النّهر صحيح، لقد حدث

شيء ما للنمر الشرس!». .

سأل الكفّ الأترب: «هل مات؟». جلبت كلماته وإبلاً من صيحات القلق، ولم يستطع قلب النّار أن يقاوم إحساسه بالاستياء عندما أدرك مدى احترام العشائر الأخرى للنّمر الشرس. راقب نجمة الصّباح بقلق بينما كانت القطط تمطرها بالأسئلة.

«هل مات بسبب المرض؟».

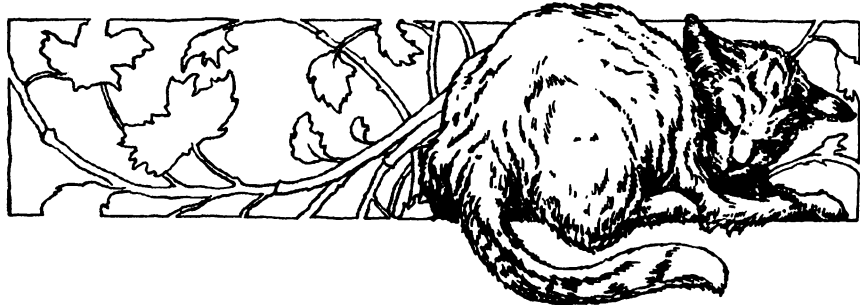
«هل كان حادثاً؟».

شعر قلب النّار بأنّ قطط عشيرته يتوتّرون من حوله. فقد كانوا جميعاً من رأي بسّة زاهية ولم يرغبوا في كشف حقيقة خيانة نائبهم السّابق.

أسكت مواء نجمة الصّباح الأمر جميع التّساؤلات. «مصير النّمر الشرس من شأن عشيرة الرّعد ولا يعني أيّ أحد آخر!».

سرت همهمة سخط، فمن الواضح أنّه جوابها لم يُشبع فضولهم. تساءل قلب النّار رغماً عنه عمّا إذا كان ينبغي لنجمة الصّباح تحذير العشائر الأخرى من أنّ النّمر الشرس لا يزال على قيد الحياة - وأنّه ثمة خائن خطر يتجول في الغابة حزاً طليقاً، غير آبه بقانون المحاربين. مع ذلك، عندما تكلمت مجدّداً، لم تذكر النّمر الشرس، بل أعلنت بدلاً من ذلك: «أمّا نائبنا الجديد فهو قلب النّار».

استدارت عشرات الرؤوس للنّظر إلى قلب النّار، الذي أخرجته النظرات المتسائلة. لفّ المكان صمت مطبق، فأخذ يضغط بأكفّه على الأرض ويحثّ القادة بصمت على المضيّ قدماً بالاجتماع، غير مدرك سوى لصوت الأنفاس من حوله، ولصفوفٍ تلو الصفوف من الأعين التي لا يرف لها جفن.



الفصل 8



استيقظ قلب النّار من نومه على مواء القطط وضرب أكفّها على الأرض في الفسحة. فتح عينيه، فأبهره ضوء الشّمس الساطع الذي تسلّل من بين الأغصان فوق وكر المحاربين.

أطلّ رأس ذهبيّ من السّياج النّبّاتي. كانت عاصفة الرّمال، التي لمعت عيناها الخضراوان الشاحبتان بحماسة. مأت وهي تلهث: «لقد أسرنا محاربين من عشيرة الظّلال!».

هَبَ قلب النّار واقفاً وقد استيقظ تماماً. «ماذا؟ أين؟».

أجابت عاصفة الرّمال: «بجانب شجرة البوم، كانا نائمين!». كشفت نبرة صوتها عن ازدرائها لقلّة احتراس محاربيّ عشيرة الظّلال. «هل أخبرتم نجمة الصّباح؟».

«لقد ذهب الفراء الأغبر لإخبارها الآن». خرجت من وكر المحاربين ولحق بها قلب النّار، متجاوزاً البرق الخاطف، الذي رفع رأسه مجفلاً عندما أيقظته الضّجّة.

كان قلب النّار قد نام ليلته بشكل متقطّع بعد عودته من الاجتماع. فقد أزعجه الصمت المطبق الذي خيّم على الحاضرين إثر إعلان تولّيه منصب النائب. وكانت أحلامه حافلة بقطط مجهولين نفروا منه كما لو

كان بومة مشؤومة تحلق في غابة من الظلال. كان يظن أن أيامه كدخيل انقضت، لكن نظرات التحدي التي رآها في أعين بقية القطط خير دليل على أنهم لم يتقبلوه تماماً بعد كواحد منهم في حياة الغابة. تمنى وحسب ألا يعرفوا شيئاً عن الخرق الذي ارتكب في مراسم التسمية. فمن شأن ذلك أن يزيد من عدم ارتياحهم إزاء حلول بسبوس أليف محل نائب محترم من أبناء العشيرة.

ها هو الآن يواجه تحدياً آخر. كيف سيتعامل مع قطط العدو الذين تم القبض عليهم على أراضي عشيرة الرعد؟ تمنى قلب النار أن تكون نجمة الصباح في مزاج مناسب لتقديم النصيح له.

تجمعت دورية الفجر في دائرة وسط الفسحة. فشق قلب النار طريقه بينهم ورأى هري عشيرة الظلال جاثمين على الأرض الصلبة، بذيلين مرفوعين وآذان منخفضة.

تعرف على أحدهما على الفور. كان النمر الصغير، هربني اللون. التقيا في أحد الاجتماعات عندما كان النمر الصغير مجرد بسبوس. فقد أجبره الذيل النمرود على التدريب عندما كان عمره لا يتجاوز ثلاثة أعمار. غير أنه أصبح الآن مكتمل النمو، على الرغم من صغر حجمه، وبدأ في حالة سيئة، بفرائه الأشعث، ورائحته التنتنة، وخوفه الواضح. كانت عظام ردفه بارزة، مثل جناحين بلا ريش، وعيناه غائرتين في وجهه. أما الهرب الآخر، فلم يكن أفضل حالاً منه. قال قلب النار في نفسه بشيء من عدم الارتياح: هذان ليسا بمحاربين يخشى منهما.

نظر إلى الرعب الأبيض الذي قاد دورية الفجر. «هل قاتلاكم عندما عثرتم عليهما؟».

أقر الرعب الأبيض وهو يلوح بذيله: «كلاً. عندما أيقظناهما، توسلا

إلينا لكي نحضرهما إلى هنا».

شعر قلب النار بالارتباك. ردّد قائلاً: «توسّلا إليكم؟ ولماذا يفعلان ذلك؟».

صاحت نجمة الصّباح وهي تشقّ طريقها بين حشد القطط، وقد تشنّج وجهها قلقاً وغضباً: «أين محارباً عشيرة الظّلال؟». شعر قلب النار بالتوتّر يعتصر بطنه. هتّت في وجه الهزّين البائسين: «أهذا هجوم آخر؟».

شرح لها قلب النار بسرعة: «لقد وجدتهما الرّعب الأبيض أثناء الدورية، كانا نائمين في أراضي عشيرة الرّعد». زمجرت نجمة الصّباح، وأخفضت أذنيها على رأسها. «نائمين؟ حسناً، هل تعرّضنا لهجوم أم لا؟».

ماء الرّعب الأبيض قائلاً: «لم نجد غير هذين المحاربين». سألته نجمة الصّباح: «هل أنت واثق؟ قد يكون فخاً».

عندما نظر قلب النار إلى المخلوقين المثيرين للشّفقة، شعر أنّ الهجوم كان آخر ما يشغل بالهما. غير أنّ نجمة الصّباح محقّة، فمن الحكمة التأكّد من عدم وجود قطط آخرين من عشيرة الظّلال مختبئين في الغابة، ينتظرون إشارة للهجوم. فنادى الفأرة السّمراء والفراء الأغبر قائلاً: «أنتما الاثنان، فليأخذ كلّ منكما محارباً ومبتدئاً، وابدأوا بالبحث من درب الرّعد وصولاً إلى المخيم. أريد أن يتمّ تفتيش كلّ بقعة من الأرض بحثاً عن أيّ أثر لعشيرة الظّلال».

تنفّس قلب النار الصّعداء عندما أطاعه المحاربان على الفور. فنادى الفراء الأغبر كُلاًّ من البرق الخاطف وبسّ أرقش، بينما أشارت الفأرة السّمراء إلى بسّ رشيق والفراء الأشقر. بعد ذلك، اندفع الستّة من

المخيم باتجاه إلى الغابة.

عاد قلب النار إلى الأسيرين المرتعشين، وسألهما قائلاً: «ماذا تفعلان في أراضي عشيرة الرعد؟ ما الذي أتى بك إلى هنا أيها النمر الصغير؟».

حدّق الهزّ المخطّط إلى قلب النار بعينه المستديرتين الخائفتين، ف شعر بموجة تعاطف. إذ بدا القطّ تائهاً وعاجزاً، تماماً كما كان في ذاك الاجتماع الأول، عندما كان بسبوساً بالكاد فُطم عن الرضاعة. أخيراً، قال النمر الصغير متلعثماً: «أ-أتينا أنا والظ-طوق الأبيض إلى هنا على أمل أن تمنحونا الطعام وأعشاباً للعلاج».

علت هسهسات عدم التصديق من ققط عشيرة الرعد، فانكمش النمر الصغير، وضغط جسده الهزيل على الأرض.

حدّق قلب النار إلى الأسير بذهول. فمنذ متى تطلب ققط عشيرة الظلال المساعدة من ألد أعدائها؟

همست فراء الرماد بهدوء في أذن قلب النار: «انتظر يا قلب النار». ضاقت عيناها وهي تتفحص هزيّ عشيرة الظلال. «هذان الهزان لا يشكّلان أيّ تهديد لنا، فهما مريضان». عرجت مقتربة منهما، ولامست كفّ النمر الصغير الأمامية بلطف بأنفها ثم قالت: «كفّه دافئة، إنه يعاني من الحمّى».

كانت فراء الرماد على وشك أن تشتّم كفّ الهزّ الثاني عندما شقّت جمرة طريقها عبر حشد الققط، وصاحت قائلة: «كلّا يا فراء الرماد! ابتعدي عنهما!».

قفزت فراء الرماد مجفلة واستدارت نحوها: «لماذا؟ هذان الهزان مريضان، وعلينا أن نساعدهما!». لوت رأسها ونظرت متوسّلة، أولاً إلى

قلب النار، ومن ثمّ إلى نجمة الصّباح.

نظرت كلّ القطط بترقّب إلى نجمة الصّباح، لكنّ زعيمة عشيرة الرّعد وقفت تحدّق إلى الأسيرين بعينين واسعتين. استطاع قلب النار رؤية حيرة وخوف الهرة الرّمادية المسّنة، والإرباك الذي شاب عينيها. فأدرك أنّ عليه أن إلهاء القطط بينما تستجمع الزعيمة المضطربة أفكارها. سأل الأسيرين مجدّداً: «لماذا نحن؟ ما الذي دفعكما للمجيء إلى أراضينا؟».

كان الطّوق الأبيض، هرّ عشيرة الظّلال الآخر، هو الذي تكلم هذه المرّة.

كان هرّاً أسود اللون، وكان وبر أكفّه وصدره أبيض في الأصل، لكنّه بدا الآن متّسخاً. أوضح بهدوء: «سبق أن ساعدتم عشيرة الظّلال من قبل، عندما طردنا الذّيل التّمروء».

فكر قلب النار بشيء من عدم الارتياح، لكنّ عشيرة الرّعد منحت ملاذاً لزعيم عشيرة الظّلال. هل نسي الطّوق الأبيض ذلك؟ ثمّ ما لبث أن أدرك أنّ الذّيل التّمروء أجبر هذين الهريّن على التدرّب في سنّ مبكرة، قبل أن يصبحا جاهزين لترك أمهما. ولا بدّ أن إبعاد زعيمهما القاسي كان خلاصاً بالنسبة إليهما، ولم يكثرثا لما حلّ به بعد ذلك. والآن بعد أن مات الذّيل التّمروء، لم يعد محاربو عشيرة الظّلال يواجهون أيّ تهديد من جانب مخيمّ عشيرة الرّعد، باستثناء التنافس العادي بين العشيرتين. تابع الطّوق الأبيض يقول: «كنّا نأمل أن تتمكّنوا من مساعدتنا الآن أيضاً. فنجم اللّيل مريض، والمخيم في حالة فوضى بعد أن انتقل المرض إلى عدد كبير من القطط. ولا نملك ما يكفي من الأعشاب أو الفرائس».

قبل أن يتمكن قلب النار من قول أي شيء، سألته جمرة بحدة: «وماذا يفعل شرشور؟ إنه هزكم المداوي، وعليه أن يعتني بكم!».

فاجأت نبرتها قلب النار. فقد كانت جمرة تنتمي في الماضي إلى عشيرة الظلال. ومع أنه يعرف أن ولاءها أصبح لعشيرة الرعد الآن، إلا أنه فوجئ بقلّة تعاطفها مع أبناء عشيرتها السابقة.

زمجر النمر الأسود قائلاً: «كان نجم الليل على ما يرام في الاجتماع الليلة الماضية».

وافقته نجمة الصّباح وقد ضاقت عيناها بارتياب: «هذا صحيح». غير أن قلب النار تذكر كيف بدا زعيم عشيرة الظلال واهناً، ولم يُفاجأ عندما قال النمر الصّغير: «لقد ساءت حالته عند عودته إلى المخيم، ولازمه شرشور طوال الليل من دون أن يفارقه. ترك بسبوساً يموت على بطن أمه من دون أن يعطيه حتّى بذور خشخاش لتسهيل رحلته إلى عشيرة النّجوم! ونحن خائفان من أن يتركنا نموت نحن أيضاً. ساعدونا رجاءً!».

بدا إلحاح النمر الصّغير صادقاً لقلب النار. فنظر بأمل إلى نجمة الصّباح، لكنّ الحيرة لم تفارق عينيها الزرقاوين.

أصرت جمرة بصوت خافت: «عليهما الرحيل».

سألها قلب النار: «لماذا؟ إنهما لا يشكّلان خطراً علينا وهما في هذه الحالة!».

«هذان الهزان يحملان مرضاً رأيته من قبل في عشيرة الظلال». أخذت جمرة تدور حول هريّ عشيرة الظلال وتفتحصهما، على مسافة منهما. «وقد قتل عديداً من القطط في المرّة الأخيرة».

سألها قلب النار: «هذا ليس السعال الأخضر، أليس كذلك؟».

بدأت بعض قطط عشيرة الرّعد تتراجع ببطء عندما ذكر قلب النّار المرض الذي اجتاحت عشيرتهم في فصل الثلوج.

تمتتم جمرّة من دون أن يفارق نظرها الأسيرين: «كلّا، ليس له اسم. إنّهُ يأتي من الفئران التي تقتات من مكبّ نفايات ذوي السّاقين على الطّرف الآخر من أراضي عشيرة الظّلال». حدّقت إلى النّمر الصّغير مضيفة: «ألا يعرف المسنّون عندكم أنّ فئران ذوي السّاقين تحمل المرض، ولا ينبغي اصطياها بتاتاً؟».

أوضح النّمر الصّغير: «أحد المبتدئين هو الذي أحضر الفأر، وكان صغيراً في السنّ ليتذكّر عدم صحّة ذلك».

أصغى قلب النّار إلى الهزّ المريض وهو يتنفس بصعوبة، أمام النظرات الصّامتة لقطط عشيرة الرّعد. فسأل نجمة الصّباح: «ماذا سنفعل؟».

بادرت جمرّة بالإجابة: «نجمة الصّباح، لم يمض وقت طويل منذ أن اجتاحت السّعال الأخضر عشيرتنا». ثمّ ذكرتها قائلة: «وقد خسرت روحاً بسببه». زمّت الهزّة المداوية عينيها، وعرف قلب النّار ما تفكّر فيه. فقد كان هو وجمرّة الوحيدين اللّذين يعرفان أنّ نجمة الصّباح تعيش روحها الأخيرة. وقد تموت إذا انتشر المرض في عشيرة الرّعد، لتبقى العشيرة بلا زعيمة. تجمّدت الدّماء في عروقه لدى التّفكير في الأمر، وارتجف على الرّغم من شمس الصّباح الحارّة.

هزّت نجمة الصّباح رأسها مجيبة بصوت خافت: «أنت محقّة يا جمرّة، على هذين الهزّين الرّحيل. أرسلهما من هنا يا قلب النّار». كان صوتها خالياً من الإحساس وهي ترجع إلى وكرها.

الارتياح الذي شعر به قلب النّار حيال التوصل إلى قرار عكّره

إحساسه بالشّفقة على الهزّين المريضين. فمَاء قائلاً على مضض:
«سنرافق أنا وعاصفة الرّمال محاربَي عشيرة الظّلال إلى حدود أرضهما».
تردّد مواء استحسان بين بقيّة القطط، فيما حدّق النّمر الصّغير إلى قلب
النّار، وتوسّل إليه بعينه. أجبر قلب النّار نفسه على النّظر بعيداً، وقال
لأبناء العشيرة: «عودوا إلى أوكاركم».

ابتعد بقيّة القطط بصمت واختفوا في الشّجيرات المنتشرة على
طرف الفسحة، ما عدا فراء الرّماد، التي بقيت بجوار قلب النّار وعاصفة
الرّمال.

بدأ الطّوق الأبيض بالسّعال، وتشنّج جسده ألماً، فتوسّلت فراء
الرّماد قائلة: «من فضلك، دعني أساعدهما».

هزّ قلب النّار رأسه بلا حول ولا قوّة، بينما نادى جمرة من النّفق:
«تعالى إلى هنا يا فراء الرّماد! يجب أن تزيلى أثر المرض عن خطمك».
حدّقت فراء الرّماد إلى قلب النّار، بينما صاحت جمرة: «تعالى حالاً!
إلا إذا كنت تريدني أن أضيف بعض أوراق القراص إلى الخليط!».

تراجعت فراء الرّماد وهي تلقي نظرة عتاب أخيرة على قلب النّار.
لكن ما من شيء يمكنه فعله، فقد أعطته نجمة الصّباح أمراً، ووافقت
عليه العشيرة.

نظر إلى عاصفة الرّمال، وشعر بالارتياح عندما رأى التعاطف في
عينها. كان يعلم أنّها ستفهم صراعه بين تعاطفه مع الهزّين المريضين
ورغبته في حماية عشيرته من المرض.

مادت عاصفة الرّمال بهدوء: «فلنذهب. كلّما أسرعنا في العودة إلى
مخيمهما، كان ذلك أفضل».

أجاب: «حسناً». نظر إلى النّمر الصّغير، وأجبر نفسه على تجاهل

اليأس الذي طغى على وجهه. «درب الرّعد مزدحم، فالوحوش تكثر دائماً في فصل الحرّ. سنساعدكما على العبور».

همس النّمر الصّغير: «لا ضرورة لذلك، بإمكاننا عبوره بمفردنا». «سنرافقكما إلى هناك على أيّ حال. هيا بنا».

دفع محارباً عشيرة الظّلال نفسيهما للوقوف، ومشياً من دون اتّزان إلى مدخل المخيم. تبعتهما عاصفة الرّمال ومعها قلب النّار من دون أن يتكلّما، على الرّغم من أنّ قلب النّار كان يتنفّس بحدّة وهو يراقب الهريّين المريضين يتسلّقان بصعوبة سفح الوادي.

بينما كانوا يعبرون الغابة، مرّ فأر من أمامهم. فارتعشت أذان محاربَي عشيرة الظّلال، لكنّهما كانا أضعف من مطاردته. من دون تفكير، تجاوز قلب النّار عاصفة الرّمال وتتبع رائحة الفأر بين الأعشاب. سرعان ما اصطاده، وأحضره إلى هريّ عشيرة الظّلال المريضين، ووضعه أمام كفيّ النّمر الصّغير. من شدّة المرض، لم يقلوا شيئاً للتعبير عن امتنانهما، بل اكتفيا بالانحناء لأكل شيء من الفريسة.

رأى قلب النّار عاصفة الرّمال تنظر بتشكّك، فقال لها: «لا يستطيعان نشر المرض عن طريق الأكل، كما أنّهما بحاجة إلى القوّة للعودة إلى مخيمهما».

«لا يبدو أنّهما يتمتّعان بالشهية على أيّ حال». قالت عاصفة الرّمال ذلك عندما نهض النّمر الصّغير والطّوق الأبيض فجأة، وابتعدا متعثّرين عن الفأر إلى الشّجيرات. بعد قليل، سمعهما قلب النّار وهما يتقيّان. تمتت عاصفة الرّمال وهي تطمر بقايا الفأر بالتراب: «لقد ضاعت هذه الفريسة سدى».

أجابها قلب النّار خائباً: «أظنّ ذلك». انتظرا إلى أن ظهر الهريّان

مجدّداً، ثم لحقت بهما عاصفة الرّمال.

استطاع قلب النّار اشتمام رائحة الأبخرة الحادّة الصّادرة عن درب الرّعد قبل لحظات قليلة من سماع هدير الوحوش عبر الأشجار المكسّوة بالأوراق. مأت عاصفة الرّمال لهزيّ عشيرة الظّلال: «أعرف أنّكما لا تريدان المساعدة منّا، ولكنّا سننتظركما حتّى تعبران درب الرّعد». أوماً قلب النّار برأسه موافقاً. فقد كان مهتماً بسلامتهما أكثر من خشيته من عدم مغادرتهما أراضي عشيرة الرّعد.

أصرّ النّمر الصّغير قائلاً: «سنعبر بمفردنا، اتركانا هنا وحسب». نظر قلب النّار إليه بحدّة، وتساءل فجأة عمّا إذا كان يجدر به أن يثق بهما إلى هذا الحدّ. لكن مع ذلك، صعب عليه لتصديق أنّ هذين المحاربين المريضين يشكّلان تهديداً لعشيرتهما. فما كان منه إلّا أن وافق قائلاً: «حسناً». ألقت عليه عاصفة الرّمال نظرة متشكّكة، لكنّه أعطى إشارة صغيرة بذيله، فجلست الهزّة البرتقالية في مكانها. أوماً النّمر الصّغير والطّوق الأبيض برأسيهما مودّعين، واختفيا بين نبات الخنشار. سأله عاصفة الرّمال: «هل سـ»

خمن قلب النّار ماهيّة سؤالها: «سنتبعهما؟ أعتقد أنّه علينا ذلك». انتظرا بضع لحظات، إلى أن اختفى صوت هرّي عشيرة الظّلال بين الشّجيرات، ثمّ بدءا بتعقّبهما في الغابة.

همست عاصفة الرّمال عندما انحرف الأثر باتجاه الأشجار الأربع: «هذا ليس الطّريق إلى درب الرّعد».

قال وهو يلامس بأنفه طرف جذع عليق: «ربّما كانا يتبعان الطّريق الذي أتيا منه». التوت شفتاه عندما اشتّم الرّائحة الكريهة للهرّين المريضين، فمأ قائلاً: «تعالى، فلنلحق بهما». استبدّ به القلق. هل أخطأ

بشأن الهَرَّين؟ هل كانا عائدَين إلى أراضي عشيرة الرّعد على الرّغم من
 تعهّدهما بالمغادرة؟ حتّ خطاه، وركضت عاصفة الرّمال خلفه بصمت.
 كان درب الرّعد يصدر همهمات مثل النّحل في البعيد. ويبدو أنّ
 هرّي عشيرة الظّلال تبعاً مساراً موازياً للمسار الحجري التّن. قادت
 رائحتهما قلب النّار وعاصفة الرّمال إلى خارج غطاء نبات الخنشار في
 الغابة، إلى قطعة أرض مقفرة. أمامهما مباشرة، اجتاز هرّا عشيرة الظّلال
 أثر الرّائحة الذي علّم الحدود بين المنطقتين، وبدء يهبّطان في أجمة
 عليق، غير مدرّكين لمحاربي عشيرة الرّعد اللّذين يتبعانهما كظلّهما.
 ضاقت عينا عاصفة الرّمال متسائلة: «لماذا يذهبان إلى هناك؟».
 أجاب قلب النّار: «فلنكتشف السبب». هروا إلى الأمام، كاتماً
 خوفه وهو يعبر خطّ الرّائحة. أصبح هدير درب الرّعد أعلى بكثير،
 وارتعشت أذناه باضطراب بسبب الضّجيج المزعج.
 شقّ محارباً عشيرة الرّعد طريقهما بين السويقات الشائكة. كان
 قلب النّار مدرّكاً أنّهما على أرضٍ معادية الآن، لكن كان عليه أن يتأكّد
 من أنّ هرّي عشيرة الظّلال عائدان إلى مخيمّهما. عرف من الضّجيج أنّ
 درب الرّعد أصبح أمامهما الآن على بعد بضعة ثعالب فقط، ذلك أنّ
 رائحة الهَرَّين المريضين اختلطت بالأبخرة المتصاعدة منه.
 فجأة، انتهت بقعة نباتات العليق، ووجد قلب النّار نفسه يدوس
 على عشب قدّر يمتدّ على أطراف درب الرّعد. حدّر عاصفة الرّمال
 وهي تقفز بجانبه: «انتبهي!». كان الطّريق الرّمادي الصّلب يمتدّ أمامهما
 مباشرة وهو يلمع بفعل الحرارة، وما لبث أن هدر وحش وهو يمرّ من
 أمامهما، ممّا دفع الهرة الشّقراء إلى الانكماش على نفسها.
 سألتها: «أين هرّا عشيرة الظّلال؟».

حدّق قلب النّار إلى درب الرّعد، ثمّ أغمض عينيه وخفض أذنيه
مع مرور مزيد من الوحوش أمامه، فيما شعث الهواء الذي هبّ في
أثرها فراءه وشاربيه. لم ير الهَرَيْن المريضَيْن في أيّ مكان، ولكن من
غير الممكن أن يكونا قد عبرا أساساً.

همست الهَرّة قائلة وهي تشير بأنفها: «انظر». تبع قلب النّار نظرات
عينيه المذهولتين على طول شريط العشب المغبر. كان خالياً باستثناء
حركة صغيرة في موضع ظهر فيه طرف ذيل الطّوق الأبيض وهو يختفي
في الأرض، تحت الطبقة الحجرية المسطّحة والتّينة لدرب الرّعد.
حملق قلب النّار بعينه غير مصدّق. كان الأمر كما لو أنّ درب
الرّعد فتح فمه وابتلع هرّي عشيرة الظلال بالكامل.



الفصل 9



شهو قلب النار متسائلاً: «أين ذهباً؟».

اقتربت عليه عاصفة الرمال قائلة: «فلنلق نظرة عن كثب»، واندفعت إلى المكان الذي اختفى فيه هزاً عشيرة الظلال.

لحق بها قلب النار، وعندما اقتربا من بقعة العشب التي ابتلعت الذيل الأسود، لمح ظلاً في المكان الذي تنحدر فيه الأرض بحدة إلى داخل تجويف بجانب درب الرعد. كان مدخل نفق حجري يؤدي إلى ما تحت درب الرعد، كذاك الذي استخدمه مع النمر الرمادي في رحلتها للعثور على عشيرة الرياح. احتكّ به فراء عاصفة الرمال وهما يهبطان المنحدر ببطء ويشتمّان المدخل المظلم بحذر. شعر قلب النار بالهواء وهو يهبّ على أذنيه مع هدير الوحوش العابرة فوقهما، لكن بالإضافة إلى رائحة درب الرعد المنفرة، اشتّم رائحة حديثة لهريّ عشيرة الظلال. لقد مرّا بالتأكيد من هذا الطريق.

كان النفق مستديراً تماماً، مرصوفاً بحجر قشدي اللون يبلغ ارتفاعه ارتفاع هزين تقريباً. وعرف من الطحالب التي تكسو الجوانب الملساء حتى الوسط أنّ المياه تجري في النفق في فصل الثلوج. أمّا الآن، فكان جافاً، وكان أسفله مكسوّاً بأوراق الشجر وبقمامة ذوي الساقين.

سألته عاصفة الرّمال: «هل سبق لك أن سمعت عن هذا المكان؟». هزّ رأسه نافياً. «لا بدّ أنّه الطريق الذي تعبره عشيرة الظّلال للوصول إلى الأشجار الأربع».

«إنّه أسهل بكثير من العبور بين الوحوش».

«لا عجب أنّ النّمر الصّغير أراد اجتياز درب الرّعد بمفرده. فهذا النّفق سرّ تريد عشيرة الظّلال إبقاءه طيّ الكتمان. دعينا نعود إلى المخيم ونخبر نجمة الصّباح».

اندفع قلب النّار إلى أعلى المنحدر عائداً إلى الغابة، وألقى نظرة خاطفة من فوق كتفيه للتأكّد من أنّ عاصفة الرّمال ما زالت معه. لحقت به مسرعة، وتوجّه الهزّان إلى مخيمهما. عندما اجتازا خطّ الرّائحة، غمر قلب النّار شعورٌ مألوف بالارتياح لعودته إلى أراضي عشيرة الرّعد الآمنة، علماً أنّه لم يعد واثقاً، بعدما عرف من النّمر الصّغير بخبر المرض المنتشر في عشيرة الظّلال، من أنّ العشيرة المنافسة ما زالت في وضع صحّي يسمح لها بإرسال دورياتها إلى الحدود على أيّ حال.

«نجمة الصّباح!». توجّه قلب النّار مباشرة إلى وكر نجمة الصّباح وهو يلهث من شدّة الحرّ والتعب. «نعم؟» أتاه الرّد من وراء الأشنة.

دفع قلب النّار الستارة ودخل. كانت زعيمة عشيرة الرّعد ممّدة في فراشها، وقوائمها مدسوسة بعناية تحت صدرها. قال لها: «لقد وجدنا نفقاً في أراضي عشيرة الظّلال، يمتدّ تحت درب الرّعد». زمجرت نجمة الصّباح: «آمل ألا تكونا قد عبرتماه».

تردّد قلب النّار. فقد توقع أن تتحمّس زعيمته لهذا الاكتشاف، غير

أَنْ نبرتها كانت قاسية واتهامية. تمتم قائلاً: «ك-كلّا، لم نعبه».

«لقد جازفتما كثيراً بدخول أراضيهم على أيّ حال. نحن لا نريد أن نثير عداوة عشيرة الظلال.»

أشار قائلاً: «إذا كانت عشيرة الظلال ضعيفة، كما قال المحاربون، فلا أعتقد أنهم سيفعلون شيئاً حيال ذلك». لكنّ نجمة الصّباح بدت شاردة، كأنّها غارقة في أفكارها.

سألته: «هل رحل الهزان؟».

«أجل، ذهبوا عبر النّفق. هكذا عرفنا بأمره.»

هزّت نجمة الصّباح رأسها بشرود. «حسناً.»

بحث قلب النّار في عيني زعيمة عشيرة الرّعد عن أيّ أثر للتّعاطف. ألا تكثرث على الإطلاق للمرض الذي يغزو عشيرة الظلال؟ لم يستطع أن يمنع نفسه من سؤالها: «هل أصبنا بإعادتهما إلى هناك؟».

أجابت نجمة الصّباح بعصبية: «بالطبع! فنحن لا نريد أن ينتشر المرض في المخيم مجدداً.»

وافقها بصعوبة: «صحيح، نحن لا نريد ذلك.»

بينما كان يهّم بالذهاب، أضافت نجمة الصّباح: «لا تخبر أحداً عن النّفق حالياً.»

«حسناً». وعدّها قلب النّار بذلك وهو يتسلّل عبر ستارة الأشنة.

تساءل لماذا أرادت نجمة الصّباح إبقاء أمر النّفق طيّ الكتمان. فقد اكتشف نقطة ضعف في حدود عشيرة الظلال يحتمل أن تصبح نقطة قوّة بالنسبة إلى عشيرة الرّعد. وهذا لا يعني ذلك أنّ عشيرة الظلال تستحقّ أيّ نوع من أنواع الهجوم في الوقت الحالي، لكن من المؤكّد أنّ معرفة الغابة بشكل أفضل أمرٌ جيّد. تنهّد بينما اندفعت عاصفة الرّمال نحوه.

سألته: «ماذا قالت؟ أهي سعيدة لأننا وجدنا النفق؟».
هزّ قلب النار رأسه نافياً. «طلبت منّي أن أبقى الأمر سرّاً».
ماءت عاصفة الرّمال بدهشة: «لماذا؟».

هزّ قلب النار كتفيه وتابع طريقه إلى وكره. هرولت عاصفة الرّمال
خلفه وهي تسأل: «هل أنت بخير؟ هل الموضوع متعلّق بنجمة الصّباح؟
هل قالت أيّ شيء آخر؟».

أدرك قلب النار أنّه كان يفضح قدراً كبيراً من قلقه على زعيمة
عشيرة الرّعد. فانحنى ليلعق صدره بسرعة، ثمّ رفع رأسه وماء ببهجة
مصطنعة: «عليّ الذّهاب. فقد وعدت بسّ الغمام باصطحابه إلى الصّيد
عصر هذا اليوم».

«هل تريد منّي مرافقتكما؟» بدا القلق في عيني عاصفة الرّمال، التي
أضافت: «سيكون ذلك ممّتعاً. فنحن لم نخرج للصّيد معاً منذ دهر».
أومأت برأسها إلى وكر المبتدئين. هناك، كان بسّ الغمام نائماً تحت
أشعة الشّمس. كانت بطن المبتدئ الممتلئة والمكسوة بالفراء تعلو
وتهبّط مع كلّ نفس. أضافت: «إنّه بحاجة حتماً إلى التّمرين، فقد بدأ
يشبه غصن الصّفصاف». صدرت عنها خرخرة مرحة قبل أن تتابع قائلة:
«يا له من صياد! لا أعتقد أنّي رأيت هزّ عشيرة بهذه البدانة من قبل».

لم يكن ثمة حقد في صوت عاصفة الرّمال، لكنّ قلب النار شعر
بحرارة الخجل تغزو فرائه. فقد بدا بسّ الغمام سميناً بالفعل بالنّسبة
إلى هزّ شاب، وأكثر بدانة بكثير من بقيّة المبتدئين، على الرّغم من أنّهم
كانوا جميعاً يستمتعون بوفرة الفرائس في فصل الحرّ. ماء على مضض:
«أظنّ أنّه عليّ اصطحاب بسّ الغمام بمفردي، فقد أهملته قليلاً في الآونة
الأخيرة. هل يمكننا الخروج معاً في وقت آخر؟».

ردّت عاصفة الرّمال بمرح: «سأكون جاهزة متى تشاء. يمكنني أن أصطاد لنا أرنباً آخر». رأى قلب النّار المزاح يلعب في عينيها الخضراوين الشاحبتين، وأدرك أنّها تلمح إلى اليوم الذي خرجا فيه للصيد معاً في الغابة المكسوّة بالصّقيع، عندما فاجأته بسرعتها ومهارتها. «ما لم تكن قد تعلّمت أخيراً كيفيّة اصطيادها بنفسك!» مازحته عاصفة الرّمال، ولا مست حدّ قلب النّار بذيلها وهي تهوّل مبتعدة.

شعر قلب النّار بوخز فرح غريب في أكفّه وهو يراقبها تبتعد. أخيراً، هزّ رأسه وذهب إلى بسّ الغمام. قوَس المبتدئ النعسان ظهره وتمطّى، وارتجفت قوائمه القصيرة من ذلك الجهد.

سأله قلب النّار: «هل خرجت من المخيم اليوم؟». «كلّا».

أخبره باقتضاب: «حسناً، نحن ذاهبان إلى الصّيد». شعر بالانزعاج من اعتقاد بسّ الغمام أنّ بإمكانه الاستلقاء ببساطة والاستمتاع بأشعة الشّمس. «لا بدّ أنّك جائع». أجاب: «ليس حقّاً».

شعر قلب النّار بالإرباك. هل سرق بسّ الغمام شيئاً من كومة الفرائس؟ فمن غير المسموح للمبتدئين تناول الطّعام قبل تأمينه للمسّنين، أو الذّهاب للتدريب. إلّا أنّ قلب النّار صرف الفكرة على الفور، واستبعد أن يكون المبتدئ قد تمكّن من فعل ذلك من دون أن يراه أحد أفراد العشيرة. قال: «حسناً، إن لم تكن تشعر بالجوع، فسنبدأ ببعض التمارين القتالية في غور التدريب. يمكننا أن نصطاد بعد ذلك». من دون إعطاء الهزّ الصّغير فرصة للاعتراض، انطلق يجري إلى خارج المخيم. سمع وقع خطى بسّ الغمام خلفه، لكنّه لم ينظر إلى

الوراء أو يبطئ من سرعته إلى أن وصل إلى الغور الظليل الذي تدرّب فيه عندما كان مبتدئاً. توقّف في وسط الفسحة الرملية. كان الهواء ساكناً جداً وحرارة الظّهيرة خانقة حتّى في الظلّ. بينما كان بسّ الغمام يهبّط المنحدر مسرعاً ليلحق به، مخلفاً سحباً من الغبار الأحمر التي علقت بفرائه الأبيض الطويل، أمره قائلاً: «هاجمني».

حدّق الهزّ إليه مكثراً. «ماذا؟ هكذا من دون سبب؟».

أجابه: «نعم. اعتبرني محارباً معادياً».

«حسناً». هزّ بسّ الغمام كتفيه، وبدأ يركض نحوه بفتور. أبطأت بطنه المستديرة من سرعته، وجعلت أكفّه الصّغيرة تغوص عميقاً في الرّمال. كان لدى قلب النّار متّسع من الوقت لإعداد نفسه، وعندما وصل إليه بسّ الغمام أخيراً، كان من السّهل عليه الابتعاد جانباً بحيث سقط المبتدئ الشاب أرضاً وتدحرج فوق التراب.

نهض بسّ الغمام متعثراً، ونفض نفسه وهو يعطس بسبب الغبار الذي دغدغ أنفه.

قال له قلب النّار: «أنت بطيء جداً، حاول مجدّداً».

جثم بسّ الغمام أرضاً، وتنفّس بصعوبة، ثمّ زمّ عينيه. حدّق إليه قلب النّار، وقد أعجب بحدّة نظّره. فقد بدا المبتدئ هذه المرّة كما لو أنّه يفكر فعلاً بالهجوم. قفز في الهواء باتّجاه قلب النّار، والتوى وهو يهبّط لكي يتمكّن من ركل مدرّبه بقائمتيه الخلفيتين.

ترنّح قلب النّار، لكنّه تمكّن من الحفاظ على توازنه، ووجّه إلى بسّ الغمام ضربة بكفّه الأماميّة جعلته يطير في الهواء. قال بازدراء: «هذا أفضل، لكنك لست جاهزاً للهجوم المضاد».

كان بسّ الغمام يرقد بلا حراك فوق الرّمال.

ماء قلب النار قائلاً: «بسّ الغمام؟». كانت الضربة التي وجهها إليه بكفه الأمامية قوية، لكنها غير كافية بالتأكيد لإيذائه. ارتعشت أذنا المبتدئ لكنه بقي في مكانه.

اقترب منه قلب النار ببطء، وشعر بوخز القلق في فرائه. نظر إلى الأسفل، ورأى أن عيني بسّ الغمام كانتا مفتوحتين. شهق المبتدئ ساخراً: «لقد قضيتَ عليّ»، وتدحرج بضعف على ظهره.

شخر قلب النار قائلاً بحدة: «كفّ عن العبث، هذه مسألة جدية!». «حسناً، حسناً». كافح بسّ الغمام للنهوض على أكفه وهو لا يزال يلهث وأضاف: «لكنني جائع الآن. هل يمكننا الذهاب للصيد؟».

فتح قلب النار فمه ليجادل، ثم تذكر كلام الرعب الأبيض، سيتعلم عندما يصبح جاهزاً لذلك. ربما كان من الأفضل في النهاية أن يترك بسّ الغمام يتدرب بالوتيرة التي تناسبه. فحتى الآن، كان الجدل مضيعة للوقت.

«هيا بنا إذاً». تنهّد قلب النار، وقاد بسّ الغمام إلى خارج غور التدريب.

بينما كانا يسيران على طول قاع الوادي نحو الغابة، توقّف بسّ الغمام واشتمّ الهواء. قال: «أنا أشمّ رائحة أرنب». رفع قلب النار أنفه، وأدرك أن تلميذه على حق.

همس المبتدئ: «إنّه هناك».

كشف وميض ساطع بين الشجيرات عن ذيل أبيض لأرنب صغير. فانحنى قلب النار على الأرض، وشد عضلاته استعداداً للمطاردة. بجانبه، انخفض بسّ الغمام أيضاً، وبرزت بطنه جانباً وهو ينحني. ومض

ذيل الأرنب مجدّداً، واندفع بسّ الغمام نحوه، وكانت أكفّه تضرب بثقلها على أرض الغابة الجافّة. سمع الأرنب الضجيج على الفور وفزّ هارباً بين الشجيرات. أمّا بسّ الغمام، فانطلق خلفه بصخب، وتبعه قلب النّار بخطوات صامتة. اهتزّت نباتات الخنشار التي عبر بينها الهزّ الشاب، وشعر قلب النّار بالخيبة عندما توقّف لاهثاً أمامه. كان الأرنب قد اختفى. هتف قلب النّار قائلاً: «كنت تصطاد بشكل أفضل عندما كنت بسبوساً صغيراً!». كان ابن أخته ذات يوم يتمتّع بصفات محارب جيّد، ولكن يبدو أنّ المبتدئ الأبيض يتحوّل بوبره المنفوش إلى بسبوس أليف رقيق. «وحدها عشيرة النّجوم تعرف كيف أصبحت سميناً جدّاً بتقنيّة صيد كهذه. فحتّى الهزّ الرشيق لا يستطيع أن يسبق الأرنب. عليك أن تكون أخفّ وزناً بكثير وأنت تهبط على أكفّك لكي تتمكّن من الإمساك بأرنب!». كان ممتناً لأنّ عاصفة الرّمال لم تكن معهما، وإلاّ لشعر بالحرّج لو رأت الحال الذي أصبح عليه تلميذه.

هذه المرّة، لم يجادله بسّ الغمام، بل تتمم قائلاً: «أنا آسف». تعاطف قلب النّار مع الهزّ الشاب، فقد بدا أنّ بسّ الغمام بذل قصارى جهده هذه المرّة، ولم يستطع إلّا أن يشعر أنّه خذل تلميذه بإهماله تدريبه مؤخّراً.

قال بسّ الغمام وهو ينظر إلى أكفّه: «لماذا لا أذهب إلى الصّيد بمفردي؟ أعدك بأن أحضر معي شيئاً ما لكومة الفرائس». تأمله قلب النّار للحظة. يستحيل أن يكون بسّ الغمام صياداً رديئاً طوال الوقت، لأنّه يتغذى أفضل من أيّ هزّ آخر في العشيرة كما يبدو. ربّما كان أدائه أفضل عندما لا يكون تحت المراقبة. فجأة، قرّر أن يتتبع تلميذه من دون علمه ويشاهده وهو يصطاد. فوافق قائلاً: «إنّها فكرة

جيدة. لكن احرص على العودة بحلول وقت تناول الطعام».

أشرفت أسارير بسّ الغمام على الفور، وماء قائلاً: «بالطبع. لن أتأخر، أعدك بذلك». سمع قلب النار بطن تلميذه تقرر جوعاً. فقال في نفسه، ربّما يصقل ذلك مهاراته.

بينما كان يصغي إلى وقع خطى بسّ الغمام وهي تتلاشى في الغابة، شعر بشيء من الذنب إزاء فكرة التجسّس عليه. لكنّه ذكر نفسه أنّه سيقم مهارات تلميذه وحسب، مثلما يفعل أيّ مدرّب آخر.

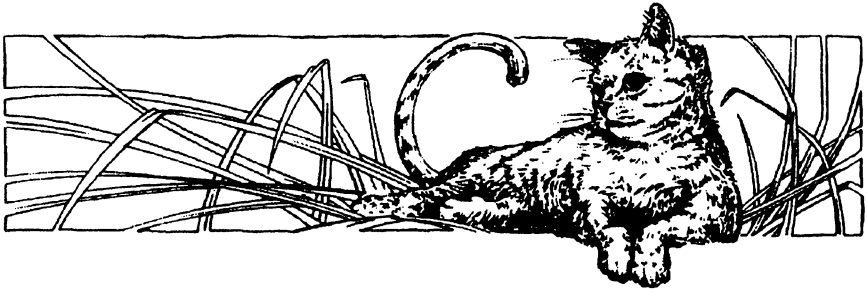
كان تتبّع بسّ الغمام عبر غابة الصنوبر أمراً سهلاً. فقد كانت الشجيرات المنخفضة متناثرة بعيداً عن بعضها تحت ظلال أشجار الصنوبر الشاهقة، بحيث تمكّن من رؤية فراء تلميذه الأبيض كالثلج من مسافة بعيدة. كانت الغابة هنا تضجّ بالطيور الصغيرة، بحيث ظلّ يتوقّع أن يتوقّف بسّ الغمام ويغتنم فرصة الصيد الوافر.

إلا أنّ المبتدئ لم يتوقّف، بل واصل السير بوتيرة سريعة ومثيرة للعجب بالنظر إلى حجم بطنه، متّجهاً إلى خارج غابة الصنوبر إلى أن دخل غابة السنديان المحاذية لمنطقة ذوي الساقين. شعر قلب النار بوخز القلق في أكفّه، فأبقى جسده منخفضاً، وهو يسرع لكي لا يغيب بسّ الغمام عن نظره بين الشجيرات الكثيفة. أخيراً، تضاءلت كثافة الأشجار ولمح قلب النار الأسيجة المحيطة بحدائق ذوي الساقين أمامه. هل يرغب في زيارة أمّه أميرة؟ كان وكر ذوي الساقين قريباً من هنا. في الواقع، لا يمكنه أن يلوم بسّ الغمام لرغبته في رؤيتها من وقت إلى آخر. فهو ما زال صغيراً بما فيه الكفاية ليتذكّر رائحتها الدافئة. ولكن لماذا لم يذكرها أمامه من قبل؟ ولماذا قال إنّّه ذاهب إلى الصيد ما دام ينوي زيارتها؟ فهو يعرف بالتأكيد أنّ قلب النار، من بين كلّ أفراد

العشيرة، سيتفهم ذلك.

تزايد ارتباك قلب النار عندما ابتعد بسّ الغمام عن سياج أميرة، وتبع خطّ مساكن ذوي الساقين إلى أن أصبح بيت أميرة بعيداً عنهما. مشى المبتدئ بثبات قدماً، متجاهلاً حتى رائحة فأر حديثة عبرت طريقه، إلى أن وصل إلى شجرة بتولا فضّية بجانب سياج حديقة أخضر فاتح اللون. تسلّق الهزّ الأبيض جذع شجرة البتولا، وصولاً إلى أعلى السياج، وهو يتمايل بفعل بطنه التي أفقدته توازنه. تذكر قلب النار سخرية الفراء الأغبر وأجفل. ربّما كانت عصافير الحديقة أقرب إلى ذوقه في النهاية. لكن عليه أن يخبر بسّ الغمام أن قطط العشائر لا تصطاد في منطقة ذوي الساقين. فعشيرة النجوم منحتم الغابة ليققاتوا منها.

قفز بسّ الغمام إلى الجانب الآخر من السياج. فاندفع قلب النار مسرعاً إلى أعلى شجرة البتولا، وكان ممتمناً لأوراقها الكثيفة التي حجبت عن الأنظار. في الأسفل، استطاع أن يرى بسّ الغمام وهو يهرول فوق العشب المجزوز بعناية، رافعاً ذيله وذقنه عالياً. شعر بالخوف وهو يشاهد المبتدئ يركض مباشرة ليتجاوز مجموعة صغيرة من طيور الزرزور. طارت العصافير عالياً في موجة من الريش والأجنحة، لكنّ بسّ الغمام لم يلتفت إليها حتى. فشر قلب النار بالدمّ يضجّ في أذنيه. إن لم يكن بسّ الغمام قد أتى لاصطياد طيور الحقائق، فماذا يفعل هنا؟ غير أنّه تجمّد في مكانه مرعوباً فجأة وهو يشاهد بسّ الغمام يجلس خارج وكر ذوي الساقين، ويطلق نحيباً عالياً مثيراً للشفقة.



الفصل 10



حبس قلب النار أنفاسه عندما فُتح باب ذوي الساقين. كان يتمنى لو يستدير بسّ الغمام ويهرب بعيداً، لكنّ جزءاً منه عرف أنه لم يكن لدى المبتدئ أيّ نية للمغادرة. انحنى إلى الأمام على الغصن، وتمنى أن يصيح ذو الساقين ويطرد بسّ الغمام بعيداً. إذ لم تكن قطة الغابة مرحباً بها في العادة في منطقة ذوي الساقين. لكنّ ذا الساقين انحنى وداعب بسّ الغمام، الذي تمطى وضغط رأسه على يده بينما كان ذو الساقين يتمتم بشيء له. ومن نبرة صوته، كان واضحاً أنّهما قاما بتحية بعضهما البعض بهذه الطريقة من قبل. شعر قلب النار بخيبة أمل مريرة كصفراء الفئران تجتاح جسده عندما هرول المبتدئ الأبيض بسعادة عبر الباب واختفى في وكر ذي الساقين.

بقي قلب النار متشبّثاً بغصن شجرة البتولا الهزيل لفترة طويلة بعد أن أغلق باب ذي الساقين. لقد انجذب تلميذه مجدداً إلى الحياة التي أدار ظهره لها. في النهاية، ربّما كان قلب النار قد أخطأ تماماً حياله. استغرق في أفكاره، ولم ييارح مكانه إلا عندما بدأت الشمس تغيب خلف الأشجار، مرسله رعدة باردة عبر فرائه. فانزلق بخفة إلى أسفل السياج وهبط على الأرض في الخارج.

عاد قلب النار عبر الغابة، متتبّعاً بشكل أعمى أثر رائحته على الطريق الذي أتى منه. بدا سلوك بسّ الغمام أشبه بخيانة فظيعة، غير أنّه لم يستطع أن يغضب منه. فقد كان قلب النار توّاقاً جداً ليثبت للعشيرة أنّ البسايس الأليفة بارعة بقدر القطط المولودة في الغابة، ولم يفكر حتّى في أنّ بسّ الغمام قد يفضّل العيش مع ذوي السّاقين. لقد أحبّ قلب النار حياته في الغابة، لكنّه هو من اختارها لنفسه. ولم يخطر بباله إلّا الآن أنّ بسّ الغمام أحضر إلى العشيرة بناء على طلب أمّه وهو لا يزال بسبوساً صغيراً، غير قادر على اتّخاذ القرار بنفسه.

تابع قلب النار سيره قدماً، غافلاً عن مشاهد الغابة وروائحها، إلى أن أدرك فجأة أنّه وصل إلى سياج أخته. حدّق إليه بدهشة. هل جلبته أكفّه إلى هنا عمداً؟ استدار مبتعداً، ذلك أنّه لم يكن مستعدّاً بعد لإخبار أميرة بما اكتشفه. فهو لم يشأ إخبارها بالخطأ الذي ارتكبته عندما أعطت بسّ الغمام للعشيرة. بأكفّ ثقيلة كالحجر، بدأ يسير باتجاه غابة الصنوبر والمخيّم.

«قلب النار!» ناداه الصّوت الناعم لهزة من خلفه. إنّها أميرة!

تجمّد في مكانه، وغاص قلبه، لكنّه لم يتمكّن من الابتعاد عن أخته، لا سيّما وأنّها رأتَه الآن. فعاد أدراجه، بينما قفزت أميرة عن السّياج. تموّج فراؤها الأبيض المخطّط بخفّة وهي تجري نحوه.

توقّفت وماءت قائلة: «لم أرك منذ وقت طويل!». كانت نبرتها حادة ومشوبة بالقلق. «حتّى بسّ الغمام لم يأت لزيارتي منذ مدّة. هل كلّ شيء على ما يرام؟».

تمتم متلعثماً: «ك-كلّ شيء على ما يرام». شعر أنّ صوته متوتّر وكثفيه مثقلان من محاولته الكذب.

رفّت أميرة جفنيها بارتياح، وقد صدّقت كلامه على الفور، ولا مست

بأنفها أنف قلب النار. فداعبها بخطمه واشتم الرائحة المألوفة التي ذكرته بطفولته. خرخرت قائلة: «سُررت لسماع ذلك، فقد بدأت أشعر بالقلق. لماذا لم يزرني بسّ الغمام؟ فأنا أشتّم رائحته باستمرار، لكنني لم أره منذ أيام». لم يستطع قلب النار التفكير في شيء قوله، وشعر بالارتياح عندما واصلت أميرة ثرثرتها. قالت: «أعتقد أنك تبقى مشغولاً بالتدريب. في المرة الأخيرة التي زارني فيها، أخبرني أنك معجب حقاً بالتقدم الذي يحرزه. وقال إنه كان متفوقاً على بقية المبتدئين!». بدت أميرة سعيدة، ولمعت عيناها بفخر.

قال قلب النار في نفسه، تريد أن يصبح بسّ الغمام محارباً عظيماً بقدر ما أريد. فتمتم وهو يشعر بالذنب: «مستقبله واعد يا أميرة». خرخرت أخته: «إنه ابني البكر، وكنت أعلم أنه سيكون مميزاً. ما زلت أشتاق إليه، مع أنني أعرف كم هو سعيد». «أنا واثق من أن كل صغارك مميزون، كل على طريقته». كان قلب النار يتوق إلى إخبار أخته بالحقيقة، لكنه لم يجد الجرأة ليقول إنّ تضحيتها ضاعت هباء، فقال بدلاً من ذلك: «عليّ الذهاب». صاحت أميرة: «حقاً؟ حسناً، عد لزيارتي قريباً، وأحضر معك بسّ الغمام في المرة القادمة!».

أوماً قلب النار برأسه موافقاً. لم يكن يريد العودة إلى المخيم بعد، لكن هذه المحادثة أزعجته كثيراً، كما لو أنه يواجه الهوة المستحيلة التي تفصل بين الغابة وحياة البسبوس الأليف.

* * *

سلك قلب النار الطريق الأطول للعودة إلى المخيم، ممّا سمح لخضرة الغابة المألوفة المحيطة به بتهدئته. عندما خرج من بين الأشجار

في أعلى الوادي، وجد نفسه يفكر مجدداً بمدى افتقاده لوجود النمر الرمادي والحديث إليه.

«مرحباً!». فاجأه صوت عاصفة الرمال. كانت تتسلق سفح الوادي، ولا بد أنها اشتمت رائحته. «كيف كان التدريب؟ وأين بس الغمام؟». نظر إلى وجه الهرة البرتقالي. فأشرقت عيناها الخضراوان، وأحس فجأة أنه يستطيع الوثوق بها. ألقي نظرة حوله بقلق، ثم سألها: «هل أنت بمفردك؟».

حدقت عاصفة الرمال إلى وجهه بفضول. «نعم. فكرت في أن أصطاد قليلاً قبل حلول وقت الطعام».

توجه قلب النار إلى حافة المنحدر، وحدق إلى قمم الأشجار التي تخفي المخيم في الأسفل. فجلست الهرة بجانبه من دون أن تتكلم، لكنها ضغطت جنبها عليه بتعاطف. عرف قلب النار أن بإمكانه أن ينصرف الآن من دون أن تطرح عليه مزيداً من الأسئلة. قال بتردد: «عاصفة الرمال».

«نعم؟».

«هل تظنين أنني اتخذت القرار الخاطئ بإحضار بس الغمام إلى العشيرة؟».

صمت لبضع لحظات، وعندما تكلمت، كان كلامها حذراً وصادقاً. «عندما نظرتُ إليه اليوم، وهو يرقد خارج وكره، بدا أقرب إلى بسبوس أليف منه إلى محارب. ثم تذكرت اليوم الذي اصطاد فيه فريسته الأولى. كان مجرد بسبوس صغير، لكنه خرج في عاصفة ثلجية ليصطاد ذلك الفأر. بدا غير خائف وفخوراً جداً بما فعله، كما بدا حينذاك هرّ عشيرة بالولادة والنشأة».

ماء قلب النار وقد دغدغه الأمل: «إذاً هل اتخذتُ القرار الصحيح؟». خيم صمت مطبق مجدداً. أخيراً، أجابت عاصفة الرمال: «أعتقد أن الوقت كفيل بالإجابة عن هذا السؤال».

لم يقل قلب النار شيئاً، إذ لم يكن هذا هو الكلام الذي أراد سماعه، لكنه عرف أنها على حق.

سألته، وقد ضاقت عيناها بقلق: «هل حدث له مكروه؟». اعترف لها قلب النار بصراحة: «لقد رأيته يدخل وكرأ لذوي الساقين عصر هذا اليوم. أعتقد أنه كان يسمح لهم بإطعامه منذ مدة». عbst عاصفة الرمال. «وهل يعلم أنك رأيته؟». «كلا».

نصحته قائلة: «عليك إخباره. فعلى بس الغمام أن يقرّر المكان الذي ينتمي إليه».

اعترض قائلاً: «ولكن ماذا لو قرّر العودة إلى حياة البسبوس الأليف؟». لقد أدرك اليوم مدى رغبته في بقاء بس الغمام في العشيرة. ليس فقط من أجله، أو لكي يُثبت للقطط الأخرى أن المحاربين لا يولدون في الغابة بالضرورة، بل من أجل بس الغمام أيضاً. فقد كان لديه الكثير ليقدمه للعشيرة، وسيكافأ بسخاء على ولائه لها. في تلك اللحظة، بدأ قلبه يخفق بقوة عندما فكّر في أن بس الغمام قد يكون على وشك الابتعاد عنه.

ماء عاصفة الرمال بلطف: «إنه قراره».

«فقط لو كنت مدرّباً أفضل—»

قاطعته قائلة: «الذنب ليس ذنبك، لا يمكنك تغيير ما في قلبه». هزّ قلب النار كتفيه بياس.

حَثَّته عاصفة الرِّمال قائلة: «تحدَّث إليه وحسب، واعرف ماذا يريد.
دعه يقرَّر بنفسه». بدا التَّعاطف في عينيها المستديرتين، لكنَّ قلب النَّار
كان لا يزال يشعر بالحزن. «اذهب وابحث عنه». هزَّ قلب النَّار رأسه
موافقاً، بينما نهضت عاصفة الرِّمال وابتعدت بين الأشجار.

بقلب مثقل، بدأ يهبط سفح الوادي متَّجهاً إلى غور التَّدريب، على
أمل أن يعود بسَّ الغمام إلى المخيم عبر الطَّريق نفسها. لم يكن يريد
مواجهة تلميذه بهذه الطَّريقة، فقد كان يخشى من دفع بسَّ الغمام للابتعاد
نهائياً. لكنَّه أدرك أيضاً أنَّ عاصفة الرِّمال محقَّة. فمن غير الممكن أن
يبقى الهزَّ الأبيض في عشيرة الرِّعد وهو يحلم بحياة بسبوس أليف.

جلس قلب النَّار في الغور، بينما كانت الشَّمس تغيب خلف الأشجار.
كان الهواء لا يزال دافئاً على الرِّغم من أنَّ ظلالاً طويلة امتدَّت فوق الرِّمال.
لقد اقترب موعد تناول وجبة المساء. بدأ قلب النَّار يشكُّ في ما إذا كان
بسَّ الغمام سيعود أساساً. فجأة، سمع حفيف أوراق ووقع أكفَّ صغيرة
تقترب، فعلم أنَّ المبتدئ الشابَّ يقترب حتَّى قبل أن يشتم رائحته.

ركض الهزَّ إلى الفسحة رافعاً ذيله عالياً وأذناه تهتزَّان. كان يحمل
سنجاباً صغيراً بين فكَّيه، أسقطه ما إن رأى قلب النَّار. «ماذا تفعل هنا؟».
سمع قلب النَّار اللوم في صوت الهزَّ الشابَّ. «قلت لك إنَّني سأعود قبل
موعد تناول الطعام. ألا تثق بي؟».

هزَّ قلب النَّار رأسه نافياً. «كلَّا».

أمال بسَّ الغمام رأسه جانباً وقد ألمه ردَّ قلب النَّار. احتجَّ قائلاً:
«حسناً، قلت لك إنَّني سأعود، وها قد عدت».

ماء قلب النَّار ببساطة: «لقد رأيتك».

«أين رأيتني؟».

«رأيتك وأنت تدخل وكر ذوي الساقين».
«إذا؟».

صُدم قلب النار، حتّى إنّه عجز عن الكلام أمام قلّة اكتراث بسّ الغمام. ألم يدرك هول ما فعله؟ همس والغضب يشتعل في أحشائه:
«كان يفترض بك أن تصطاد من أجل العشيرة».
أجاب بسّ الغمام: «وقد فعلت».

نظر قلب النار بازدراء إلى السّنجاب الذي أسقطه على الأرض.
«وكم هزّاً تعتقد أنّه سيُطعم؟».
«حسناً، لن آخذ شيئاً لنفسي».

قال قلب النار بحدّة: «هذا لأنك متخّم بطعام البسايس الأليفة!»
لماذا عدت أساساً؟».

«ولماذا لا أعود؟ أنا أزور ذوي السّاقين فقط من أجل الطّعام». بدا
بسّ الغمام فعلاً في حيرة من أمره. «ما المشكلة في ذلك؟».
استشاط قلب النار غضباً وزمجر باستياء: «لا يسعني إلّا أن أتساءل
عمّا إذا كانت أمّك قد اتّخذت القرار الصّحيح في جعل ابنها البكر يصبح
هزّ عشيرة».

هسّ بسّ الغمام قائلاً: «حسناً، لقد فعلت ذلك الآن، وأنت عالق
معي!».

هذّده قلب النار قائلاً: «قد أكون عالقاً معك كمبتدئ، لكن يمكنني
منعك من أن تصبح محارباً!».

اتّسعت عينا بسّ الغمام بدهشة. «لن تفعل ذلك! لا تستطيع! سأصبح
مقاتلاً عظيماً ولن تتمكّن من إيقافني». كان يحدّق إلى قلب النار بتحدّ.
«كم مرّة عليّ إخبارك أنّه ثمة ما هو أهمّ من الصّيد لكي تصبح

محارباً. عليك أن تعرف ما الذي تصطاد وتقاتل من أجله!» قاوم قلب النار الغضب الذي اعتمل في صدره.

«أنا أعرف ما الذي أقاتل من أجله. مثلك تماماً: من أجل البقاء!». حدّق قلب النار إلى بسّ الغمام غير مصدّق، وزمجر مجيباً: «أنا أقاتل من أجل العشيرة، وليس من أجل نفسي».

نظر إليه بسّ الغمام بثبات وماء قائلاً: «حسناً، سأقاتل من أجل العشيرة، إذا كان هذا ما يتطلبه الأمر لأصبح محارباً. فالأمر سيّان في النهاية».

شعر قلب النار بالرغبة في تأديب ذاك الهزّ الأحمق بأكفّه، لكنّه أخذ نفساً عميقاً وماء بهدوء قدر المستطاع: «لا يمكنك العيش في عالمين يا بسّ الغمام، بل عليك أن تتخذ قرارك. عليك أن تختار ما إذا كنت تريد العيش وفقاً لقانون المحاربين كهزّ عشيرة، أو كبسبوس أليف». خلال حديثه، تذكّر أنّ نجمة الصّباح قالت له الكلام نفسه عندما رآه النمر الشّرس وهو يتحدّث مع صديقه القديم، زعتر، عند أطراف الغابة. كان الفرق أنّ قلب النار لم يواجه أيّ مشكلة في تحديد ولائه. لقد كان هزّ عشيرة منذ لحظة دخوله الغابة، في عقله هو على الأقلّ.

بدا بسّ الغمام مذهولاً. «ولماذا أختار؟ أنا أحبّ حياتي كما هي، ولن أغيّرها لمجرّد إرضائك!».

ردّ قلب النار بحدّة: «أنا لا أطلب منك ذلك لمجرّد إرضائي، بل لمصلحة العشيرة! فحياة البسبوس الأليف تتعارض مع كلّ ما يشتمل عليه قانون المحاربين». نظر بذهول إلى بسّ الغمام، الذي تجاهله والتقط السنّجاب، ثمّ تجاوزه متّجهاً إلى المخيم. فأخذ نفساً طويلاً، وقاوم رغبته في طرد بسّ الغمام خارج أراضي عشيرة الرّعد نهائياً. دعه يقرر بنفسه.

ردّد كلمات عاصفة الزمال في سرّه وهو يتبع تلميذه إلى المخيم. ففي النهاية، لم يكن الهزّ الشاب يؤذي أحداً بتناوله طعام بسبوس أليف. هذا ما قاله في نفسه، آملاً ألاّ يكتشف أحد من القطط الأخرى ذلك.

عندما اقتربا من نفق القندول، سمع قلب النّار التّراب يتساقط من سفح الوادي. فتوقّف وانتظر، آملاً أن تكون عاصفة الزّمال قد عادت من الصّيد، لكنّه سرعان ما عرف من الرّائحة الدافئة التي حملها هواء بداية المساء أنّها فراء الرّماد.

قفزت الهرة الرّمادية الصّغيرة بصعوبة عن الصّخرة الأخيرة. كان فكّاها مليئين بالأعشاب وكانت تعرج بشدّة. سألها قلب النّار: «هل أنت بخير؟».

أسقطت الأعشاب على الأرض وقالت وهي تلهث: «أنا بخير، صدّقاً. ساقى تؤلمني، هذا كلّ شيء، وقد استغرق الأمر وقتاً أطول ممّا ظننت للعثور على الأعشاب».

ماء قائلاً: «عليك إخبار جمرة، فهي لن ترغب في أن تجهدى نفسك في العمل».

ردّت فراء الرّماد وهي تهزّ رأسها: «كلّا!». أجابها موافقاً وقد فوجئ من شدّة رفضها: «حسناً، حسناً. دعيني أحمل هذه الأعشاب عنك على الأقلّ».

نظرت إليه بامتنان وخرخرت قائلة وعيناها تلمعان: «أرجو أن تطرد عشيرة النّجوم كلّ البراغيث من وكرك. لم أقصد أن أجيبك بحدّة، كلّ ما في الأمر أنّ جمرة مشغولة جدّاً. فغصن الصّفصاف بدأت تلد صغارها عصر هذا اليوم».

أحسّ قلب النّار بشيء من القلق. فأخبر هرة رآها تلد كانت شعاع

الفضّة. «أهي بخير؟».

أشاحت فراء الرّماد بنظرها بعيداً وتمتعت مجيبة: «لا أعرف. لقد عرضتُ أن أجمع الأعشاب بدلاً من المساعدة». علت الكآبة وجهها مضيفة: «أنا... لم أرغب في التواجد هناك...».

عرف قلب النّار أنّها كانت تفكّر في شعاع الفضّة هي الأخرى، فماءً قائلاً: «تعالى إذاً. كلّما عرفنا شيئاً عن وضعها بشكل أسرع، كان ذلك أفضل». وحثّ خطاه.

أجفلت فراء الرّماد، وبدأت تجري خلفه. «مهلاً! ستكون أوّل من يعرف إذا ما تعافيتُ بأعجوبة، ولكن حالياً عليك أن تبطئ من سيرك!». ما إن دخل المخبّيم، حتّى عرف قلب النّار على الفور أنّ غصن الصّفصاف قد أنجبت صغارها بسلامة. كان النّمر الوحيد وفراء الكستناء يتتعدان عن الحضانة، أعينهما مليئة بالعاطفة، وخرخرتهما مسموعة حتّى من هذا الطّرف من الفسحة.

أتت عاصفة الرّمال لتزفّ لهما الخبر السارّ. فأعلنت قائلة: «لقد أنجبت غصن الصّفصاف هزان وهرة!».

سألتهما فراء الرّماد بنفاد صبر: «وكيف حال غصن الصّفصاف؟». طمأنتهما مجيبة: «إنّها بخير، وهي ترضعهم أساساً». خرخرت فراء الرّماد بصوت عالٍ. «أريد أن أذهب لرؤيتهم»، ثمّ اتّجهت نحو الحضانة.

بصق قلب النّار الأعشاب من فمه ونظر حوله. «أين بسّ الغمام؟». زمّت عاصفة الرّمال عينيها بمكر. «عندما رأى النّمر الأسود الصّيد التّافه الذي أحضره، أرسله لتنظيف فراش المسنّين».

قال قلب النّار وقد سُرّ للمرّة الأولى بتدخل النّمر الأسود: «هذا

سألته بنبرة أكثر جدية: «هل تحدثت إلى بس الغمام؟».

«نعم». تلاشت سعادة قلب النار بولادة غصن الصفصاف كما يتبخّر

الندى تحت شمس الظهيرة عندما فكّر في لامبالاة تلميذه.

حشّته عاصفة الرمال قائلة: «إذا؟ ماذا قال؟».

أجاب بكآبة: «لا أعتقد أنه يدرك حتى حجم الخطأ الذي ارتكبه».

لدهشته، لم يبد أي اضطراب على عاصفة الرمال، بل ذكرته قائلة:

«إنه شاب. لا تغضب كثيراً، بل استمر في تذكيره بصيده الأول، وأنكما

تتشاركان الدّم نفسه»، ثم لعقت خده بلطف مضيفة: «ومع قليل من

الحظ، سيتغيّر سلوكه يوماً ما».

ركض الفراء الأغبر إليهما وقاطعهما وعيناه تلمعان بازدراء واضح.

قال ساخراً: «لا بد أنك فخور بتلميذك، فقد أخبرني النمر الأسود أنه

أحضر أصغر فريسة اليوم». أجفل قلب النار عندما أضاف المحارب:

«من الواضح أنك مدرب عظيم».

ردّت عليه عاصفة الرمال بحدة: «اغرب من هنا أيها الفراء الأغبر،

ولا داعي لكلّ هذا الحقد. فهذا لا يثير إعجاب أحد، كما تعلم».

فوجئ قلب النار برؤية الفراء الأغبر يتراجع كما لو أنّ عاصفة

الرّمال صفعته. استدار المحارب وابتعد مسرعاً، ملقياً نظرة امتعاض

على قلب النار من فوق كتفه.

قال هذا الأخير وقد أعجب بشراسة عاصفة الرمال: «يا لها من

خدعة! عليك أن تعلّمني كيف تفعلين ذلك!».

تنهدت عاصفة الرمال وهي تحدّق بأسف إلى الفراء الأغبر. «أخشى

أنّ هذه الخدعة لن تنجح معك». كانت قد تشاركت فترة تدريبها مع الهَرّ

المخطّط، لكنّ صداقتهما تزعزعت منذ أن أصبحت عاصفة الرّمال أقرب إلى قلب النّار. «لا تهتمّ، سأعتذر منه لاحقاً. فلنذهب ونرى البسايس الجدد».

تقدّمته إلى الحضانة، في اللحظة التي خرجت فيها نجمة الصّباح من المدخل. كان وجه الزعيمة المسنّة مسترخياً وعيناها مشرقتين. عندما انسلّت عاصفة الرّمال إلى الداخل، أعلنت بحفاوة: «مزيد من المحاربين في عشيرة الرّعد!».

خرخر قلب النّار: «سيكون لدينا محاربون أكثر من أيّ عشيرة أخرى قريباً!».

شابّ شيء من الحزن عيني الزعيمة، وأحسّ قلب النّار برعشة عدم ارتياح تعبر جسده. قالت نجمة الصّباح بكآبة: «فلنأمل أن نتمكّن من الوثوق بمحاربينا الجدد أكثر من محاربينا القدامى».

نادته عاصفة الرّمال من ظلال الحضانة الدافئة: «هل أنت قادم؟». نفّض قلب النّار مخاوفه بشأن نجمة الصّباح وشقّ طريقه إلى الداخل. استلقت غصن الصّفصاف في عشّ من الطحالب الناعمة. كان الصّغار الثلاثة ملتصقين بجسدها، ولا يزال فراؤهم رطباً وأعينهم مغمضة وهم يضغطون بأكفّهم على بطن أمهم.

رأى قلب النّار عاطفة جديدة تعبر عيني عاصفة الرّمال، التي انحنت إلى الأمام واستنشقت الرّائحة الدافئة لكلّ بسبوس على حدة، بينما كانت غصن الصّفصاف تنظر إليها، بعينين ناعستين ولكنّهما راضيتان. همس قلب النّار: «إنّهم رائعون». كان من الجميل رؤية بسايس مجدّداً، لكنّ موجةً من الحزن اجتاحتها رغماً عنه. فأخر هررة حديثي الولادة رآهم كانوا صغار شعاع الفضة، وعلى الفور تحوّلت أفكاره إلى

النمر الرمادي. تساءل عن حال صديقه القديم - أما زال حزينا، أم أن حياته الجديدة في عشيرة النهر مع صغيره قد خففت من وطأة حزنه. شعر قلب النار بفراء ذيله ينتصب وهو يشتم رائحة صغير النمر الشرس. فالتفت بحثاً عنه، وكبت الريبة التي تصاعدت كالصفراء في حلقة. خلفه، كانت زهرة الذهب متكورة في عشها، عيناها مغمضتان والصغيران ينامان بجانبها بهدوء. بدا الهر الصغير الداكن والمخطط بريئاً كبقية صغار الحضانة، وشعر قلب النار بالذنب بسبب الاستياء الذي عكر فراءه.

استيقظ قلب النار في وقت مبكر من اليوم التالي. كان ذهنه مثقلاً بأفكار عن النمر الرمادي مثل سحب ممطرة تلبد الأفق. فهو يفقد إلى صديقه القديم الآن أكثر من السابق بسبب قلقه على بس الغمام. صحيح أن الحديث إلى عاصفة الرمال ساعده، لكنه كان يتوق لمعرفة رأي النمر الرمادي في ذلك. تمدد في فراشه لبضع لحظات قبل أن يتخذ قراره: سيقصد النهر اليوم في محاولة للعثور على صديقه القديم.

خرج من الوكر، وتمطى طويلاً إلى أن استرخى. كانت الشمس تشرق للتو في الأفق، وكان ثمة نعومة في سماء الصباح الباكر. كان الفراء الأغبر جالساً في وسط الفسحة يتحدث مع بسّة الزيش. فتساءل قلب النار بتجهّم عما أراد المحارب البني قوله لتلميذة النمر الأسود اللطيفة. هل كان الفراء الأغبر يسمم أفكارها بثرثرته الخبيثة؟ غير أن فراء المحارب كان منبسطاً على كتفيه العريضتين، ولم يلمح أيّاً من الغطسة المعتادة في نبرته، على الرغم من أنه لم يسمع ما يقول. في الواقع، كان المحارب يتحدث إلى بسّة الزيش بصوت ناعم، مثل حمامة غابة.

اقترب قلب النار منهما. وعندما رآه الفراء الأغبر آتياً، قست نظرات عينيه.

حيّاه قلب النار قائلاً: «أيها الفراء الأغبر، هلاً تولّيت دورية علو الشمس؟».

تألّقت عينا بسّة الرّيش حماسة. «هل بإمكانني الذهاب أنا أيضاً؟». أقّر قلب النار قائلاً: «لا أعرف، فأنا لم أتحدّث بعد مع النمر الأسود حول التقدّم الذي أحرزته».

قال الفراء الأغبر: «يقول النمر الأسود إنها تبلي حسناً». اقترح قلب النار: «إذاً، ربّما يمكنك التحدّث إليه بشأن ذلك». فهو لم يرغب في سماع ردّ ساخر، لكنّها قد تكون فرصة للتخفيف من العداء الذي يظهره الفراء الأغبر عادةً تجاهه. «ولكن اصطحب معك بسّ أرقش ومحارباً آخر أيضاً».

طمأنه الفراء الأغبر قائلاً: «لا تقلق». كانت عيناه مليئتين بقلق غير معهود. «سأتأكّد من سلامة بسّة الرّيش».

ماء قلب النار وهو يبتعد: «حسناً... هذا جيّد». لم يصدّق أنّه أجرى حديثاً كاملاً مع الفراء الأغبر من دون أن ينطق المحارب بأيّ كلمة ساخرة.

بمجرّد الخروج من الوادي، انطلق قلب النار نحو الصّخور المشمسة. كانت الأرض جافة جداً بحيث أثارت أكفّه سحباً صغيرة من الغبار وهي تصطدم بأرض الغابة. عندما وصل إلى الكتل الحجرية الكبيرة، لاحظ أنّ النباتات التي تنمو بين الشقوق قد ذبلت وماتت، وأدرك مصدوماً أنّ قمرين انقضيا تقريباً من دون أن تمطر.

تفادى الطّرف السفلي للصّخور، واتّجه نحو علامات الزّائحة عند

أطراف أراضي عشيرة النهر. أصبحت الغابة أقل كثافة وانحدرت باتجاه النهر هنا. سمع زقزقة العصافير وحفيف أوراق الشجر التي تحركها الرياح، وفي الخلفية، تناهى إليه خرير الماء المستمر. توقف واشتم الهواء، غير أنه لم يجد أثراً لرائحة النمر الرمادي. إذا كان يريد رؤية صديقه، فسيتعين عليه أن يجازف بدخول أراضي عشيرة النهر. جعله تصميمه أكثر استعداداً من المعتاد للمجازفة. لا بد أن دورية الفجر تقوم بجولتها الآن، لكن إذا ما حالفه الحظ، فسيكون أفرادها يجوبون الحدود المقابلة الآن.

تجاوز قلب النار بحذر خط الرائحة، وشق طريقه عبر نباتات الخنشار إلى ضفة الماء، وهو يشعر أنه بات مكشوفاً ومعرضاً للخطر. لم يشتم حتى الآن أثراً لرائحة النمر الرمادي. هل سيتجرأ على عبور النهر وتجربة حظه بالتوغّل في أراضي عشيرة النهر؟ سيكون الأمر سهلاً، فالمياه ضحلة الآن، وبإمكانه اجتياز الجزء الأكبر من قاع النهر، باستثناء القناة العميقة في الوسط. غير أن التيار كان بطيئاً بما فيه الكفاية للسباحة من دون صعوبة كبيرة. ففي النهاية، أصبح أكثر اعتياداً على الماء من بقية قطط عشيرة الرعد خلال الفيضانات الزهية التي حدثت في فصل الزهر. لسعت رائحة غير متوقّعة فمه شبه المفتوح، فتصلّب جسده مذهولاً. كانت رائحة عشيرة الظلال! ماذا يفعل قطط عشيرة الظلال على هذه المسافة بعيداً عن أرضهم؟ فأراضي عشيرة الرعد تفصل تماماً بين أرضهم والنهر.

تراجع قلب النار إلى نباتات الخنشار وقد اعتراه القلق. تنشق الهواء بعمق، محاولاً تحديد مصدر الرائحة. وسرعان ما تعرّف مذعوراً على وجود رائحة أخرى غير رائحة عشيرة الظلال. كان ثمة رائحة مرض

نفّاذة ونتنة اشتَمّها مؤخّراً، وكانت آتية من أعلى النّهر.

بدأ قلب النّار يزحف ببطء عبر نباتات الخنشار، التي أصدرت أطرافها البنية حفيفاً وهي تحتك بفرائه. كان بإمكانه رؤية جذع مغضّن لشجرة سنديان قديمة أمامه، داخل حدود عشيرة الرّعد مباشرة. برزت جذورها الملتوية من أرض الغابة، والتراب التي كانت الجذور مدفونة تحته منذ مدّة طويلة انجرف بفعل الرّياح والأمطار. والآن، ظهر فراغ تحتها، أشبه كهف صغير محاط بالجذور. اشتَمّ الهواء مجدّداً. وأدرك أنّ الرّائحة قادمة حتماً من هناك، مثقلة برائحة المرض بشكل لا لبس فيه. استلّ قلب النّار مخالفه بشكل غريزي، بدافع الخوف والرّغبة في حماية عشيرته. مهما كان الأذى الذي يكتنفه هذا الكهف، ينبغي طرده من أراضي عشيرة الرّعد. ابتلع الصّفراء التي ارتفعت في حلقة، وأسرع يخرج من بين أوراق الخنشار. قوّس ظهره ووقف غاضباً أمام مدخل الكهف، جاهزاً للقتال. غير أنّه فوجئ بصمت ثقيل، تتخلّله أنفاس سطحيّة خشنة ومتقطّعة.

حدّق إلى الظّلام، وقد اقشعرّ فراء عنقه. وعندما اعتادت عيناه على الضّوء الخافت، رفّ جفنيه بدهشة. آخر مرّة رأى فيها هذين الهَرّين، كانا يختفيان تحت درب الرّعد، عائدين إلى أراضيهم. إنّهما محاربا عشيرة الظّلال اللّذان طلبا المساعدة من عشيرة الرّعد، النّمر الصّغير والطّوق الأبيض.

سألهما قلب النّار بحدّة: «لماذا عدتما؟ عودا إلى أرضكما قبل أن تنشرا المرض بين كلّ عشائر الغابة!». كسّر عن أنيابه، وفجأة، سمع صوتاً مألوفاً خلفه.

«قلب النّار، توقّف! دعهما وشأنهما!».



الفصل 11



«فراء الرّماذ! ماذا تفعلين هنا؟». استدار قلب النّار لمواجهة الهرة المداوية: «هل كنت تعلمين بوجودهما هنا؟».

كانت فراء الرّماذ تحمل بين كفيها كومة من الأعشاب. رفعت ذقنها بتحدٍّ مجيبة: «كانا بحاجة إلى مساعدتي، ولا ينتظرهما في مخيمهما إلا المرض».

حدّق إليها غاضباً: «إذاً، عادا مباشرة! أين وجدتهما؟».

شرحت له قائلة: «بالقرب من الصّخور المشمسة. اشتممت رائحة مرضهما عندما كنت أجمع الأعشاب يوم أمس. كانا يبحثان عن مخبأ آمن».

شخر قلب النّار مجيباً: «وأحضرتهما إلى هنا. لقد عادا إلى أراضينا لأنّهما يعرفان أنّك ستشفقين عليهما على الأرجح». كان اهتمام فراء الرّماذ بهريّ عشيرة الظلال واضحاً عندما أتيا إلى مخيم عشيرة الرّعد. سألهما قلب النّار: «هل تظنّين أنّه بإمكانك علاجهما من دون أن يكتشف ذلك أيّ هزّ آخر؟». لم يصدّق أنّ الهرة عزّزت نفسها وباقي أفراد العشيرة لخطر كهذا.

نظرت إلى عينيّه، من دون خوف، وذكرته قائلة: «لا تتظاهر أنّك

غاضب مني حقاً. فقد شعرت بالأسف عليهما أنت أيضاً، ولا يمكنك طردهما مرة أخرى!».

لاحظ قلب النار أنها تظن أنها أحسنت فعلاً، وكان عليه الاعتراف أنها محقة. فهو لم يستطع أن ينكر أنه شعر بالأسف على الهزّين المريضين، ولم يكن مرتاحاً لقلّة تعاطف نجمة الصّباح مع وضعهما. فسألها وقد بدأ غضبه يتلاشى: «هل تعلم جمرة بالأمر؟».

أجابت: «كلاً، لا أظنّ ذلك».

«وكيف حالهما؟».

«لقد بدءا بالتعافي». تركت فراء الزّماد نبرة رضا تظهر في صوتها. أمّا قلب النار، فماءً مرتاباً: «ما زلت أشتّم رائحة المرض». «حسناً، لم يُشفيا تماماً بعد، لكنهما سيتعافيان قريباً».

أتاه صوت النّمر الصّغير المبحوح من الكهف المعتم خلفه. «نحن نتحسّن بفضل فراء الزّماد».

عرف قلب النار من صوت النّمر الصّغير أنه أصبح بالفعل أقوى ممّا كان عليه في مخيم عشيرة الرّعد، وشعّت عينا المحارب الشاب في الظّلام. اعترف وهو ينظر إلى الهرة المداوية الصّغيرة: «يبدوان بالفعل أفضل حالاً. كيف قمت بذلك؟ كانت جمرة تظنّ أنّ هذا المرض قاتل». أجابت فراء الزّماد بسعادة: «أعتقد أنّي وجدت الخلطة المناسبة من الأعشاب والتّوت». لاحظ قلب النار أنها تتحدّث بثقة لم يعهدها فيها منذ مدّة، وتعرّف على روح المبتدئة المفعمة بالحيويّة وقوّة الإرادة التي درّبها ذات يوم.

ماء قائلاً: «أحسنت صنعاً!». فكّر تلقائياً كم ستفرح نجمة الصّباح عندما تعرف أنّ هرة من عشيرة الرّعد وجدت علاجاً لمرض عشيرة

الظلال الغريب. غير أنه سرعان ما تذكر أن نجمة الصباح لم تعد الزعيمة التي كانت عليها من قبلن ولن يكون من الآمن إخبارها أن فراء الرّماد خبأت هَرَيّ عشيرة الظلال في أراضي عشيرة الرّعد، لا سيّما وأن قدرتها على الحكم لا تزال مشوّشة بسبب هوسها بهجوم محتمل.

أدرك قلب النّار أن هَرَيّ عشيرة الظلال سيكونان في خطر ما داما هنا. وخشي أن تأمر نجمة الصباح بقتلهما على الفور إذا اكتشفت أنّهما لا يزالان في أراضي عشيرة الرّعد. فهزّ رأسه قائلاً: «أنا آسف يا فراء الرّماد، يجب على هذين الهَرَيْن أن يرحلا من هنا، فهذا المكان ليس آمناً بالنسبة إليهما».

حرّكت فراء الرّماد ذيلها بإحباط. «إنّهما ضعيفان جداً ولا يستطيعان العودة إلى مخيمهم بعد. ربّما كنت قادرة على علاجهما، لكنني لست صيّادة ماهرة. وهما لم يأكلا كما يجب منذ عدّة أيّام». قال: «سأصطاد لهما شيئاً الآن. ينبغي أن يمنحهما ذلك القوّة الكافية للعودة إلى ديارهما».

قال الطّوق الأبيض بصوته الخشن من الداخل: «ولكن ماذا سيحلّ بنا عندما نعود؟».

لم يتمكّن قلب النّار من الإجابة على سؤاله، لكنّه لا يستطيع أن يجازف بانتقال المرض إلى مخيم عشيرة الرّعد. وماذا لو أتت دوريّة من عشيرة الظلال إلى أراضي عشيرة الرّعد بحثاً عن محاربيّها المفقودين؟ «سأحضر لكم الطّعام ثمّ ترحلان».

كان صوت النّمّر الصّغير مبحوحاً وحاداً وهو يدفع نفسه للجلوس، بينما راحت أكفّه تخرمش الأرض الصّلبة. قال: «أرجوك لا تُعدنا إلى هناك! فنجم اللّيل ضعيف جداً، كما لو أنّ المرض يسلبه روحاً جديدة

كلّ يوم. يعتقد معظم أفراد العشيرة أنّه سيموت».

عبس قلب النّار قائلاً: «لا شكّ أنّه يملك عدّة أرواح بعد».

صاح الطّوق الأبيض: «أنت لم ترّ حالته! العشيرة في حالة ذعر.

فما من هزّ مهياً ليحلّ محله».

سأله قلب النّار: «وماذا عن نائبيكم، الفراء الأفحم؟». أشاح هزّاً

عشيرة الظّلال بنظرهما بعيداً ولم يجيبا. هل هذا يعني أنّ الفراء الأفحم

قد مات أساساً، أم أنّه أصبح طاعناً جداً في السنّ ليحلّ محلّ الزعيم؟

فعلى غرار نجم اللّيل، كان الفراء الأفحم مسناً عندما طرد الذّيل النمرود.

شعر قلب النّار أنّ تعاطفه يغلب على صواب حكمه، فتنهّد قائلاً على

مضض: «حسناً، يمكنكما البقاء هنا إلى أن تستعيدا عافيتكما بما فيه

الكفاية لتحمل مشقّة السفر».

اختلط الأزيز بمواء النمر الصّغير وهو يقول: «شكراً لك يا قلب

النّار». لمعت عيناه بامتنان، بينما خفض قلب النّار رأسه مدركاً مدى

صعوبة تقبّل محاربي عشيرة الظّلال الفخوريين فكرة الاعتماد على

عشيرة أخرى.

استدار بعيداً ومزّ من أمام فراء الرّماد، فهمست له قائلة: «شكراً

لك يا قلب النّار، كنت أعلم أنّك ستفهم ما قمت به». امتلأت عيناها

بالتعاطف وهي تضيف: «لم أستطع أن أتركهما يموتان. حتّى... حتّى

ولو كانا من عشيرة أخرى». عرف قلب النّار أنّها كانت تفكّر في شعاع

الفضّة، هزة عشيرة النّهر التي لم تتمكّن من إنقاذها.

لعلّق أذنها بحنان، ثمّ خر خر قائلاً: «أنت هزة مداوية بحقّ، ولهذا

السبب اختارتك جمرة لتكوني تلميذتها».

لم يستغرق قلب النّار وقتاً طويلاً لاصطياد طائر سمّن وأرنب لهزّي

عشيرة الظلال، فقد كان هذا الجزء من الغابة يزخر بالفرائس. حرص في أثناء ذلك على عدم عبور حدود عشيرة النهر، مع أنه أراد ذلك بشدة، لا سيّما وأن رائحة الفرائس الآتية من هناك كانت نفاذة، كما أن وقتاً طويلاً قد مرّ منذ أن ذاق طعم فأر الماء. غير أنه فرح بالأرنب الطري الذي وجده بجانب الصخور المشمسة، وكان طائر السمّن صيداً سهلاً، لانشغاله بكسر صدفة حلزونة بحيث لم يتمكن من سماعه وهو يتسلّل إليه.

عند عودته، كانت فراء الرّماد جاثمة بجانب شجرة السّنديان القديمة تمضغ التّوت وتبصق اللبّ في خلطة الأعشاب. فدفع بالفريستين إلى الكهف من دون أن يدخل، بسبب رائحة المرض التي جعلته يخشى الاقتراب أكثر.

نظر إلى فراء الرّماد وهي تعمل، وانتابه خوف مفاجئ على الهرة الصغيرة. لا بدّ أنها دخلت الكهف عدّة مرّات. ماء بصوت خافت: «هل أنت بخير؟».

نظرت فراء الرّماد من فوق أعشابها مجيبة: «أجل، أنا بخير. كما أنني مسرورة لأنك عرفت بأمر هذين الهرّين، فأنا لا أحبّ إخفاء أسرار عن العشيرة».

نفض ذيله بعدم ارتياح وقال: «أعتقد أنّه علينا إبقاء هذا الأمر بيننا». ضاقت عينا فراء الرّماد. «ألن تخبر نجمة الصّباح؟».

قال بتردد: «لو كان الحال كالسابق، لفعلت».

أنهت فراء الرّماد جملته: «لكنّها لم تتجاوز بعد فعلة مسألة النمر الشرس».

تنهّد قائلاً: «أعتقد أحياناً أنّها تتحسنّ، لكنّها لا تلبث ان تقول شيئاً

ما أو...». لم ينه جملته.

«تقول جمرة إنّ الأمر سيستغرق بعض الوقت لتعافى تماماً».
«إذاً، هي أيضاً لاحظت ذلك؟».

تمتت بأسف: «بصراحة، شأنها شأن معظم أفراد العشيرة».
«ماذا يقولون؟» طرح سؤاله مع أنه لم يكن واثقاً من أنه يريد سماع الإجابة.

أجابت: «لقد كانت زعيمة عظيمة لمدة طويلة، وهم ينتظرون ببساطة أن تعود كما كانت». أراحه ردّها. كان إيمان العشيرة مؤثراً، وينبغي الوثوق به. ستتعافى نجمة الصّباح حتماً.
ماء قائلاً: «هل ستعودين معي؟».

«عليّ إنهاء عملي هنا». التقطت حبة توت أخرى بأسنانها وراحت تمضغها.

شعر قلب النّار بالقلق وهو يتعدّد، تاركاً فراء الرّماد بمفردها مع هرّي عشيرة الظّلال ورائحة كريهة جعلت فراءه يقشعر، وتساءل عمّا إذا كان قد أصاب بالسماح لهما بالبقاء.

خارج مخيم عشيرة الرّعد، احتوى تحت شجيرة مورقة واغتسل جيّداً. زمّ عينيه مشمئزاً من الرائحة الكريهة التي علقت بفرائه من هرّي عشيرة الظّلال المريضين، وتمنّى لو يستطيع التخلّص من طعمها بشرب مياه من الجدول خلف غور التّدريب، لكنّه جفّ منذ أيّام. كان عليه أن يتابع سيره باتجاه النّهر إذا ما أراد العثور على الماء، غير أنّ الوقت قد حان لعودته، قبل أن يبدأ أبناء عشيرته بالتساؤل عن مكانه. سيرجع للعثور على النّمر الرّمادي في يوم آخر.

التقت به عاصفة الرّمال عندما خرج من نفق القندول إلى الفسحة،

فسألته: «هل كنت تصطاد؟».

قرّر الاعتراف بالجزء الأسهل من الحقيقة: «بصراحة، كنت أبحث عن النمر الرمادي».

قالت، غير مكترثة باعترافه على ما يبدو: «أفترض أنك لم تجد أثراً لبس الغمام إذاً».

«أليس في المخيم؟».

«لقد خرج للصيد باكراً هذا الصباح».

عرف قلب النار أنها شكّت بما شكّ به هو أيضاً - أي أن بسّ الغمام ذهب في زيارة أخرى إلى ذوي الساقين. «ماذا أفعل؟».

اقترحت قائلة: «لم لا نذهب ونعثر عليه سوياً؟ فربّما استطعنا جعله يفهم أبعاد سلوكه إذا تحدّثت إليه أنا أيضاً».

هزّ رأسه بامتنان، ثم وافقها قائلاً: «الأمر يستحق المحاولة».

تقدّما عبر غابة الصنوبر، ولم يتحدّث أيّ منهما بينما كانا يجريان بخفّة على الأرض. كان الهواء ساكناً، والإبر ناعمة وباردة تحت أكفّهما. كان قلب النار يدرك تماماً أن هذا المسار مألوف بالنسبة إليه، تماماً مثل الطريق المؤدّي إلى الأشجار الأربع أو الصّخور المشمسة، لكنّ عاصفة الرّمال كانت أكثر حذراً، وحرصت على التوقّف بين الحين والآخر لتشتّم الهواء وتتأكّد من علامات الرائحة.

ما إن خرجا من غابة الصنوبر إلى الغابة الخضراء، حتّى أن قلق عاصفة الرّمال يتعاظم. فنظر إليها، ولاحظ تشنّج كتفيها عندما ظهر أمامهما صفّ أوكار ذوي الساقين.

همست وهي تنظر بعصبية من جانب إلى آخر: «هل أنت متأكّد من أن هذا هو الطريق الذي يسلكه؟». نبّح كلب، فانتصب فراؤها بعصبية.

طمأنها قلب النار، وهو يشعر بعدم ارتياح لمعرفته أموراً كهذه: «لا تقلقي، لن يغادر الكلب حديقته». كانت عاصفة الرمال قد سخرت من أصوله كبسبوس أليف عندما انضمَّ إلى العشيرة. والآن، بعد أن تقبلته تماماً كهرّ غابة، تردّد في تذكيرها أنّه وُلد في مكان مختلف.

سألته: «ألا يحضر ذوو الساقين كلابهم إلى هنا؟».

اعترف قائلاً: «يحضرونها في بعض الأحيان، لكننا سنعرف بوجودها بالتأكيد، فكلاب ذوي الساقين لا تجوب الغابة سرّاً. ستسمعونها قبل أن تشتمي رائحتها، التي لا تخفى على أحد». أمِل أن تساعد الدّعابة على الاسترخاء، لكنها ظلّت متوترة.

حثّها قائلاً: «هيا، رائحة بسّ الغمام هنا». مرّر خذّه على جذع نبتة عليق. «ألا تجدین رائحته حديثة؟».

انحنت إلى الأمام واشتمّت نبات العليق. «بلى».

«إذاً، أعتقد أنّه بإمكاننا تخمين المكان الذي اتّجه إليه». التفّ حول نبتة العليق، وشعر بالارتياح لأنّ الأثر قادهما بعيداً عن حديقة أميرة على الأقلّ. لم يكن يرغب في تعريف عاصفة الرمال بأخته البسبوسة الأليفة بعد. فمنذ أن أحضر بسّ الغمام إلى المخيم، عرفت العشيرة بأكملها أنّه زارها، لكن لم تكن لديهم فكرة حقيقية عن المودّة التي تربطه بأميرة، وفضّل بقاء الأمور على هذا النحو. فقد كان من الأفضل إبقاء القطط الأخرى على يقين بقدرة من أنّ قلبه مع العشيرة، على الرّغم من صداقته مع أخته.

عندما اقتربا من السّياج الذي تسلقه بسّ الغمام في اليوم السابق، شعر قلب النار برعشة برد مشؤومة تعبر فراءه. فقد اشتمّ روائح جديدة هنا، بالإضافة إلى رائحة بسّ الغمام. شيء ما تغيّر. قاد عاصفة الرمال

إلى شجرة البتولا الفضّية، فتسلّقت خلفه بخفّة الجذع الأملس حتّى الأغصان. واستطاع رؤية شاربِيها يرتعشان وهي تشمّ الهواء.

حدّق من خلال النوافذ إلى وكر ذوي السّاقين، وبدت له المساحة الداخلية مظلمة وفارغة على نحو غريب. أجفل عندما انغلق باب، مخلفاً صدى قعقعة غريبة يشبه صوت الرّعد، فبدأ يشعر بالخوف.

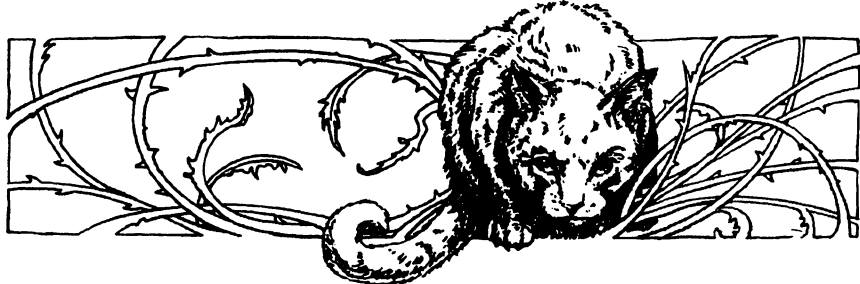
سألته عاصفة الرّمال بعصبية عندما قفز إلى أسفل السّياج، وقد نفش ذيله: «ما خطبك؟».

«ثمّة أمر غريب يحدث هنا، فالوكر خالٍ». أمرها قائلاً: «ابقي مكانك، سألقي نظرة عن كثب».

تسلّل عبر الحديقة، وظلّ جسده منخفضاً. عندما اقترب من باب وكر ذوي السّاقين، سمع وقع أكفّ خلفه. فاستدار ليرى عاصفة الرّمال تقف أمامه، وجهها متوتّر ولكنها مصمّمة على اللحاق به. فأوماً لها بصمت، ووافق على أن تبقى معه إذا ما أرادت ذلك، ثمّ استدار نحو الباب مجدّداً.

عندها فقط، تنهى إليهما هدير وحش صاخب. فسلك قلب النّار الممرّ المحيط بأحد جانبيّ الوكر. كان فراؤه يرتعش خوفاً، لكنّه واصل السّير إلى نهاية الممرّ، ثمّ أطلّ من الظلّ إلى حيث غمرت أشعة الشّمس السّاطعة متاهة من أوكار وطرق ذوي السّاقين الخالية تماماً من الأشجار. شعر بعاصفة الرّمال تلهث بجانبه، وتلامس فراؤهما بخفّة. هسّ قائلاً: «انظري». كان ثمّة وحش ضخم، بحجم وكر ذوي ساقين تقريباً، يقف على درب الرّعد. وكان الهدير الصّاخب ينبعث من بطن الوحش. تراجع كلاهما عندما انغلق باب آخر للوكر بالقرب منهما. فرأى قلب النّار ذا ساقين يمشي باتّجاه الوحش، حاملاً شيئاً يتأرجح بيده.

بدا وكأنه وكر منسوج من سويقات يابسة. ومن خلال الشبكة الضلّبة
التي تغطّي إحدى جهات الوكر، استطاع رؤية فراء أبيض ناعم. نظر عن
كثب، وغاص قلبه عندما تعرّف على الوجه خلف الشبكة، فيما اتّسعت
عيناه من شدّة الرّعب.
إنّه بسّ الغمام!



الفصل 12



«النجدة! لا تدعهم يأخذونني!». سمع قلب النَّار صراخ بسّ الغمام اليائس يعلو فوق هدير الوحش الصاخب.
لم يلاحظ ذو السَّاقين شيئاً، بل صعد إلى داخل الوحش مع بسّ الغمام وأغلق الباب. وسرعان ما ابتعد الوحش على درب الرّعد، مخلفاً وراءه سحابة من الأبخرة الخانقة.
«كلّا! انتظر!».

تجاهل قلب النَّار صرخة عاصفة الرّمال وهو يندفع مسرعاً من الممرّ ليلحق بالوحش. آلم الدرب الحجري الوعر أكفّه، وكلّما ضاعف من سرعته، كان الوحش يسرع أكثر، إلى أن سلك منعطفاً وتوارى عن الأنظار.

عندما توقّف قلب النَّار، كانت أكفّه تؤلمه وقلبه ينبض بسرعة. نادته عاصفة الرّمال مجدّداً: «قلب النَّار! عد إلى هنا!».

نظر قلب النَّار بيأس إلى درب الرّعد الخالي، إلى حيث كان الوحش واقفاً قبل لحظات فقط، ثمّ أسرع عائداً إلى عاصفة الرّمال. كان كالمخدّر من أثر الصدمة، وهو يتبع عاصفة الرّمال بشكل أعمى على طول الممرّ، مروراً بالوكر، وعبر الحديقة، ومن ثمّ فوق السّياج

إلى أمان الغابة.

سألته عاصفة الرمال عندما هبطت على أرض الغابة المكسوة بأوراق الشجر: «قلب النار! هل أنت بخير؟».

لم يتمكن من الإجابة. حدّق إلى السّياج محاولاً استيعاب ما رآه للتوّ. لقد خطف ذوو السّاقين بسّ الغمام! لم يستطع أن يبعد عن ذهنه نظرة الخوف التي رآها على وجه الهَرّ الشاب. إلى أين يأخذونه؟ أيّاً تكن وجهتهم، فإنّ بسّ الغمام لم يكن راغباً في الذهاب. تمتعت عاصفة الرمال: «أكفك تنزف».

رفع قلب النار قائمته الأمامية، وقلب كفّه لينظر إليه. حدّق بشرود إلى الدم النازف، إلى أن انحنت عاصفة الرمال وبدأت تعلق التراب عن جراحه. شعر بلسعة ألم، لكنّه لم يحتج. هدأت اللعقات المنتظمة من روعه، وأعادت إليه ذكريات الطفولة البعيدة. تدريجياً، بدأ الذعر الذي جمّد عقله يتلاشى، فماء بكّابة: «لقد رحل». شعر وكأنّ قلبه جذع شجرة مجوّف، يرنّ بالحزن مع كلّ نبضة.

قالت له عاصفة الرمال: «سيجد طريق العودة». نظر إلى عينيها الخضراوين الهادئتين وشعر بوميض من الأمل.

أضافت: «إذا ما أراد ذلك». وخزته كلماتها كالأشواك، لكنّ عينيها كانتا مليئتين بالتعاطف، فعرف قلب النار أنّها تقول الحقيقة وحسب. أضافت: «قد يكون بسّ الغمام أكثر سعادة في المكان الذي سيذهب إليه. ألا تريده أن يكون سعيداً؟».

أوماً قلب النار برأسه ببطء.

«هيا بنا إذاً، فلنعد إلى المخيم». أصبح مواء عاصفة الرمال مرحاً، فيما شعر قلب النار بموجة من الإحباط.

احتجّ قائلاً: «هذا سهل بالنسبة إليك! فأنت تتشاركين الدم نفسه مع بقية أبناء العشيرة. أمّا أنا، فكان بسّ الغمام قريبي الوحيد، والآن ما من أحد في العشيرة بهذه المنزلة».

أجفلت عاصفة الرمال كما لو أنّه ضربها. قالت بحدة: «كيف تقول شيئاً كهذا؟ وماذا عنّي؟! أنا لم أقصد سوى المساعدة، ألا يعني لك ذلك شيئاً؟ ظننت أنّ صداقتنا مهمة بالنسبة إليك، لكن من الواضح أنّي كنت مخطئة!». ثمّ استدارت، ولوّحت بذيلها الذي احتكّ بقوائم قلب النّار، قبل أن تبتعد بسرعة بين الأشجار.

راقبها وهي تختفي، وقد أذهله ردّ فعلها. شعر بالألم في أكفّه، وانتابه ضيق لم يختبره من قبل. أخذ يتجوّل ببطء في الغابة، متجنباً سياج أميرة. فهو لا يتخيّل حتّى كيف سيخبرها بما حلّ بصغيرها.

مع كلّ خطوة، كان قلقه الشديد حيال ما سيقوله لبقية أفراد العشيرة يزيد من بؤسه. تخيّل كم سيثمت به النمر الأسود عندما يكتشف أنّ قريب قلب النّار عاد إلى حياة البسبوس الأليف المرفّهة. البسبوس الأليف يبقى أليفاً ربّما كانت السخرية التي لاحقت قلب النّار طويلاً تشتمل على شيء من الحقيقة في النهاية.

شّت انتباهه فأر مرّ تحت أشجار الصنوبر. ما زال ينبغي عليه إطعام العشيرة. فخفض جسده بشكل غريزي، لكنّ الصّيد كان بلا متعة هذه المرّة. طارد الفأر وأمسك به بسرعة باردة، ثمّ حمله إلى المخيم.

كانت الشّمس تغيب خلف قمم الأشجار عندما وصل إلى نفق القندول. توقّف وأخذ نفساً عميقاً قبل أن يدخل الفسحة، والفأر يتأرجح بين فكّيه.

كانت العشيرة تتجاذب الألسنة في الفسحة بعد تناول وجبة المساء.

لاقتة الفأرة السّمراء عند المدخل، وتساءل عما إذا كانت تنتظر عودته.
قالت بهدوء: «لقد مضى على ذهابك وقت طويل، هل كلّ شيء
على ما يرام؟».

أشاح قلب النّار بنظره مربكاً، فقد شعر أنّ عليه أن يخبر نجمة
الصّباح أولاً بما جرى مع بسّ الغمام.

تابعت الفأرة السّمراء: «لقد نظّم الرّعب الأبيض دورية المساء في
غيابك».

تلثم مجيباً: «آه... هذا جيّد... شكراً». فخفضت الهرة رأسها بأدب
وابتعدت.

بينما كان قلب النّار ينظر إليها وهي تنصرف، حاول إقناع نفسه
أنّ خسارة بسّ الغمام لا تعني أنّه وحيد في العشيرة. إذ يبدو أنّ معظم
القطط تقبلته كنائب، على الرّغم من خرق مراسم التسمية. تمنّى فقط لو
يطمئنّ إلى أنّ عشيرة النّجوم من الرّأي نفسه، وفي تلك اللحظة، تدافعت
مخاوفه السابقة إلى رأسه مثل أسراب الغربان الصاخبة. هل يشير اختفاء
بسّ الغمام إلى أنّ عشيرة النّجوم أرادت معاقبة عشيرة الرّعد بحرمانها من
محارب محتمل؟ والأسوأ من ذلك، هل كان أجداد العشيرة المحاربون
يشيرون إلى أنّ البسابيس الأليفة لا تنتمي إلى العشيرة؟

شعر قلب النّار أنّ قوائمه على وشك أن تنهار تحت وطأة قلقه.
فأسقط ذبيحته على كومة الفرائس، ونظر حوله. كانت عاصفة الرّمال
ممدّدة بجانب البرق الخاطف، وبين كفيها عصفور. أجفل عندما ألقت
عليه الهرة الشّقراء نظرة عتب. كان يعلم أنّه سيتعيّن عليه الاعتذار، ولكن
عليه أولاً أن يخبر نجمة الصّباح بما جرى.

توجّه إلى وكر الزعيمة وألقى تحية عند المدخل. ففوجئ عندما

أتاه صوت الرّعب الأبيض. أطلّ برأسه عبر ستارة الأشنة، ورأى نجمة الصّباح مكوّرة في فراشها، رأسها مرفوع وعيناها تلمعان وهي تتجاذب الألسنة مع الرّعب الأبيض. في تلك اللحظة، بدت زعيمة عشيرة الرّعد كأَيّ محارب آخر، تستمتع بصحبة صديق موثوق. عندما رأى تعبير الرّضا على وجه نجمة الصّباح، أحجم عن إزعاجها بأخباره السيئة، وقرّر تأجيل الحديث إلى وقت لاحق.

سألته نجمة الصّباح: «نعم، ما الأمر؟».

أجاب متلعثماً: «أنا... كنت أتساءل وحسب عمّا إذا كنت جائعة». «أوه». بدت الحيرة على نجمة الصّباح. «شكراً لك، ولكن الرّعب الأبيض جلب لي شيئاً»، وخفضت رأسها إلى الحمامة نصف المأكولة الملقاة على أرض الوكر.

«أوه... حسناً، سأتركك لتكملي طعامك إذا»، وتراجع مسرعاً قبل أن تتمكّن من سؤاله عمّا أتى به. عاد إلى كدسة الفرائس الطازجة، والتقط الفأر الذي اصطاده منذ قليل، ثمّ حمله إلى أجمة القراص بجانب عاصفة الرّمال والبرق الخاطف.

أشاحت عاصفة الرّمال بنظرها بعيداً عندما رآته قادماً، وانشغلت بتمزيق جناحي فريستها. أمّا قلب النّار، فوضع فأره على الأرض. حيّاه البرق الخاطف قائلاً: «مرحباً. ظننت أن وقت الطعام سيفوتك».

حاول قلب النّار أن يخرخر بردّ ودود، لكنّ إجابته أتت فظة: «كان يوماً حافلاً». ألقى البرق الخاطف نظرة على عاصفة الرّمال، التي كانت لا تزال تتجاهل نائب العشيرة، واعتقد قلب النّار أنّه رأى شاربي المحارب الرشيق يرتعشان.

همس قلب النَّار لعاصفة الرَّمال: «أنا آسف لما حدث سابقاً». تمتمت من دون أن تنظر إليه: «عليك أن تكون كذلك». أصرَّ قلب النَّار قائلاً: «لقد كنتِ صديقة جيّدة، وأنا آسف لأنني جعلتك تعتقدين أنني لا أقدرك». «نعم، حسناً. في المرّة القادمة، حاول التفكير أبعد من شاربيك!». ماء قلب النَّار: «هل عدنا صديقين مجدّداً؟». أجابت ببساطة: «نحن دائماً كذلك».

جلس قلب النَّار بارتياح إلى جانبها لالتهام فأره. أمّا البرق الخاطف، فلم ينبس ببنت شفة، لكنَّ قلب النَّار لاحظ أنَّ عينيه كانتا تلمعان بالتسلية. من الواضح أنَّ حديثه مع عاصفة الرَّمال جذب انتباه المحاربين الآخرين. فشعر بقشعريرة تغزو فرائه، ونظر بحرج إلى أرجاء الفسحة.

كان النَّمر الأسود جالساً أمام وكر المبتدئين يتحدث مع بسّ أرقش. فتساءل قلب النَّار لماذا كان يتحدث مع تلميذ الفراء الأغبر بدلاً من مشاركة وجبته مع المحاربين الآخرين. كان بسّ أرقش يهزّ رأسه، لكنَّ المحارب المخطّط الدّاكن واصل الكلام إلى أن خفض بسّ أرقش نظره وبدأ يتقدّم عبر الفسحة إلى بقعة القَرّاص.

ارتعشت أذنا قلب النَّار. فمن الطّريقة التي كان النَّمر الأسود يراقب بها المبتدئ الرّمادي الشاب، أدرك أنّه ثمة خطب ما. توقّف بسّ أرقش أمام قلب النَّار، بينما تصلّب جسده الصّغير وراح ذيله ينتفض بعصبية.

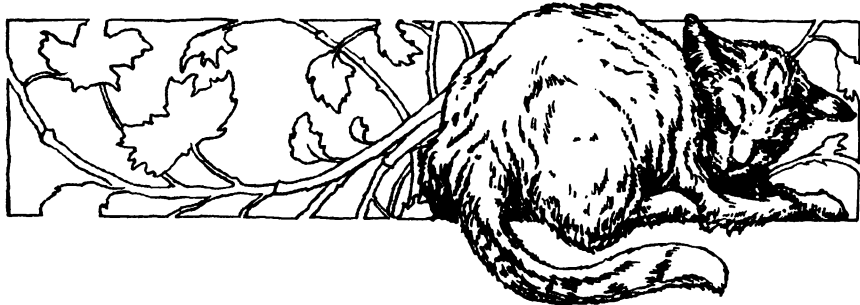
سأله قال النَّار: «هل ثمة خطب ما؟». ماء بسّ أرقش قائلاً: «كنت أتساءل وحسب عن بسّ الغمام، فقد

أخبرني أنه سيعود بحلول موعد تناول الطعام».

حدّق قلب النّار من وراء المبتدئ إلى الهزّ المخطّط الدّاكن الذي كان يراقبهما بعناية، بينما لمعت عيناه الكهرمانيتّان باهتمام ظاهر. فأجاب بحدّة: «أخبر النّمر الأسود أنّه إذا أراد أن يعرف، فما عليه سوى أن يسألني بنفسه!».

انقبض بسّ أرقش وأجاب متلعثماً: «أنا... أنا آسف. قال لي النّمر الأسود...». حرّك المبتدئ أكفّه ونظر فجأة إلى الأعلى، محدّقاً مباشرة إلى عيني قلب النّار. «في الواقع، ليس النّمر الأسود وحده من يريد أن يعرف، بل أنا قلق أيضاً. فقد وعدني بسّ الغمام أنّه سيعود بحلول هذا الوقت». تردّد المبتدئ الزمادي، ثمّ أشاح بنظره بعيداً، وأنهى كلامه قائلاً: «أياً يكن ما يفعله بسّ الغمام، إلّا أنّه دائم الوفاء بوعد».

دُهِش قلب النّار. إذ لم يخطر بباله قطّ أن يكون بسّ الغمام قد كسب احترام وولاء زملائه مثل أيّ محارب آخر. ولكن ما الذي قصده بسّ أرقش بقوله «أياً يكن ما يفعله؟».



الفصل 13



سأله بسّ أرقش: «هل بسّ الغمام بخير؟».

رمش قلب النار بعينه وهو يبحث عن الكلمات الصحيحة لشرح اختفاء بسّ الغمام، ثمّ تمتم أخيراً: «أعتقد أنّ بسّ الغمام ترك العشيرة». لم يكن ثمّة أيّ جدوى من محاولة إخفاء ما حدث. اتّسعت حدقتا بسّ أرقش من هول الصدمة والحيرة، وردّد قائلاً: «تترك العشيرة؟ لكنّه... لكان أخبرنا. أعني، لم أعتقد قطّ أنّه سيبقى هناك!».

اعتدل البرق الخاطف في جلسته، ثمّ سأله بحدّة: «أين تقصد؟ ما الذي يجري؟».

نظر بسّ أرقش بشيء من الذنب إلى قلب النار، وقد أدرك أنّه يخون السرّ الذي ائتمنه عليه صديقه.

ماء قلب النار بلطف: «عد إلى طعامك، يمكنك إخبار النمر الأسود أنّ بسّ الغمام عاد إلى حياته كبسبوس أليف، فما من داعٍ للأسرار بعد الآن».

ماء بسّ أرقش بحزن: «لا أصدّق أنّه رحل بالفعل. سأفتقد إليه حقّاً». استدار عائداً بخطى ثقيلة إلى وكر المبتدئين. هناك، جلس النمر

الأسود ينتظر مثل بومة جائعة. سينتشر الخبر في جميع أنحاء المخيم بحلول الغروب.

التفت البرق الخاطف إلى قلب النار وسأله: «إلى أين ذهب بسّ الغمام؟».

«لقد عاد للعيش مع ذوي الساقين». كانت كل كلمة تخرج من فمه تسقط كالحجر في هواء الغابة الملهب. وكانت أذناه لا تزالان تضجّان بصرخات بسّ الغمام التي تفتّر القلب وهو يطلب المساعدة، لكنّه أدرك أنّه ما من جدوى لتقديم الأعذار لتلميذه الضالّ. فكيف يمكنه إقناع العشيرة بأنّ بسّ الغمام أخذ ضدّ إرادته، في حين أنّهم سيتذكّرون جميعاً أنّ المبتدئ الشاب أصبح سميناً على طعام ذوي الساقين؟

قال البرق الخاطف بتجهم: «سيستمتع النمر الأسود بسماع ذلك». كان المحارب المخطّط يحدّق إليه بالفعل بنظرة انتصار وهو يميل للإصغاء إلى ما يقوله بسّ أرقش. انقبض صدر قلب النار عندما رآه يهرول إلى النمر الذئال وشمشوم، لينتشر خبر اختفاء بسّ الغمام في العشيرة كالنار في الهشيم. حشر شمشوم نفسه بين أغصان السنديان لمشاركة الخبر مع المسنين الآخرين، بينما هزّ النمر الذئال رأسه لمدّبه السابق واتّجه إلى الحضانة. تماماً كما توقّع قلب النار، كان النمر الأسود حريصاً على أن يعرف المخيم بأكمله أنّ قريب قلب النار عاد إلى أصوله كبسبوس أليف. سألته عاصفة الرمال، وكان صوتها حادّاً وساخطاً: «ألن تفعل شيئاً؟ هل ستترك النمر الأسود يخبر العشيرة عن بسّ الغمام؟».

هزّ قلب النار رأسه قائلاً بحزن: «وكيف يمكنني محاربة الحقيقة؟». أجابته عاصفة الرمال: «كان بإمكانك التحدّث إلى العشيرة، وإيضاح حقيقة ما جرى!».

أشار قلب النار: «لقد رفض بسّ الغمام حياة العشيرة بمجرد أن بدأ بقبول طعام البسايس الأليفة».

حَثَّته عاصفة الرمال قائلة: «حسناً، عليك إخبار نجمة الصّباح على الأقل».

تمتم البرق الخاطف: «لقد فات الأوان».

تبع قلب النار نظرات المحارب البني، ورأى النمر الأسود متّجهاً إلى وكر نجمة الصّباح. سيتعكّر صفو ليلتها في أشدّ وقت تحتاج فيه إلى السلام. ضرب قلب النار بذيله غضباً على حقد النمر الأسود الأناني، على الرّغم من علمه أنّ معظم غضبه كان موجّهاً إلى بسّ الغمام.

ماتت عاصفة الرمال بلطف أكبر هذه المرّة: «هيا، من الأفضل أن تتناول عشاءك». غير أنّ قلب النار لم يعد يشعر بأيّ شهية، بل اكتفى بالتحديق إلى أرجاء الفسحة، ومبادلة بقية قطط العشيرة نظراتها - منها القلق، ومنها الفضولي والجشع - عندما علموا برحيل بسّ الغمام.

مرّر البرق الخاطف ذيله على قائمة قلب النار الخلفية: «انظر».

كان النمر الأسود يتّجه إليهما بعجرفة لم يحاول حتى إخفائها.

قال بصوت عالٍ لقلب النار: «نجمة الصّباح تريد رؤيتك». فتنهّد هذا الأخير باستسلام، ثم وقف وشقّ طريقه إلى وكر زعيمة عشيرة الرّعد.

تردّد عند المدخل، وقد أحسّ بشيء من القلق. فمن المحتمّ أنّ نجمة الصّباح ستعتبر اختفاء بسّ الغمام خيانة أخرى من جانب أحد قطط العشيرة. هل هذا يعني أنّها ستبدأ بالشكّ في قلب النار أيضاً، بسبب أصوله كبسبوس أليف؟

نادته نجمة الصّباح: «ادخل يا قلب النار، أعرف من رائحتك أنّك

هناك!».

دخل عبر ستارة الأشنة. كانت نجمة الصّباح مكورة في فراشها، والزّعب الأبيض جالس بجانبها، يحملق بعينه بفضول. رفع قلب النّار أذنيه محاولاً منعهما من الارتعاش وكشف توتره.

مادت نجمة الصّباح: «إذاً، لهذا السبب أتيت لرؤيتي منذ قليل، وقلت إنك أتيت لتسأل ما إذا كنت جائعة!». فوجئ قلب النّار بخرخرة التسلية في صوتها. «عادةً، أنت لا تعرض إحضار الطعام إلى وكري إلّا إذا ظننت أنني أحضر. جعلتني أعتقد أنه ثمة شائعة تدور في المخيم أنني في آخر أيامي!».

لم يصدّق قلب النّار أنها تلقّت خبر رحيل بسّ الغمام بهذا الهدوء، فأجاب متلعثماً: «أنا-أنا آسف، كنت أودّ إخبارك عن بسّ الغمام، لكنك بدوت... مرتاحة للغاية، ولم أرغب في إزعاجك».

أقرّت نجمة الصّباح وهي تخفض رأسها: «ربّما لم أكن بخير مؤخراً، لكنني لست مصنوعة من خيوط العنكبوت». أصبحت عيناها الزرقاوان أكثر جدية وهي تتابع: «أنا ما زلت زعيمكم، وأحتاج إلى معرفة كلّ ما يجري في عشيرتي». «أمرك يا نجمة الصّباح».

«والآن، أخبرني النمر الأسود أنّ بسّ الغمام ذهب للعيش مع ذوي السّاقين. هل كنت تعرف أنّ هذا قد يحدث؟».

أوماً قلب النّار برأسه مجيباً: «ولكن مؤخراً وحسب. لقد اكتشفت بالأمس فقط أنه كان يزور أحد أوكار ذوي السّاقين من أجل الطعام».

تمتت نجمة الصّباح: «وظننت أنّك تستطيع حلّ المشكلة بنفسك».

نظر قلب النّار إلى الزّعب الأبيض، الذي كان يراقب بصمت، من دون أن يفوت عينيه العجوزتين شيء. «نعم».

حذرته نجمة الصّباح قائلة: «لا يمكنك أن تملي على هرّ ما ينبغي أن يشعر به قلبه. إذا كان قلب بسّ الغمام يتوق إلى حياة البسبوس الأليف، فلن تتمكن حتى عشيرة النجوم من تغيير ذلك».

وافقها قلب النّار قائلاً: «أنا أعلم، ولكنّ الأمر ليس بهذه البساطة». لم يكن يريد تبرير سلوك بسّ الغمام لبقيّة العشيرة، لكنّه أراد أن تعرف نجمة الصّباح القصّة كاملة، علماً أنّه لم يعرف تماماً ما إذا كان يفعل ذلك من أجل بسّ الغمام أم من أجله هو. «لقد أخذه ذوو السّاقين رغماً عنه». ردّد الرّعب الأبيض: «أخذوه؟ ما الذي جعلك تقول ذلك؟».

أوضح قائلاً: «لقد رأيته يُحمل إلى داخل وحش، وكان يصرخ طلباً للمساعدة. فلاحقت به، ولكنني لم أستطع فعل شيء».

ذكرته نجمة الصّباح وهي تزمّ عينيها: «ولكنّه كان يقبل الطعام من ذوي السّاقين منذ مدّة».

أقرّ قائلاً: «نعم، وقد تحدّثت معه حول ذلك يوم أمس، ولست متأكّداً ممّا إذا كان يريد حقّاً أن يعيش حياةً بسبوس أليف. يبدو أنّه ما زال يعتبر نفسه هرّ عشيرة». ابتلع ريقه بتوتّر قبل أن يضيف: «لا أعتقد أنّ بسّ الغمام فهم إلى أيّ مدى كان يخرق قانون المحاربين».

سألته نجمة الصّباح: «وهل أنت متأكّد من أنّه من نوع المحاربين الذين تحتاج إليهم عشيرة الرّعد؟».

خفض نظره، وقد شعر بالخجل من سلوك تلميذه، ولإدراكه الحقيقة في كلام نجمة الصّباح. ماء بهدوء: «إنّه لا يزال شاباً. أعتقد أنّه يملك قلب هرّ عشيرة، حتّى لو لم يدرك ذلك بنفسه بعد».

«قلب النّار». كان مواء نجمة الصّباح لطيفاً. «تحتاج عشيرة الرّعد إلى قطط مخلصّة وشجاعة، مثلك أنت. وإذا كان بسّ الغمام قد

اختطف، فربّما هذا ما أرادته عشيرة النّجوم. قد لا يكون مولوداً في الغابة، ولكنّه كان فرداً من عشيرتنا لمُدّة كافية لكي يلفت انتباه أجدادنا. على أيّ حال، لا تحزن كثيراً. أيّاً يكن المكان الذي ذهب إليه، فإنّ عشيرة النّجوم ستحرص على أن يجد السّعادة فيه».

رفع قلب النّار نظره ببطء إلى مدرّبته القديمة، ثمّ ماء قائلاً: «شكراً لك يا نجمة الصّباح». فقد أراد أن يصدّق أنّ عشيرة النّجوم حريصة على مصلحة بسّ الغمام، وأنّها لا تعاقب العشيرة أو ترسل إشارة عدم استحسانها للبسابيس الأليفة عن طريق إبعاد المبتدئ. لم يكن مقتنعاً تماماً، ولكنّه كان ممّتنّاً لزعيمة العشيرة لتعاطفها معه، كما شعر بالارتياح لأنّها لم تقرأ رسالة تُنذر بالشّوم في اختفاء بسّ الغمام.

في تلك اللَّيلة راودت الأحلام قلب النّار مجدّداً. امتدّت سماء اللَّيل الصّافية فوق رأسه، بينما حمّله الحلم عالياً فوق الغابة إلى الأشجار الأربع، حاملاً إيّاه بمخالبه المرصّعة بالنّجوم، قبل أن يضعه على الصّخرة العظيمة. شعر قلب النّار بقوة الصّخرة القديمة تحت قوائمه، واستمتع ببرودة الحجر الأملس تحت أكفّه، التي لا تزال تلمسه بعد مطاردته لبسّ الغمام. شعر بالورقة الرّقطاء وهي تأتي، ورافق هذا الشعور موجة ارتياح لأنّها لم تتخلّ عنه، كما حدث في حلمه الأخير.

«قلب النّار». همس الصّوت المألوف في أذنيه، فاستدار متوقّعاً رؤية فراء الهرة المداوية يتوهّج في ضوء القمر، غير أنّها لم تكن هناك. ناداها وقلبه يتوق شوقاً لرؤيتها: «أين أنت أيتها الورقة الرّقطاء؟». تتمم الصّوت مجدّداً: «قلب النّار، حذارٍ من عدوّ يبدو نائماً». سألها، وقد ضاق صدره: «ماذا تقصدين؟ أيّ عدوّ؟».

«حذار!».

فتح قلب النار عينيه ورفع رأسه. كان الظلام لا يزال مخيماً داخل
الوكر، وكان بإمكانه سماع التنفس المنتظم لمحاربي عشيرة الرعد
الآخرين. دفع نفسه للنهوض، وشق طريقه بين النائمين وصولاً إلى
المدخل. أثناء مروره بجانب النمر الأسود، لاحظ أن أذني المحارب
كانتا مرفوعتين ومتنبهتين، على الرغم من أنه كان مغمض العينين.

حذار من عدو يبدو نائماً. تردد التحذير مجدداً في رأسه، لكنه رفض
عنه تلك الفكرة. فالورقة الرقطاء ليست بحاجة إلى تذكيره بتوخي الحذر
من النمر الأسود. كان قلب النار يعلم جيداً أن ولاء النمر الأسود لعشيرة
الرعد لا يعني بالضرورة الولاء له. ولا بد أن تحذير الورقة الرقطاء يتعلق
بعدو آخر، عدو تخشى ألا يتمكن قلب النار من رؤيته بنفسه.

تسلل ضوء القمر الشاحب والفضي إلى الفسحة، مصحوباً بنسيم
بارد. فجلس عند أطراف الفسحة يحدّق إلى النجوم. ما هو الخطر الذي
خشيت الورقة الرقطاء أن يطال قلب النار؟ بحث في عقله، وراجع كل ما
حدث معه مؤخراً - شفاء نجمة الصباح، واختفاء بس الغمام، واكتشافه
لهري عشيرة الظلال المريضين. هراً عشيرة الظلال! قالت فراء الرماد
إنها عالجتهم من مرضهما، ولكن ربما لم تفعل. ربما بدوا بحال أفضل
وحسب. وخز الخوف أسفل ذيله كالبراغيث. فقد كانت الورقة الرقطاء
هزة مداوية، وربما علمت أن المرض لم يعالج بالفعل. ربما كانت
تحذره من أن المرض انتشر أساساً في مخيم عشيرة الرعد. كلما أمعن
التفكير في الأمر، ازداد يقينه بأن هذا ما عناه حلمه.

طارت الخفافيش بين الأشجار في الأعلى، وبدأ أن أجنحتها
الصامتة تؤجج نيران الخوف في قلبه. كيف سمح لهري عشيرة الظلال

بالبقاء في أراضي عشيرة الرّعد؟ عليه أن يسأل فراء الرّماد عمّا إذا كانت متأكّدة من أنّها عالجتّهما من مرضهما. هبّ واقفاً، وراح يجري بصمت عبر الفسحة، مروراً بنفق الخنشار، إلى أن وصل إلى وكر جمرة.

توقّف وهو يلهث. كان صدى شخير جمرة الخشن يتردّد من خلال الشقّ المظلم في الصّخرة أمامه. استطاع قلب النّار أن يسمع أيضاً تنفّس فراء الرّماد اللطيف من فراش بين نباتات الخنشار المحيطة بالفسحة. قدس رأسه في التجويف الصّغير وهسّ بالحاح: «فراء الرّماد!».

مات وهي شبه نائمة: «أهذا أنت يا قلب النّار؟».

«فراء الرّماد». كان صوته هذه المرّة أعلى بما فيه الكفاية لجعل الهرة الرّمادية تفتح عينيها.

نظرت إليه، ثمّ تدرّجت ببطء على بطنها ورفعت رأسها. سألتها عابسة: «ما الأمر؟».

«هل أنت متأكّدة من أنّ هريّ عشيرة الظّلال قد شُفيا حقّاً؟». أبقى صوته منخفضاً، على الرّغم من أنّه كان يعلم أنّ جمرة لن تتمكّن من سماعه من داخل وكرها.

رفّت فراء الرّماد عينيها بإرباك. «هل أيقظتني لتسألني عن ذلك؟ قلت لك بالأمس إنّهما يتحسّنان».

«لكنّ أما زالا مريضين؟».

اعترفت فراء الرّماد قائلة: «حسناً، أجل، لكن ليس بقدر ما كانا عليه». «وماذا عنك؟ هل تشعرين بأيّ علامات للمرض؟ هل أتاكَ أيّ من قطننا وهو يعاني من الحمّى أو الألم؟».

تثاءبت فراء الرّماد وتمطّطت، ثمّ مالت قائلة: «أنا بخير، وهراً عشيرة الظّلال بخير، وكذلك عشيرة الرّعد بخير». هزّت رأسها بتعب مضيفة:

«الجميع بخير! ما الذي يقلقك؟».

أجاب قلب النار بانزعاج: «لقد راودني حلم، أتت فيه الورقة الرقطاء وطلبت مني أن أحذر من عدو يبدو نائماً. أعتقد أنها تعني المرض». شخرت فراء الرماد ساخرة: «ربما كان الحلم يحذرك من الذهاب لإيقاظ فراء الرماد المسكينة، التي أمضت يوماً شاقاً جداً، لئلا تشد شاربيك!».

في تلك اللحظة، أدرك قلب النار أنها تبدو مرهقة بالفعل. لا بد أنها كانت أكثر انشغالاً من المعتاد في الآونة الأخيرة، وهي تقوم بواجباتها في المخيم، بالإضافة إلى رعاية النمر الصغير والطوق الأبيض. فماء قائلاً: «أنا آسف. لكنني أعتقد أن على هزّي عشيرة الظلال الرحيل». فتحت فراء الرماد عينيها تماماً هذه المرة وذكرت قائلة: «سبق وقلت إن بإمكانهما البقاء حتى يشفيا تماماً. هل غيرت رأيك بسبب هذا الحلم؟».

أجاب: «لقد كانت الورقة الرقطاء محقة في المرات السابقة. لا يمكنني المجازفة بالسماح لهما بالبقاء».

حدقت إليه فراء الرماد بصمت للحظة، ثم ماتت قائلة: «دعني أتحدث إليهما».

أوماً قلب النار برأسه موافقاً، لكنه أصر قائلاً: «ولكن عليك فعل ذلك غداً».

أسندت الهزة الرمادية ذقنها على كفيها الأماميتين ووعدته قائلة: «سوف أفعل. ولكن ماذا لو كان حلمك خاطئاً؟ إذا كان المرض يفتك بعشيرة الظلال كما يقولان، فأنت على الأرجح ترسل هذين الهزين إلى حتفهما».

شعر قلب النار بحشجة في صدره، ولكنّه كان يعلم أنّ عليه حماية عشيرته. فاقترح عليها قائلاً: «بإمكانك أن تشرحي لهما كيفية صنع الخلطة العلاجية، أليس كذلك؟».

أومات فراء الرّماد برأسها موافقة.

«حسناً، إذا قمتِ بذلك، فسيتمكّنان من العناية بنفسيهما، لا بل وربّما مساعدة أبناء عشيرتهما». ارتاح لفكرة أنّه لم يتخلّ تماماً عن هريّ عشيرة الظلال اليائسين، ولكنّه شعر بالحاجة إلى شرح أسباب إبعادهما. «فراء الرّماد، عليّ الإصغاء إلى الورقة الرّقطاء...». صمت عندما شعر بغصّة حزن. جعلت رائحة الخنشار من حوله ذكرى الهرة المداوية أكثر وضوحاً، لأنّ هذا هو المكان الذي عاشت وعملت فيه.

تمت فراء الرّماد وهي تغمض عينيها: «أنت تتحدّث عنها كما لو كانت لا تزال على قيد الحياة. لماذا لا تركها ترتاح مع عشيرة النجوم؟ أعلم أنّها كانت مميّزة بالنسبة إليك، لكن تذكّر ما قالت لي جمرة عندما لم أَسْتَطِيع أن أكفّ عن التفكير في شعاع الفضة: استثمري طاقتك في الوقت الحاضر بدلاً من البكاء على الماضي».

اعترض قلب النار: «وما الخطأ في تذكّر الورقة الرّقطاء؟».

«لأنّك بينما أنت تحلم بها، ثمّة قطعة أخرى - قطعة حية - أمام عينيك تماماً، عليك التفكير فيها بدلاً من ذلك».

حدّق قلب النار إليها بحيرة. «عمّن تتحدّثين؟».

«ألم تلاحظ؟».

«ألاحظ ماذا؟».

فتحت الهرة عينيها ورفعت رأسها مجيبة: «قلب النار، كلّ قطط العشيرة يعرفون أنّ عاصفة الرّمال مغرمة بك جداً جداً!».

شعر بحرارة تجتاح فراءه وبدأ بالاحتجاج، لكنّ فراء الرّماد تجاهلته. تمتمت وهي تضع ذقنها على كفّيهما مجدّداً: «الآن، اذهب من هنا ودعني أرتاح. سأطلب من النّمر الصّغير والطّوق الأبيض أن يرحلا غداً، أعدك بذلك».

عندما وصل قلب النّار إلى نفق الخنشار، استطاع أن يسمع شخير فراء الرّماد اللطيف يختلط مع أنفاس جمرة الثابتة. كان عقله لا يزال يدور وهو يدخل الفسحة. فهو يعلم أنّ عاصفة الرّمال تكبّ له المودّة والاحترام، أكثر بكثير ممّا توقّع عندما انضمّ إلى العشيرة في البداية، لكن لم يخطر بباله قطّ أن تشعر نحوه بشيء أقوى من الصداقة. فجأة، تذكّر البريق الناعم في عينيها الخضراوين الشاحبتين عندما لعقت أكفّه الدامية، وغزا فراءه إحساس جديد.



telegram @
yasmeenbook



الفصل 14



خلال الأيام القليلة التالية، تضاءلت الجداول في أراضي عشيرة الرّعد حتّى أصبحت المياه العذبة الوحيدة التي يمكن العثور عليها هي تلك التي تجري بالقرب من حدود عشيرة النّهر، على الطّرف الآخر من الصخور المشمسة.

تذمّرت عوراء قائلة: «لم نرَ صيفاً كهذا من قبل، فالغابة جافة مثل فراش بسبوس صغير».

جلس قلب النّار يبحث في السّماء عن السحب، ويطلب بصمت من عشيرة النّجوم أن يهطل المطر قريباً. كان الجفاف يجبر قطط عشيرة الرّعد على جلب المياه من مكان يزداد قرباً من التجويف الذي خبّأت فيه فراء الرّماد هرّي عشيرة الظلال المريضين، ولم يرغب في المخاطرة بترك أيّ من أفراد الدوريات يحتكّ بآثار المرض المتبقّية. في الوقت عينه، كان ممتناً تقريباً لانشغال ذهنه بالقلق على الماء، الأمر الذي لم يترك له الوقت للتفكير في ما حدث لبسّ الغمام، والمكان الذي قد يكون تلميذه فيه الآن.

لقد عادت دورية علو الشمس للتوّ، وكانت بياض الثلج تنظّم مجموعة من المسنّين وإناث الحضانة للذهاب إلى النّهر للشرب. تجمّع

القطط في المساحة الظليلة الضيقة عند طرف الفسحة.

اشتكى شمشوم قائلاً: «لماذا ترسل عشيرة النجوم مثل هذا الجفاف الآن؟». رأى قلب النار من زاوية عينه الهزّ الرمادي العجوز ينظر نحوه، وتذكر مرتعشاً تحذير المسنّ بشأن الطقوس المخروقة.

قالت عوراء: «ليس الجفاف ما يزعجني، بل ذوو الساقين الذين تعجّ بهم الغابة. فأنا لم أسمع من قبل هذا القدر من الضجيج حولنا، كما أنهم يخيفون الفرائس ويدمرون علامات الرائحة برائحهم الكريهة. وقليل من المطر قد يبعدهم عنا».

ماتت النمرة الشقراء: «في الواقع، أنا قلقة على غصن الصفصاف. فرحلة الذهاب والإياب إلى مجرى النهر طويلة، وهي لا تحبّ ترك صغارها كلّ هذه المدة. لكن إذا لم تشرب، فسيجفّ حليها ويتصوّر صغارها جوعاً».

قال كشكول: «وكذلك زهرة الذهب. ما رأيكم لو يحمل كلّ منا بعض الطحالب مشبعة بالماء؟ هكذا، ستمكّنان من لعق الرطوبة منها لترويا عطشهما».

ماء قلب النار قائلاً: «يا لها من فكرة رائعة!». تساءل لماذا لم يفكر في ذلك بنفسه. ربّما لأنّه كان يحاول عدم التفكير في الحضانة، وتحديدًا، في بسبوس معيّن يعيش فيها. «هل يمكنك إحضار بعض منه اليوم؟».

أوما الهزّ الأبيض والأسود المسنّ برأسه موافقاً.

عرضت النمرة الشقراء: «سنحضر جميعاً بعضاً منها».

نظر إليها قلب النار بامتنان قائلاً: «شكراً لك». لم يستطع أن يمنع نفسه من التفكير، بشيء من الأسف، كيف كان بسّ الغمام سيطوع

بحماسة لمساعدة المسنين. فلطالما كان مقرباً منهم بشكل خاص، يصغي إلى قصصهم في الليل ويشاركهم وجباتهم أحياناً. وما يؤلمه، لدى الاستغراق في الفكرة طويلاً، أن المسنين بالكاد لاحظوا غياب بسّ الغمام. هل كان قلب النّار الهزّ الوحيد في عشيرة الرّعد الذي اعتقد أن بإمكان بسّ الغمام التّكيف مع حياة الغابة؟ هزّ أذنيه بانزعاج. ربّما كانت نجمة الصّباح محقّة في أن الهزّ الشاب اتّخذ القرار الصحيح بالمغادرة. لكنّ ذلك لم يمنعه من الافتقاد إليه على نحو غير متوقّع.

نادى عاصفة الرّمال والفراء الأشقر، اللذين كانا يستريحان في ظلّ أجمة القراض بعد عودتهما من دوريّة علوّ الشّمس. فهبّا واقفين على الفور وهرولا إليه.

ماء قلب النّار قائلاً: «هلاً رافقتما شمشوم والآخرين؟ لا أعرف إلى أيّ مدى سيتعيّن عليهم الاقتراب من النّهر، وسيحتاجان إلى بعض الدّعم في حال صادفا إحدى دوريات عشيرة النّهر». صمت قبل أن يضيف: «أعلم أنّكما متعبان، ولكنّ بقيّة القطط خرجوا للتدريب، وعليّ البقاء مع الرّعب الأبيض لحراسة المخيم».

قال الفراء الأشقر ببساطة: «لا مشكلة في ذلك».

وأعلنت عاصفة الرّمال وهي ترمقه بنظراتها الخضراء: «أنا لست متعبة يا قلب النّار».

شعر قلب النّار بوخز في أكفّه عندما تذكّر ما قالته له فراء الرّماد قبل بضعة ليال، فماء بصوت عالٍ بعض الشّيء: «آه، عظيم». ثمّ بدأ يلحق صدره ليخفي ارتبাকে، وأصبحت لعقاته أكثر سرعة عندما لاحظ أن شاربِي الفراء الأشقر يرتعشان بشيء من التسلية.

شعر بالارتياح عندما خرجت المجموعة من نفق القندول وبقي

بمفرده في الفسحة الخالية. كان الرّعب الأبيض مع نجمة الصّباح في
وكرها، في حين كانت غصن الصّفصاف وزهرة الدّهب في الحضانة مع
صغارهما. لمح قلب النّار ابن النّمر الشّرس يتجول في المخيم بخطوات
غير مستقرّة خلال الأيام القليلة الماضية، بتشجيع من زهرة الدّهب.
ووجد نفسه يتجنّب النظر إلى عينيه، ويشاهده بحذر وهو ينضمّ تدريجياً
إلى حياة العشيرة.

الآن، بينما كان يصغي إليه وهو يموء مع البسايس الأخرى، كانت
الفكرة الرئيسة التي شغلت باله هي الجوع الذي سيعانيه هذا الصغير إن
لم تحصل أمّه على الماء قريباً. تمنّى لو أنّ القطط لا يضطّرون إلى اجتياز
كلّ هذا الطّريق إلى النّهر، وتختل مجموعة إناث الحضانة والمسنيين
وهم يسIRON ببطء عبر الشّجيرات ومعهم عاصفة الرّمال، وفراؤها
البرتقالي يتوهّج بين النباتات الخضراء. أجفل عندما تذكّر هزّي عشيرة
الظّلال المريضين. ماذا إن لم تكن فراء الرّماد قد أرسلتهما إلى ديارهما،
وما زالا مختبئين هناك؟

ارتعد قلب النّار خوفاً، فسارع إلى فسحة جمرة، وكاد أن يصطدم
بفراء الرّماد وهي تخرج من مدخل النفق.
تمتتم بمرح: «ما خطبك؟»، ثم لاحظت العبوس الذي يعلو وجهه
وتغيّر تعبيرها.

همس قلب النّار بالحاح: «هل طلبت من النّمر الصّغير والطّوق
الأبيض الرحيل؟».

تنهدت فراء الرّماد بنفاد صبر: «سبق وناقشنا هذه المسألة».

«وهل أنت متأكّدة من أنّهما رحلا؟».

تحدّته بنظرات عينيها الزرقاوين مجيبة: «لقد وعدا بالمغادرة في

تلك الليلة».

أصرَّ قائلاً، وفراؤه يخزه من شدة القلق: «وهل بقي أثر لرائحة المرض؟».

ردّت بحدة: «اسمع! لقد طلبت منهما الرحيل وقالاً إنهما سيفعلان. ليس لديّ وقت لهذا الجدل الآن. عليّ جمع التوت، وإلا سبقتني إليه الطيور. أمّا إذا كنت لا تصدّقني بشأن هري عشيرة الظلال، فلماذا لا تتحقّق بنفسك؟».

صدر مواء عالٍ من وكر الهرة المداوية. «أنا لا أعرف مع من تتحدّثين هناك، ولكن كفيّ عن إضاعة الوقت حالاً واذهبي لإحضار التوت!».

أجابت فراء الرّماد من فوق كتفها: «أنا آسفة يا جمرة. كنت أتحدّث مع قلب النّار». لمعت عيناها بنظرة اتّهام، بينما علا صوت جمرة مجدّداً. «حسناً إذاً، أخبريه أن يكفّ عن إضاعة وقتك، وإلا فسيكون حسابه معي!».

استرخت كتفا فراء الرّماد وارتعش شاربها بشيء من التسلية. شعر قلب النّار بالذنب فقال: «أنا آسف لأنني ألحّ عليك يا فراء الرّماد. ليس لأنني لا أثق بك، بل لأنني-»

قالت وهي تدفعه بمودة على كتفه: «لأنك مجرّد غرير عجوز كثير القلق. اذهب وتحقّق من الكهف بنفسك إذا كنت تريد أن تريح رأسك». ثمّ تجاوزته وواصلت طريقها وهي تعرج نحو مدخل المخيم.

كانت فراء الرّماد محقّة. إذ أدرك قلب النّار أنّه لن يستريح إلا عندما يزور شجرة السنديان القديمة بنفسه للتأكّد من أنّها خالية من هري عشيرة الظلال ومرضهما. لكنّه لا يستطيع الذهاب الآن، فقد كان هو

والزَّعب الأبيض المحاربين الوحيدَين في المخيم. غزا وخز الإحباط والقلق فراءه، فبدأ يمشي بسرعة في أرجاء الفسحة. عندما استدار أسفل الصخرة العالية ليعود أدراجه، لمح الزَّعب الأبيض آتياً إليه. سأله المحارب الأبيض: «هل قرَّرت من سينضمُّ إلى دورية المساء؟».

«أعتقد أنه بإمكان البرق الخاطف اصطحاب بسّ الشوك والفأرة السَّمراء».

أجاب الهرّ الأبيض بشرود: «فكرة جيّدة». من الواضح أنه يفكر بشيء ما. سأله أخيراً: «هل بالإمكان أن ترافق بسّة زاهية دورية الفجر غداً؟ فالتجربة ستفيدها. أنا... أنا لم أكن أتابع تدريبها مؤخراً». ارتعشت أذنا الزَّعب الأبيض، وبشيء من عدم الارتياح، أدرك قلب النّار أنّ المحارب الأبيض كان يمضي وقتاً متزايداً مع نجمة الصّباح. واشتبه رغماً عنه أنّ كان يخشى ممّا قد تفعله الزعيمة إذا ما تركها بمفردها طويلاً. في الوقت نفسه، شعر قلب النّار بارتياح مصحوب بشيء من الذنب لوجود هرّ آخر في العشيرة - وهو أيضاً أكثر المحاربين احتراماً وأكبرهم سنّاً - يشاركه مخاوفه بشأن زعيمتهم المضطربة. وافق قائلاً: «بالطبع».

جلس الزَّعب الأبيض بجانب قلب النّار ونظر إلى أرجاء الفسحة. «المكان هادئ اليوم».

«لقد اصطحبت عاصفة الرّمال والفراء الأشقر المسنّين وإناث الحضانة ليشربوا بجانب النّهر. واقترح كشكول إحضار الطحالب المشبعة بالماء من أجل غصن الصّفصاف وزهرة الذهب».

أوما الزَّعب الأبيض برأسه باستحسان وقال: «ربّما يمكنهم مشاركة

بعضاً منها مع نجمة الصّباح، إذ تبدو متردّدة في مغادرة المخيم». خفض المحارب المسنّ صوته مضيئاً: «كانت تلعق الندى عن أوراق الشجر كلّ صباح، لكنّها بحاجة إلى أكثر من ذلك في هذا الحرّ».

شعر قلب النّار بموجة جديدة من الذعر تجتاح صدره. «لقد بدت أفضل بكثير في ذلك اليوم».

أكّد له المحارب الأبيض: «إنّها تتحسّن باستمرار. لكن مع ذلك، فهي...». صمت مواؤه العميق، وعلى الرّغم من أنّ قلب النّار شعر بالخوف من العبوس الذي علا وجه المحارب المسنّ، إلّا أنّه لم يكن ثمة حاجة لقول المزيد.

تمتم قائلاً: «أنا أفهم. سأطلب من كشكول أن يأخذ لها بعضاً من الطحالب عند عودتهم».

«شكراً لك». ضاقت عينا الرّعب الأبيض وهو ينظر إلى قلب النّار. «أنت تبلي حسناً، كما تعلم».

جلس قلب النّار وسأله: «ماذا تعني؟». «أعني، كونك نائباً. أعلم أنّ الأمر لم يكن سهلاً، مع نجمة الصّباح... والحال الذي آلت إليه، والجفاف، لكنني أشكّ في وجود هرّ في العشيرة قد يُنكر أنّ نجمة الصّباح اتخذت القرار الصحيح عندما قامت بتعيينك».

أجاب قلب النّار في نفسه، باستثناء النمر الأسود والفراء الأغبر ونصف المسنّين. ثم أدرك أنّه يفكر بفظاظة، فرفّ عينيه بامتنان للمحارب الأبيض، وخرخر قائلاً: «شكراً لك أيّها الرّعب الأبيض». شجّعه الشّاء الصادق من هذا الهزّ الحكيم، الذي يقدر رأيه بقدر رأي نجمة الصّباح. تابع الرّعب الأبيض بلطف: «وأنا آسف بشأن بسّ الغمام، لا بدّ

أَنَّ الأمر صعب جداً بالنسبة إليك. ففي النهاية، إنَّه من أقربائك، وأعتقد أنَّه من السهل جداً على القطط المولودة في العشيرة أن تعتبر هذا الرابط أمراً مسلماً به».

فوجئ قلب النَّار من دهاء المحارب وقال بتردد: «حسنًا، نعم، أنا أفقد إليه. ليس لأنَّه من أقاربي وحسب، بل لأنني أعتقد حقاً أنَّه كان بإمكانه أن يصبح محارباً جيِّداً في نهاية المطاف». ألقى نظرة جانبية على الرَّعب الأبيض، متوقِّعاً أن يعارضه الهَرَّ المسنَّ، ولكنه دُهِش به يومئ برأسه موافقاً.

وافقه الرَّعب الأبيض قائلاً: «لقد كان صيَّاداً ماهراً، وصديقاً جيِّداً لزملائه المبتدئين، ولكن ربَّما رسمت له عشيرة النُّجوم طريقاً مختلفاً. أنا لست هزراً مداوياً، ولا أستطيع قراءة النُّجوم مثل جمرة أو فراء الرَّماد، لكن لطالما وثقت بأجدادنا المحاربين، أياً يكن الطَّريق الذي قد يقودون إليه عشيرتنا».

وهذا ما يجعل منك محارباً نبيلًا، هذا ما فكَّر فيه قلب النَّار، وهو يفكِّر بإعجاب في ولاء الرَّعب الأبيض لقانون المحاربين. لو كان بسَّ الغمام يتمتَّع بوبرة من هذه الحكمة، لربَّما اختلفت الأمور تماماً... أجفل الهزان عندما تناهى إليهما صوت تناثر حصى خارج المخيم، فاندفع قلب النَّار إلى المدخل. كانت النَّمرة الشَّقراء والآخرون يهبطون المنحدر الصخري، ممَّا أدَّى إلى تساقط الحصى والتراب من حولهم، بينما انتصب فراؤهم وبدا الذعر في أعينهم.

قالت النَّمرة الشَّقراء لاهثة عندما وصلت إلى أسفل الوادي: «إنَّهم ذوو الساقين!».

نظر قلب النَّار إلى حيث كان الفراء الأشقر وعاصفة الرَّمال يساعدان

القطط المسنة وهي تهبط بصعوبة من صخرة إلى صخرة.

نادت عاصفة الرمال: «اطمئنوا، لقد ضللناهم».

عندما وصل الجميع إلى أمان المخيم، شرح الفراء الأشقر بأنفاس متلاحقة: «كان ثمة مجموعة من الصغار، وقد طاردونا!».

انتصب فراء قلب النار بذعر عندما تصاعد مواء خوف بين القطط الأخرى. فمأ قائلًا: «هل الجميع بخير؟».

نظرت عاصفة الرمال إلى أفراد المجموعة وأومات برأسها.

«هذا جيد». هدا قلب النار ضربات قلبه من خلال أخذ نفس عميق. «أين كان ذوو الساقين؟ أكانوا عند النهر؟».

أجابت عاصفة الرمال: «لم نكن قد وصلنا حتّى إلى الصخور المشمسة». أصبح صوتها أكثر هدوءاً عندما استعادت وتيرة تنفّسها الطبيعية، وبدأت عيناها تلمعان سخطاً. «كانوا طليقين في الغابة، وليس على الدروب المعتادة لذوي الساقين».

حاول قلب النار ألا يكشف خوفه. فنادراً ما يغامر ذوو الساقين عميقاً في الغابة بهذا الشكل. قال بصوت عالٍ: «علينا أن ننتظر حلول الظلام لجلب الماء».

سألت عوراء وهي ترتعش: «وهل تعتقد أنهم سيكونون قد ذهبوا بحلول ذلك الوقت؟».

«وما الذي سيقولهم؟» حاول قلب النار أن يبدو صوته مطمئناً على الرّغم من شكوكه. فمن يمكنه أن يتوقّع ما قد يفعله ذوو الساقين؟ سألت النّمر الشّرقاء بقلق: «ولكن ماذا عن غصن الصّفصاف وزهرة الذّهب؟ فهما بحاجة إلى الماء قبل ذلك الحين».

عرضت عاصفة الرمال قائلة: «سأذهب وأحضر بعضاً منه».

ماء قلب النار: «كلّا، بل أنا من سيذهب». فجلب الماء لغصن الصّفصاف سيمنحه فرصة مثالية للأخذ بنصيحة فراء الرّماد والتحقّق بنفسه من أنّ هَرّيّ عشيرة الظّلال قد غادرا الكهف تحت شجرة السنديان القديمة. أوماً لعاصفة الرّمال قائلاً: «أحتاج منك البقاء عند أعلى الوادي لمراقبة ذوي السّاقين». مانت عوراء بقلق. «أنا متأكّدة من أنّهم قد عادوا أدراجهم». فهذا قلب من روع الهرة المسنّة: «ولكن ستكونون بأمان إن قامت عاصفة الرّمال بالحراسة». نظر إلى عيني الهرة البرتقالية الزمرديتين وعرف أنّه يقول الحقيقة.

ماء الفراء الأشقر قائلاً: «سأرافك».

هزّ قلب النار رأسه رافضاً. كان عليه القيام بهذه الرحلة بمفرده لتجنّب اكتشاف أيّ هزّ آخر عمل فراء الرّماد حسن النية. قال للمحارب ذي الفراء البنيّ المذهب: «عليك حراسة المخيم مع الرّعب الأبيض. وأريدك أن تبلغ نجمة الصّباح بما رأيته الآن في الغابة. سأحمل أكبر قدر ممكن من الطحالب، وبالنسبة إلى البقية، فسيتعين عليكم الانتظار حتّى غروب الشّمس».

تسلّق قلب النار وعاصفة الرّمال سفح الوادي معاً، وهما يشتمّان الهواء بحذر مع اقترابهما من القمة. لم يكن ثمة أيّ أثر لرائحة لذوي السّاقين هنا.

همست عاصفة الرّمال بينما كان قلب النار يستعدّ للتوجّه إلى الغابة: «كن حذراً».

لعق أعلى رأسها مجيباً بهدوء: «سأفعل».

التقت نظرات أعينهما الخضراء طويلاً قبل أن يستدير قلب النار ويتسلّل بحذر بين الأشجار. لازم الشّجيرات الكثيفة، وشعر بوخز في

أذنيه وفمه المفتوح وهو يجهد حواسه لالتقاط أي أثر لرائحة ذوي الساقين. اشتّم رائحتهم الكريهة غير الطبيعية عندما اقترب من الصخور المشمسة، لكنها أصبحت قديمة الآن.

انعطف واجتاز الغابة باتجاه المنحدر، فوق النهر الذي يمثل حدود عشيرة النهر. وبينما كان يتحقّق من وجود دوريات لعشيرة النهر، بحث رغماً عنه عن الرأس الرمادي المألوف لصديقه، النمر الرمادي. لكنّه لم يجد أثراً لأيّ هزّ في الغابة. سيتمكّن قلب النّار من جلب الماء من الجدول من دون أن يعترضه أحد، ولكن عليه أولاً أن يتحقّق من الكهف أسفل شجرة السنديان القديمة.

مشى على طول الحدود، وتوقّف بين شجرة وأخرى ليترك رائحته ويُنعش الحدود الفاصلة بين العشيرتين. حتّى على هذه المقربة من النهر، فقدت الغابة خصوبة أوراق الربيع وبدأت الأوراق ذابلة ويابسة. سرعان ما لمح قلب النّار شجرة السنديان، وعندما اقترب، رأى الكهف المغبرّ الذي اختبأ فيه هزّاً عشيرة الظلال.

تنفّس بعمق. كانت رائحة المرض قد اختفت، فشعر بالارتياح وقرّر إلقاء نظرة سريعة على داخل الكهف قبل جلب الماء. انحنى إلى الأمام، وعيناه مثبتتان على الفجوة. جثم، ثم مدّ عنقه بحذر، ونظر إلى الوكر.

شهق مجفلاً عندما سقط وزن على ظهره، وتشبّث مخالب بجانيه. سرى الخوف والغضب في جسده وهو يصيح ثم يلتوي بعنف في محاولة للتخلّص من مهاجمه. لكنّ الهزّ الذي نصب له الكمين ظلّ متمسكاً به بقوة. استعدّ قلب النّار لألم المخالب الحادة التي سينشئها عدوّه في جنبه، لكنّ الأكفّ التي تمسّكت به كانت عريضة وناعمة،

ومخالبتها غير مستلّة. سرعان ما ملأت أنفه رائحة مألوفة، اختلطت الآن بروائح عشيرة النّهر، ولكن أمكنه التعرّف عليها على الرّغم من ذلك. ماء بفرح: «النّمر الرّمادي!».

خرخر النّمر الرّمادي قائلاً: «ظننت أنّك لن تأتي لرؤيتي أبداً». شعر قلب النّار بصديقه القديم وهو ينزلق عن ظهره، وأدرك أنّ النّمر الرّمادي مبلّل تماماً بمياه النّهر. وحتىّ فرائه البرتقالي ابتلّ من صراعهما. نفّض نفسه وحدّق بدهشة إلى المحارب الرّمادي. «هل عبرت النّهر سباحة؟». فجميع قطط عشيرة الرّعد يعرفون كم يكره النّمر الرّمادي أن يبتلّ فراؤه الكثيف.

نفّض النّمر الرّمادي نفسه بسرعة، وتناثر الماء بسهولة عن فرائه. بدا فراؤه الطّويل الذي كان يمتصّ الماء كالطحلب، أملس ولا معاً. قال: «هذا الطّريق أسرع من هبوط الصخور. علاوة على ذلك، يبدو أنّ فرائي لم يعد يحتفظ بالماء كالسابق. أعتقد أنّها إحدى فوائد أكل السمك».

أجاب قلب النّار والاشمئزاز يظهر على تعابير وجهه: «ربّما كانت الفائدة الوحيدة برأيي». إذ لم يستطع أن يتخيّل كيف يمكن مقارنة النكهة القويّة للسمك بالنكهات الخفيفة والعطرية لفرائس غابة عشيرة الرّعد. ماء النّمر الرّمادي قائلاً: «الأمر ليس بهذا السوء عندما تعتاد عليه». رفّ عينيه بحرارة لقلب النّار وأضاف: «تبدو بخير».

خرخر قلب النّار مجيباً: «وأنت أيضاً». «وكيف حال الجميع؟ ألا يزال الفراء الأغبر يضايقك؟ كيف حال نجمة الصّباح؟».

أجاب قلب النّار: «الفراء الأغبر بخير»، ثمّ تردّد مضيفاً: «ونجمة الصّباح...». بحث عن الكلمات المناسبة، غير متأكّد ممّا ينبغي أن يقوله

لصديقه القديم عن زعيمة عشيرته.

ضاقت عينا النمر الزمادي وهو يسأله: «ما المشكلة؟».

أدرك قلب النار أن المحارب الزمادي يعرفه جيداً بحيث لا يمكن أن يفوته ردّ فعله. انتفضت أذناه بإرباك.

«نجمة الصّباح بخير، أليس كذلك؟» كان صوت النمر الزمادي مشوباً بالقلق.

أكد له قلب النار ذلك بسرعة: «إنّها بخير»، وشعر بالارتياح لأنّ النمر الزمادي اكتشف قلقه بشأن زعيمة عشيرة الرّعد، ولم يشعر بحذره من صديقه القديم. «لكنّها لم تعد هي نفسها في الآونة الأخيرة، ليس منذ حادثة النمر الشّرس...». بقيت جملته معلقة بتردد.

عبس النمر الزمادي قائلاً: «هل رأيت تلك الأكفّ السامة منذ أن رحل؟».

هزّ قلب النار رأسه نافياً. «ما من أثر له. ولا أعرف كيف سيكون ردّ فعل نجمة الصّباح إذا ما رآته مجدداً».

خرخر النمر الزمادي قائلاً: «إن كنت أعرفها جيداً، فهي لن تتردّد في خدش عينيه. أنا لا أتخيّل أنّ شيئاً يمكن أن يحبط نجمة الصّباح طويلاً».

فكّر قلب النار بحزن، أتمنّى لو كان ذلك صحيحاً. نظر إلى عيني النمر الزمادي الفضوليتين، مدركاً بحزن شديد أنّ رغبته في أن يحكي عن همومه لصديقه القديم كانت حلماً مستحيلًا. فقد أصبح النمر الزمادي فرداً من عشيرة النّهر الآن، وعلى قلب النار أن يقبل بقلب مثقل أنّه لا يجوز له أن يكشف تفاصيل ضعف زعيمته لهزّ ينتمي إلى عشيرة أخرى. أدرك أيضاً أنّه لم يكن مستعداً لإخبار النمر الزمادي عن اختفاء

بسّ الغمام - على الأقلّ، ليس بعد. حاول أن يقنع نفسه أنّ السبب في ذلك عدم رغبته في التسبّب بالقلق للنمر الرّمادي العاجز عن مساعدته، على أيّ حال. لكنّه اشتبه في أنّ صمته قد يكون نابعاً من غروره. فهو لا يريد أن يعرف صديقه أنّه فشل كمدربّ للمرّة الثانية، بعد فترة وجيزة من حادثة فراء الرّماد. ماء قائلاً لتغيير الموضوع: «كيف هي الحياة في عشيرة النّهر؟».

هزّ النمر الرّمادي كتفيه مجيباً: «لا تختلف كثيراً عن عشيرة الرّعد. منهم الودود، ومنهم النكد، ومنهم المضحك، ومنهم ... حسناً، إنهم يشبهون قطط عشيرة عاديّين على ما أظنّ».

شعر قلب النّار رغماً عنه بالحسد تجاه المحارب الرّمادي لأنّه بدا مرتاحاً للغاية. فمن الواضح أنّ حياة النمر الرّمادي الجديدة لم تشتمل على عبء المسؤولية الملقاة حالياً على كاهله بعد أن أصبح نائباً. وما زال جزء منه يشعر بوخز خفيف من الاستياء الذي اختلط بالحزن منذ أن غادر النمر الرّمادي عشيرة الرّعد. فمع أنّ قلب النّار كان يعرف أنّ صديقه لا يمكنه التخلّي عن صغيريه، إلّا أنّه تمنّى لو أنّه قاتل بقوة أكبر لإبقائهما في عشيرة الرّعد.

صرف قلب النّار هذه الأفكار غير المريحة عن ذهنه وسأل قائلاً: «كيف حال صغيريك؟».

خرخر النمر الرّمادي بفخر مجيباً: «إنّهما رائعان! الهرة تشبه أمّها تماماً، جميلة بقدرها، وتمتّع بالمزاج نفسه! فهي تسبّب لأمّها بالحضانة كثيراً من المتاعب، لكنّ كلّ القطط يحبّونها، ولا سيّما النجم الأعوج. أمّا الذكر، فهو أكثر هدوءاً، ويفرح بكلّ ما يفعله».

قال قلب النّار: «تماماً مثل أبيه».

قال النمر الزمادي متباهياً وعيناه تلمعان بمرح: «ووسيم بقدره تقريباً».

شعر قلب النار بموجة مألوفة من الفرح تجتاحه بوجوده مع صديقه القديم. فماء قائلاً: «أنا أفتقد إليك»، وغمرته فجأة رغبة في عودة النمر الزمادي إلى المخيم، لكي يصطادا ويقتالا جنباً إلى جنب مجدداً. «لم لا تعود إلى الديار؟».

هز النمر الزمادي رأسه الزمادي العريض وماء قائلاً: «لا أستطيع ترك صغيري».

لم يتمكن قلب النار من إخفاء نظرة عدم التصديق التي ومضت في عينيه. ففي النهاية، تتم تربية الصغار على أكف إناث الحضانة وليس آبائهم. غير أن النمر الزمادي تابع بسرعة: «أوه، إنهما يتلقيان عناية جيداً في الحضانة، وسيكونان آمنين وسعيدين مع عشيرة النهر، لكنني لا أعتقد أنني سأحتمل الابتعاد عنهما، فهما يذكراني كثيراً بشعاع الفضة». «هل تفتقدها إلى هذا الحد؟».

أجاب النمر الزمادي ببساطة: «لقد أحببتها».

شعر قلب النار بشيء من الغيرة إلى أن تذكر الحزن الذي ما زال يكتنفه عندما يستيقظ من حلم رأى فيه الورقة الرقطاء. مشى إلى الأمام ولامس خذ النمر الزمادي بأنفه. وحدها عشيرة النجوم تعلم ما إذا كان سيفعل الشيء نفسه من أجل الورقة الرقطاء لو حدث معه ذلك. همس صوت عميق في عقل قلب النار، أو عاصفة الرمال؟

وكزه النمر الزمادي وأخرجه من شروده، وكاد يفقده توازنه. قال كما لو أنه يقرأ أفكار صديقه: «كفاك حزناً! أنت لم تأت إلى هنا حقاً لرؤيتي، أليس كذلك؟».

فوجئ قلب النّار واعترف قائلاً: «حسناً، ليس تماماً...». «كنت تبحث عن هَرَيّ عشيرة الظّلال، أليس كذلك؟». سأله بدهشة: «وكيف عرفت بأمرهما؟».

هتف النّمر الرّمادي: «وهل يعقل ألا أعرف مع الرّائحة التي كانت تفوح منهما؟ رائحة قطط عشيرة الظّلال كريهة بما فيه الكفاية في الحالات الطبيعية، فما بالك عند المرض... إنها مقرفة!». «وهل عرفت عشيرة النّهر بأمرهما؟» خشي قلب النّار أن تعرف العشائر الأخرى أنّ عشيرة الرّعد آوت قطط عشيرة الظّلال مجدّداً، وتحديدأً قططاً ملوثة بالمرض.

طمأنه قائلاً: «ليس على حدّ علمي. فقد عرضتُ تولّي كلّ الدورات في هذا الجزء من النّهر. واعتقد بقيّة القطط أنّني أشعر بالحنين إلى الدّيار، فتركوني أفعل. أعتقد أنّهم يأملون سرّاً أن أعود إلى عشيرة الرّعد إذا ما اشتملت ما فيه الكفاية من روائح الغابة!».

سأله قلب النّار بحيرة: «ولكن لماذا تحمي هَرَيّ عشيرة الظّلال على هذا النّحو؟».

أوضح النّمر الرّمادي: «لقد جئت وتحدّثت إليهما بعد وقت قصير من وصولهما. فأخبراني أنّ فراء الرّماد خبأتهما هنا. واعتقدت أنّه إذا كان لفراء الرّماد علاقة بالأمر، فلا بدّ أنّك تعرف. فإيواء كيسين من البراغيث المريضة هو من نوع الأمور الرقيقة التي تقوم بها».

اعترف قلب النّار قائلاً: «حسناً، أنا لم أشعر بالرّضى تماماً عندما اكتشفت الأمر».

«ولكن أنا واثق من أنّك تركتها وشأنها».

هزّ قلب النّار كتفيه مجيباً: «حسناً، أجل».

ماء صديقه بمودة: «بإمكانها أن تلفك حول كفها. على أي حال، لقد رحلا الآن».

سأله قلب النار بارتياح عندما علم أن فراء الرّماذ وفّت بوعدّها: «ومتى رحلا؟».

«رأيت أحدهما يصطاد على هذا الجانب من النّهر منذ بضعة أيّام، ولم أر أثراً لهما منذ ذلك الحين».

«منذ بضعة أيّام؟» انزعج قلب النار عندما سمع أن هرّي عشيرة الظلال كانا لا يزالان هناك مؤخراً. هل قرّرت فراء الرّماذ أن تعتني بهما حتّى يصبحا قادرين على السّفر، مثلاً؟ انتصب فرائه بانزعاج من تلك الفكرة، لكنّه كان واثقاً أنّها لم تتخذ القرار باستخفاف. شكر عشيرة النّجوم لأنّهما لم يصادفا إحدى دوريات جمع المياه التي ترسلها عشيرة الرّعد. لقد رحلا الآن، ومع قليل من الحظّ، سيكون خطر المرض قد رحل معهما أيضاً.

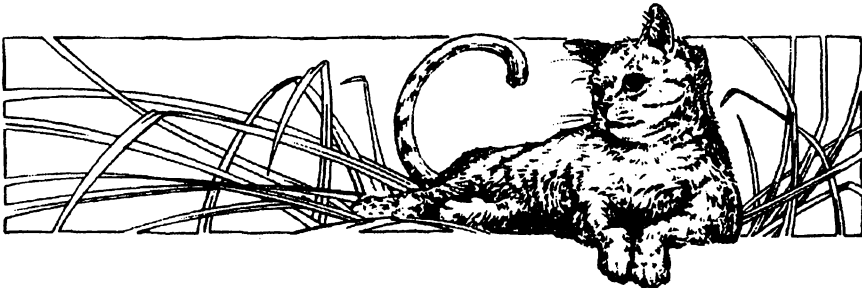
ماء النّمر الرّماذي قائلاً: «حسناً، عليّ الذّهاب. فأنا في مهمّة صيد، وقد وعدت بمراقبة المبتدئين عصر هذا اليوم».

سأله قلب النّار: «هل تقوم بتدريب مبتدئ خاصّ بك؟». نظر إليه النّمر الرّماذي ببات وتمتم قائلاً: «لا أعتقد أنّ عشيرة النّهر على استعداد للوثوق بي لتدريب محاربيهم بعد». لم يستطع قلب النّار أن يعرف ما إذا كان المرح أم الأسف هو الذي جعل شاربي صديقه القديم يرتعشان.

ماء النّمر الرّماذي وهو يدفع قلب النّار بخطمه: «أراك مجدّداً في وقت قريب».

«بالأكيد». شعر قلب النّار بثقب أسود من الحزن في أحشائه عندما

استدار المحارب الرّمادي للمغادرة. الورقة الرّقطاء، النّمر الرّمادي، بسّ الغمام... هل كان مقدّراً له أن يخسر كلّ هزّ قريب منه؟ قال له: «اعتن بنفسك!». راقب النّمر الرّمادي وهو يعبر بين نباتات الخنشار حتّى ضفّة النّهر قبل أن يخوضه بثقة. انزلت كتفا المحارب العريضتين عبر الماء، تاركة وراءها أثراً لطيفاً بينما كان يسبح بأكفّه القويّة. فهزّ قلب النّار رأسه، متمنياً أن يتمكّن من تشتيت أفكاره المضطربة بالسهولة نفسها التي نفّض بها النّمر الرّمادي الماء عن فرائه بعد السباحة. أخيراً، استدار عائداً بين الأشجار.



الفصل 15



حمل قلب النار كرة الطحالب المبتلة بلطف بين أسنانه. كان بعض من الرطوبة قد قطر منها أثناء رحلة العودة، ممّا أدى إلى ترطيب صدره وتبريد قائمته الأماميتين، ولكن سيبقى ما فيه الكفاية لإرواء عطش زهرة الذهب وغصن الصفصاف، إلى أن تتمكن دورية أخرى من جمع المزيد بعد غروب الشمس.

استلقت العشيرة في مجموعات صغيرة في أرجاء الفسحة بينما كانت الشمس تغيب ببطء خلف قمم الأشجار. كان معظمهم قد أكلوا وجلسوا يتجاذبون الألسنة بهدوء في جلسة التنظيف المعتادة. توقّفوا لفترة وجيزة لإلقاء التحية على قلب النار عندما خرج من نفق القندول، قبل أن يستأنفوا لعق فرائهم. فأوماً برأسه بتحية إلى البرق الخاطف والفأرة السوداء وبس الشوك، الذين كانوا على وشك الخروج في دورية المساء.

كانت عين الزمرد تستعدّ لقيادة مجموعة أخرى من المسنين لجلب الماء. جمعتهم عند جذع السنديانة المقطوع، وسمع قلب النار مواء شمشوم المصمم أثناء مروره. «سنحتاج إلى إبقاء آذاننا عالية وعيوننا حاداً خلال رحلتنا». تابع الهرّ الرمادي العجوز: «هل ترى هذه الندبة

في أذني؟ حصلت عليها عندما كنت مبتدئاً، يوم انقضت عليّ بومة من العدم. لكنني واثق من أن مخاليبي تركت لديها ندبة أكبر من هذه!.

شعر قلب النار بفرائه يسترخي على كتفيه، وقد هدأته الهمهمات المألوفة لحياة العشيرة. لقد رحل هزاً عشيرة الظلال، تماماً كما وعدت فراء الزماد، والتقى بالنمر الرمادي. دخل الحضانة، ووضع الطحالب بلطف بجانب غصن الصفصاف وزهرة الذهب.

ماءت غصن الصفصاف: «شكراً لك يا قلب النار».

«سنجلب المزيد بعد العشاء». وعد قلب النار الهزتين بذلك بينما بدأت بلعق قطرات الماء الثمينة من كتلة الطحالب. حاول أن يتجاهل عيني ابن النمر الشرس اللتين تلمعان جوعاً في الظلال، بينما كانت زهرة الذهب تضغط على الطحالب بخطمها لتعصر منها جرعة أخرى. أوضح لهما قلب النار: «ستقود عين الزمرد المسنين الآخرين إلى النهر ما إن تغرب الشمس وتخلو الغابة من ذوي الساقين».

لعلت زهرة الذهب شفيتها وعلقت قائلة: «لقد مرّ وقت طويل منذ أن خرج بعضهم إلى الغابة بعد حلول الظلام».

خرخر مجيباً: «أعتقد أن شمشوم يتطلّع إلى ذلك، فقد كان يروي قصصاً عن البومة التي كانت تصطاد بالقرب من الصخور المشمسة. أما الذيل الأبر، فقد بدا متوتراً بعض الشيء، المسكين».

قالت غصن الصفصاف: «سيفيده شيء من الإثارة، ليتني أستطيع مرافقتهم. فقتال مع بومة هو تماماً ما أحتاج إليه لأمدد قوائمي!».

سألها قلب النار باستغراب: «هل تفتقدين إلى الأيام التي كنت فيها محاربة؟». بدت غصن الصفصاف مرتاحة للغاية وهي ممددة في الحضانة، بينما كانت بسايسها التي تكبر بسرعة تتدافع فوقها، ولم يخطر

بباله أن تحنّ إلى حياتها القديمة.

تحدّته غصن الصّفصاف: «أما كنت لتفعل؟».

تلعثم مجيباً: «حسناً، بلى. ولكن لديك صغارك الآن».

لوت غصن الصّفصاف رأسها لتلتقط بسبوسة صغيرة بنية مرقطه بالأبيض سقطت عن جنبها. وضعتها بين قائمتيها الأماميتين، ولعقتها قبل أن توافقه قائلة: «أوه، أجل، لديّ صغاري، لكنني أفتقد إلى الجري في الغابة، وصيد فريستي بنفسي، ومراقبة حدودنا». لعقت البسبوسة مجدداً وأضافت: «كما أطلّع إلى اصطحاب هؤلاء الثلاثة إلى الغابة للمرة الأولى».

ماء قلب النّار قائلاً: «يبدو أنهم سيصبحون محاربين مهرة». تبادرت إلى ذهنه الذكريات الحلوة والمرة لرحلة بسّ الغمام الاستكشافية الأولى، عندما خرج إلى الغابة المغطاة بالثلوج وعاد بفأر حقل، فرفّ عينيه. خفض رأسه لإناث الحضانة واستدار للمغادرة، ملقياً نظرة خاطفة على ابن النّمر الشّرس. تساءل رغماً عنه أيّ نوع من المحاربين سيكون، قبل أن يخرج متمتماً: «إلى اللقاء».

اشتّم الروائح المغرية المنبعثة من كومة الفرائس الطازجة من مكان قريب، ولكن كان ثمة أمر آخر كان عليه القيام به قبل أن الجلوس لتناول وجبته المسائية. فعبر الفسحة إلى وكر جمرة.

كانت الهزة المداوية العجوز تستريح في شمس المساء، وكان فراؤها باهتاً ومشعثاً كالعادة. رفعت خطمها لتحيتها، وقالت بصوتها المبحوح: «مرحباً يا قلب النّار، ما الذي تفعله هنا؟».

أجاب: «أبحث عن فراء الرّماد».

«لماذا؟ ماذا تريد الآن؟». أتاها مواء فراء الرّماد من داخل فراش

الخنشار، قبل أن تطلّ برأسها الرّمادي.

وبخّتها جمرة، وعيناها تلمعان بالتسلية: «أهكذا تحيين نائبك؟».

ردّت فراء الرّماد وهي تخرج: «هذا ما يحدث عندما يقلق راحتي.

يبدو أنّه مصمّم على ألا أنال قسطي من النوم هذه الأيام!».

زمت جمرة عينيها وهي تنظر إلى قلب النّار. «هل تخفيان أنتما

الاثنان شيئاً يجب أن أعرف به؟».

مازحتها فراء الرّماد قائلة: «هل تستجوبين نائبك؟».

خرخرت جمرة قائلة: «أعلم أنّك كنت تخفين شيئاً، لكنني لن

أندخل. كلّ ما أعرفه أنّ تلميذتي عادت إلى ما كانت عليه مجدّداً. وهذا

أمر جيّد، لأنّها لم تكن مفيدة لأيّ هَرّ وهي تتجول في الأنحاء بكآبة

مثل الفطر الرطب!».

استراح قلب النّار لرؤية الهزّتين تتشاجران مع بعضهما البعض كما

كان حالهما عندما بدأت الهزّة المداوية بتدريب فراء الرّماد، قبل وفاة

شعاع الفضّة. حرّك أكفّه بإرباك على الأرض الحارقة. فقد جاء ليخبر

فراء الرّماد أنّ هَرّي عشيرة الظلال قد رحلا، لكن بوجود جمرة هنا، لم

يكن الأمر سهلاً.

دمدمت جمرة وهي تنظر بإصرار إلى قلب النّار: «غريب، شعرت

فجأة بالرغبة في جلب فأر آخر من كومة الذبائح الطازجة». رمش

قلب النّار بامتنان إلى الهزّة المداوية المسنّة، التي نادّت من فوق كتفها

وهي تتّجه إلى النّفق: «هل تريدان شيئاً يا فراء الرّماد؟». هزّت المبتدئة

رأسها نافية. قالت جمرة بصوت عالٍ: «حسنأ، سأعود بعد لحظة، أو

ربّما لحظتين».

عندما اختفت، ماء قلب النّار بهدوء: «تحقّق من هَرّي عشيرة

الظلال، لقد رحلا».

أجابت فراء الرّماذ: «أخبرتكَ أنّهم سيرحلان».

أضاف: «لكنّهما لم يذهبا إلّا منذ يومين».

قالت فراء الرّماذ: «لم يكن من المفيد لهما السفر قبل ذلك. كان عليّ أيضاً أن أتأكّد من أنّهما تعلّما كيفية صنع خلطة الأعشاب قبل رحيلهما».

حرّك ذيله بعصبية بسبب عناد فراء الرّماذ، لكنّه لم يستطع حمل نفسه على الجدال معها. فهي تعتقد في الصّميم أنّها أصابت برعايتهما، ووافق جزء منه على أنّ الأمر كان يستحقّ المجازفة.

مئات وقد فقدت نبرة صوتهما بعض الثقة: «لقد طلبت منهما الرحيل حقّاً، كما تعلم».

وافقها بلطف: «أنا أصدّقك، وكانت مسؤوليتي التّأكّد من رحيلهما، وليست مسؤوليتك».

نظرت إليه بفضول. «وكيف عرفت بتاريخ رحيلهما؟».

«النّمر الرّمادي هو الذي أخبرني».

«هل تحدّثت إلى النّمر الرّمادي؟ أهو بخير؟».

خرخر قلب النّار: «إنه بخير، بات يجيد السباحة كالسمكة الآن».

«أنت تمزح! لم أتوقّع ذلك قطّ».

وافقها قلب النّار قائلاً: «ولا أنا»، ثمّ صمت محرّجاً عندما قرقرت بطنه من شدّة الجوع.

أمّرتَه فراء الرّماد قائلة: «اذهب وكل شيئاً. ومن الأفضل لك أن تسرع قبل أن تقضي جمرة على الكومة بأكملها».

انحنى ولحق أذني فراء الرّماد. «أراك لاحقاً».

تركت له جمرة حزية الاختيار بين سنجاب أو حمامة. فحمل الحمامة ونظر حول الفسحة، متسائلاً أين يأكلها. أحس أن عاصفة الرمال تراقبه. كانت ممددة بجسدها الرقيق، وذيلها ملتف بشكل أنيق فوق قائمتيها الخلفيتين.

شعر قلب النار بنبضه يتسارع. فجأة، لم يعد يهمه أنها ليست بنية، وأن عينيها خضراوان شاحبتان وليستا عنبريتين. نظر إلى المحاربة الشقراء الفاتحة، بينما تدلت الحمامة من فكيه، وتذكر ما قالت له فراء الرماد: عيش في الحاضر، وكفاك بكاءً على الماضي. كان يعلم أن الورقة الرقطاء ستبقى دائماً في قلبه، لكنه لم يستطع أن ينكر القشعريرة التي تسري على طول عموده الفقري عند رؤية عاصفة الرمال. عبر الفسحة للانضمام إليها. وعندما وضع الحمامة بجانبها وبدأ بتناول طعامه، سمعها تخرخر.

فجأة، تصاعد مواء رهيب فرفع قلب النار رأسه فجأة. هبت عاصفة الرمال واقفة، بينما دوى صوت الفأرة السوداء وبس الشوك في الفسحة. كان فراؤهما ملطخاً بالدماء، وكان بس الشوك يعرج بشدة. ابتلع قلب النار ما في فمه بسرعة ونهض. «ماذا حدث؟ أين البرق الخاطف؟».

تجمعت القطط الأخرى خلفه، وهي تهسهس خوفاً، فيما انتصب فراؤها استعداداً للمواجهة.

أجابت الفأرة السوداء وهي تلهث: «لا أعرف، لقد تعرّضنا لهجوم». سألتها قلب النار: «ممن؟».

هزت الفأرة السوداء رأسها. «لم نتمكن من الرؤية، فقد كنا في الظلام».

«ولكن ماذا عن رائحتهم؟».

أجاب بسّ الشوك وأنفاسه تخرج في شهقات قصيرة: «كنا قريبين جداً من درب الرعد، ولم نستطع أن نميز الرائحة».

نظر قلب النار إلى المبتدئ، الذي كان يتمايل بلا توازن على أكفّه. فأمره قائلاً: «اذهب لرؤية جمرة»، ثم نادى المحارب الأبيض الذي كان ينطلق مسرعاً أساساً من وكر نجمة الصباح: «أيها الرعب الأبيض! أريدك أن تأتي معنا». التفت إلى الفأرة السوداء قائلاً: «قودينا إلى حيث وقع الهجوم».

نظرت عاصفة الرمال والفراء الأغبر إلى قلب النار بترقب، بانتظار تلقي الأوامر. فماء قائلاً: «أنتما الاثنان ابقيا هنا واحرسا المخيم، فقد يكون هذا فتحاً لإبعاد محاربينا. لقد حدث ذلك من قبل». فيما أن نجمة الصباح لم يعد لديها سوى روح واحدة، أدرك قلب النار أن عليه تأمين حراسة جيدة للمخيم.

اندفع إلى خارج المخيم مع الرعب الأبيض إلى جانبه، ولحقت بهما الفأرة السمراء وهي تلهث. ساروا معاً إلى أعلى الوادي وراحوا يركضون داخل الغابة.

أبطأ قلب النار من سرعته عندما لاحظ أن الفأرة السمراء كانت تكافح لمواكبتها. فحثّها قائلاً: «أسرعي قدر الإمكان». كان يعلم أنها تعاني من الألم بعد القتال، لكن كان عليهم العثور على البرق الخاطف. فقد ساوره شعور فظيع بأن هذا الهجوم له علاقة حتماً بعشيرة الظلال. إذ كان النمر الصغير والطوق الأبيض موجودين في أراضي عشيرة الرعد مؤخراً. هل خدعاه واستدرجا عشيرته إلى الخطر في النهاية؟ توجه غريزياً نحو درب الرعد.

نادته الفأرة السّمراء: «كلّا، بل من هذا الطّريق». ثمّ تجاوزته، وضاعفت من سرعتها، منحرفة نحو الأشجار الأربع. لحق بها قلب النّار والرّعب الأبيض.

وبينما كانوا يتسابقون عبر الأشجار، أدرك قلب النّار أنّه مرّ من هذا الطّريق من قبل. لقد كان هذا هو المسار الذي سلكه النّمر الصّغير والطّوق الأبيض بعد أن طردتهما نجمة الصّباح في المرّة الأولى. هل عبرت مجموعة مداهمة من عشيرة الظّلال النّفق الحجري أسفل درب الرّعد؟

توقفت الفأرة السّمراء بين شجرتي رماد شاهقتين. هدر درب الرّعد من بعيد، مرسلأ رائحته الكريهة عبر الشّجيرات. في الأمام، رأى قلب النّار جسد البرق الخاطف البنيّ النحيل ملقى على الأرض، وكان ساكناً على نحو مخيف. انحنى هزّ أبيض وأسود فوق جسد المحارب الساكن، وأجفل قلب النّار عندما أدرك أنّه الطّوق الأبيض.

اتّسعت عينا محارب عشيرة الظّلال عندما رأى القطط وهم يقتربون. فبدأ يبتعد عن البرق الخاطف متعثراً من أثر الصّدمة. انتحب قائلاً: «لقد مات!».

خفض قلب النّار أذنيه بغضب. أبهذه الطّريقة يرذّ محاربا عشيرة الظّلال معروف عشيرة أخرى؟ من دون أن يتوقّف ليرى ما يفعله الرّعب الأبيض والفأرة السّمراء، أطلق صرخة غضب وألقى بنفسه على الطّوق الأبيض، الذي انكمش مبتعداً وهو يهسهس. دفع قلب النّار محارب عشيرة الظّلال إلى الخلف، فسقط الطّوق الأبيض على الأرض من دون مقاومة بينما لاح قلب النّار من فوقه.

حدّق قلب النّار إلى الأسفل مربكاً بينما ربض عدوّه تحته بلا

حول ولا قوّة، وعيناه مزمومتان من شدّة الرعب. وفي أثناء تردّده، ابتعد الطّوق الأبيض واندفع إلى أجمة متشابكة من العليّق. فطارده قلب النّار، متجاهلاً الأشواك التي مزّقت فراءه. لا بدّ أن محارب عشيرة الظّلال كان متّجهاً إلى النّفق الحجري. فتابع تقدّمه، ولمح طرف ذيل الطّوق الأبيض وهو يكافح للخروج من أجمة العليّق إلى الحافة العشبية.

خرج قلب النّار بعد لحظات، ورأى الطّوق الأبيض واقفاً على حافة درب الرّعد. فاندفع إليه متوقّعاً أن يهرب منه إلى النّفق، إلّا أن هذا الأخير ألقي نظرة واحدة على محارب عشيرة الرّعد وانطلق مباشرة على درب الرّعد.

شاهد قلب النّار برعب الهزّ المذعور يندفع بشكل أعمى فوق السّطح الرّمادي الصّلب. وسرعان ما هدر صوت صاحب في أذنيه. فترجع قلب النّار إلى الخلف، وقلّص وجهه أمام الرّياح ذات الرّائحة الكريهة التي شعّثت فراءه أثناء مرور الوحش. عندما هداّ الهواء، فتح عينيه ونفض الرّمال عن فراء أذنيه. كان ثمة جسد ملقى بلا حراك على درب الرّعد. لقد صدم الوحش الطّوق الأبيض.

للحظات طويلة، تجمّد قلب النّار وغمرته الذّكريات المروعة لحادث فراء الرّماد. ثمّ رأى الطّوق الأبيض يتحرّك. لا يستطيع قلب النّار ترك أيّ هزّ هناك، ولا حتّى عدوّ من عشيرة الظّلال قتل أحد أشجع محاربي عشيرة الرّعد. فحدّق إلى درب الرّعد بالاتجاهين، وتأكد أنّه ما من وحوش في الأفق، قبل أن يهرع إلى المكان التي تمدّد فيه الطّوق الأبيض. بدا الهزّ أصغر من أيّ وقت مضى، وكان صدره الأبيض يتلأأ بالدماء التي بدت كالنّار تحت أشعة الشّمس الغاربة ببطء.

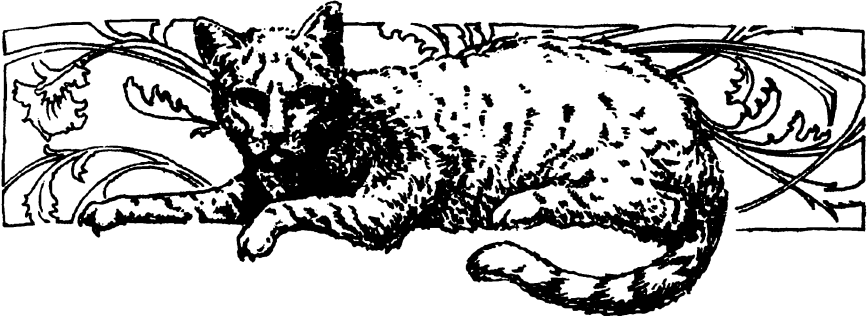
عرف قلب النّار أن تحريك الهزّ لن يؤدّي إلّا إلى تسريع وفاته.

فنظر وهو يرتجف من هول الصدمة إلى المحارب التي تحملت فراء
الرماد الكثير من المتاعب للعناية به، وأخفت السر عن عشيرتها. همس
قائلاً: «لماذا هاجمت دوريتنا؟».

انحنى إلى الأسفل عندما فتح الطوق الأبيض فمه ليتكلم، لكن
مرور وحش على مقربة منهما طغى على قرقرة المحارب، مرسلاً موجة
من الأبخرة والرمال فوقهما. غرز قلب النار مخالفه قدر المستطاع في
السطح الصلب وانحنى أكثر فوق محارب عشيرة الظلال.

فتح الطوق الأبيض فمه مجدداً، وسال منه خط رقيق من الدماء.
فابتلع الدماء بألم، واهتز جسده بتشنج قوي. لكن قبل أن يتمكن من
الكلام، تركّز نظره على نقطة فوق كتف قلب النار، باتجاه غابة أراضي
عشيرة الرعد. رأى قلب النار الخوف يجتاح عيني الطوق الأبيض قبل
أن تلمع للمرة الأخيرة.

فاستدار إلى الخلف ليرى ما الذي ملأ بالرعب اللحظات الأخيرة
من حياة الهرّ، وغاص قلبه عندما رأى الهرّ الواقف على حافة درب
الرعد - إنه المحارب الأسود الذي جاب أحلامه طويلاً.
النمر الشرس.



الفصل 16



شعر قلب النار وكأنّ مخالفه تجذّرت في درب الرّعد وهو يحّدق إلى الهزّ الذي ألقى ظلاً مخيفاً على حياته طويلاً. لم تكن ثمّة حاجة إلى أيّ ادّعاء بالولاء المشترك للعشيرة الآن. فقد أصبح النمر الشّرس منبوذاً وعدواً لجميع القطط الذين يتبعون قانون المحاربين.

أرسلت شمس المساء الحارقة أشعتها البرتقالية من خلال قمم الأشجار، لتتوهّج على الفراء الداكن للهزّ المخطّط الضخم. في صمت درب الرّعد الخالي، كثر النمر الشّرس عن أنيابه ساخراً وهو ينظر إلى قلب النار.

«هل إنّ مطاردة القطط الصّغار ودفعهم إلى حتفهم أفضل ما يمكنك القيام به للدفاع عن أرضك؟».

انقشعت الغمامة عن ذهن قلب النار في لمح البصر، تاركة جسده ينبض بالقوة والغضب البارد. حدّق مباشرة إلى عيني النمر الشّرس، بينما شعّ هدير وحش آخر فراء أذنيه. ظلّ ثابتاً في مكانه أثناء مروره، فيما تصاعد في أعقابه هدير آخر. لكنّ قلب النار لم يشعر بالخوف. ففي الفجوة القصيرة بين الوحشين، ركّز على النمر الشّرس ووثب عليه. اتّسعت عينا النمر الشّرس من هول المفاجأة عندما سقط عليه قلب

النّار، وقد استلّ مخالبه وراح يهسّ غضباً. تدرجاً معاً على العشب تحت غطاء الأشجار. استمدّ قلب النّار قوّته من الروائح المألوفة للغابة - التي أصبحت أرضه الآن، لا أرض النمر الشرس - وكافح الاثنان بعنف، بحيث سوّيا الأعشاب الهشة تحتتهما وحفرت مخالبهما أثلاماً عميقة في الأرض.

كان قلب النّار قد أحكم قبضته على النمر الشرس في أوّل انقضااض له، واستطاع أن يشعر بكلّ ضلع من أضلاع الهزّ الداكن. لقد خسر النمر الشرس من وزنه، لكنّ عضلاته ما زالت صلبة تحت فرائه السميك. سرعان ما أدرك قلب النّار أنّ المنفى لم يسلب المحارب شيئاً من قوّته. جثم النمر الشرس وقفز إلى الأعلى، والتوى في الهواء، ملقياً بقلب النّار عن ظهره. ف شعر هذا الأخير بقوة الاصطدام بالأرض الجافة عندما هبط على جنبه، وشهق لتعويض الهواء الذي خرج من رئتيه وهو يكافح للنهوض على أكفّه. غير أنّه لم يكن سريعاً بما فيه الكفاية، إذ انقضّ عليه النمر الشرس، وثبته على الأرض بمخالبه التي بدت أنّها تخترق قلب النّار حتّى العظم.

صدر مواء ألم عن قلب النّار، لكن الهزّ الضخم ثبّته بقوة. فاحت في أنفه رائحة طعام الغربان الكريهة عندما مدّ النمر الشرس رقبتة إلى الأمام ليهسهس في أذنه قائلاً: «هل تسمعي أيّها البسبوس؟ سأقتلك أنت وكلّ محاربك، واحداً تلو الآخر».

حتّى في خضمّ المعركة، أرسلت كلماته قشعريرة عبر جسده. فقد علم أنّ النمر الشرس كان يعني ما يقول. أدرك فجأة وجود أصوات وروائح جديدة من حوله - حركة أكفّ غير مألوفة وروائح لقطط غرباء. إنهم محاصرون، لكن ممّن؟

شعر بالإرباك من روائح درب الرعد، ودماء الطوق الأبيض،
وخوفه، وتساءل بقلق عما إذا كان هؤلاء هم القطط الذين تبقوا من
عصبة الذيل التمرود من المنبوذين، والذين ساعدوا النمر الشرس منذ
وقت ليس ببعيد في هجومه على مخيم عشيرة الرعد. هل اختار الطوق
الأبيض الانضمام إلى هؤلاء الشاردين بدلاً من العودة إلى عشيرته التي
استفحل فيها المرض؟

راح قلب النار يدفع جسده يائساً بقائمتيه الخلفيتين إلى الأعلى،
بينما حاول أن يغرز مخالبه ببطن النمر الشرس. ولا بد أن عدوه القديم
استهان بمدى ازدياد قوته، لأن قبضته ارتخت وانزلق على الأرض.
فابتعد قلب النار عنه مسرعاً، ورفع رأسه ليرى الفأرة السمراء والرعب
الأبيض يندفعان من بين الشجيرات للانقضاض على هزين من الهررة
المحيطين بهم. نظر مجدداً إلى النمر الشرس، الذي قفز على أكفّه ووقف
على قائمته الخلفيتين ليعلو فوق قلب النار مكشراً عن أنيابه، بينما
لمعت عيناه الكهرمانيتان بالكراهية. خفض جسده عندما انقضض عليه
النمر الشرس، ثم اندفع إلى الأمام واستدار ليضرب المحارب الداكن
على أنفه. بجانبه، سمع عواء وهسهسة الرعب الأبيض والفأرة السمراء
أثناء قتالهما بشجاعة عشيرة النجوم. لكن عدد القطط المهاجمة كان
أكبر بكثير. عندما تملص قلب النار من النمر الشرس مجدداً، نظر حوله
بيأس بحثاً عن طريقة للهرب. شعر بمخالب تחדش قائمته الخلفيتين،
فاستدار ليرى أحد هررة النمر الشرس يمسك به وهو يزجر بشراسة.
كان نحيلاً ومشعثاً كالبقية، وعيناه تلمعان بحقد.

وقف النمر الشرس مجدداً وراح يهسّ بغضب. كان قلب النار
يستعد لضرب النمر الشرس، عندما رأى وهجاً رمادياً. ومضت كتفان

عريضتان أمامه، وتعرّف على المحارب الذي قاتل بجانبه مرّات عدّة من قبل.

إنّه النمر الزمادي!

انقضّ المحارب الزمادي على بطن النمر الشرس المكشوف، وأسقطه إلى الخلف. فاستدار قلب النّار وعضّ كتف الهزّ المتشبّث بقائمتيه الخلفية، إلى أن شعر بأسنانه تحتكّ بالعظم. حرّر الهزّ الشريد عندما صرخ، وبصق الدّم الذي سال في فمه.

نظر قلب النّار بدهشة إلى المعركة التي اندلعت من حوله. لا بدّ أن النمر الزمادي قد أحضر دورية عشيرة النّهر بأكملها، لأنّ القطط الشريفة أصبحت الآن أقلّ عدداً منهم وهي تكافح ضدّ المحاربين ذوي الفراء الأملس. استدار ليرى النمر الزمادي يتحرّر من قبضة النمر الشرس، فقفز لمساعدة صديقه. انقضّا معاً على النمر الشرس، وراحا يضربانه بأكفّهما لدفعه إلى الخلف، ويطابقان خطواتهما مثلما تمرّنا مرّات عديدة خلال التدريب. بعد ذلك، ومن دون أن يتبادلا نظرة واحدة، اندفعا كهزّ واحد، وأسقطا الهزّ الضخم على الأرض. أطلق النمر الشرس هسهسة مكتومة بينما كان قلب النّار يضغط خطمه في التراب، في حين أمسك النمر الزمادي بكتفي الهزّ المخطّط وضرب جنبه بقائمتيه الخلفيتين.

سمع قلب النّار الصرخات تتلاشى في الغابة، وأدرك أنّ القطط الشريفة كانت تفرّ من المعركة. فاستغلّ النمر الشرس تشبّث انتباه قلب النّار وحرّر نفسه. هرب باتّجاه نباتات العليق، وبصق غاضباً، ثم اختفى بين السويقات الشائكة.

مع تلاشي أصوات القطط الشريفة، نفّض المحاربون التراب عن فرائهم ولعقوا جراحهم. أدرك قلب النّار للمرّة الأولى أن ابن نجمة

الصَّبَاح، قلب الصَّوَّان، كان من بين قطط عشيرة النَّهر. فشهِق قائلاً: «هل أصيب أحد بجرح خطير؟».

هَزَّ الجميع رؤوسهم نفيّاً، بمن فيهم الفأرة السَّمراء، التي كانت لا تزال تنزف من الهجوم الأوّل.

ماء قلب الصَّوَّان: «علينا العودة إلى أرضنا».

فخفّض قلب النَّار رأسه باحترام قائلاً: «عشيرة الرّعد تشكركم على مساعدتكم».

أجاب قلب الصَّوَّان: «القطط الشّريفة تهدّدنا جميعاً، ولم يكن بإمكاننا أن نترككم وحدكم في المعركة».

هَزَّ الرّعب الأبيض خطمه، وتناثرت منه قطرات من الدّم. نظر إلى النّمر الرّمادي وسأله: «من الجميل القتال إلى جانبك مجدّداً يا صديقي. ما الذي أتى بك إلى هنا؟».

أجاب قلب الصَّوَّان نيابةً عن النّمر الرّمادي: «لقد سمع صرخة قلب النَّار من الأشجار الأربع، وكانت دوريتنا مازة من هناك. فأقنعنا بالمجيء لتقديم المساعدة».

أجاب قلب النَّار بحرارة: «شكراً لكم جميعاً».

أوماً قلب الصَّوَّان برأسه وابتعد بين الأشجار، تتبعه دوريته. لامس قلب النَّار النّمر الرّمادي بخطمه أثناء مروره، آسفاً لرؤيته يغادر، وأدرك بأنّ الوقت لا يسمح له بقول ما يريد. فماء قائلاً: «أراك لاحقاً يا صديقي».

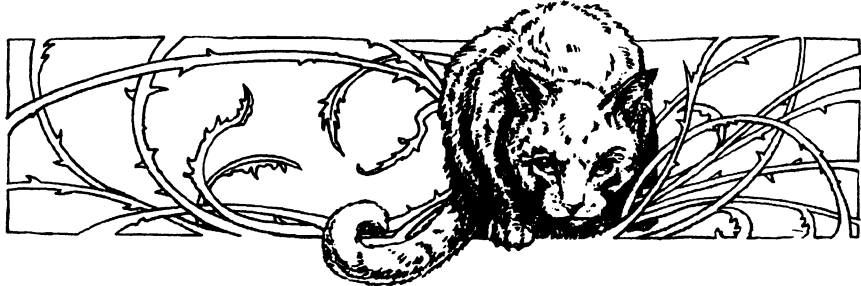
شعر بخرخرة النّمر الرّمادي تخترق فراءه الكثيف، وتمتم المحارب الرّمادي قائلاً: «إلى اللقاء».

ارتعش قلب النَّار عندما غابت الشّمس أخيراً عن الغابة. استطاع

رؤية عيني الفأرة السّمراء تلمعان في الظّلام، وقد شَنّجها الألم، ثمّ شعر
بموجة جديدة من الحزن وهو يتذكّر الثّمن الذي كلفه هجوم القطط
الشّريدة. لا بدّ أنّ جسد البرق الخاطف قد أصبح بارداً الآن. ولم تكن
هذه الوفاة المفاجئة الوحيدة التي جلبها النّمر الشّرس إلى الغابة في
ذلك اليوم.

نظر قلب النّار إلى الرّعب الأبيض وسأله: «هل يمكنك أنت والفأرة
السّمراء إعادة البرق الخاطف إلى المخيّم من دوني؟».
زَمّ المحارب الأبيض عينيه بفضول لكنّه لم يقل شيئاً، بل أجاب
بإيماءة من رأسه.

انتفضت أذنا قلب النّار وهو يقول: «سألحق بكما بعد قليل. فثمّة
أمر عليّ فعله أولاً».



الفصل 17



عاد قلب النار بقلب مثقل إلى درب الرّعد. كانت رائحة النّمر الشّرس والقطط الشّريدة لا تزال ثقيلة في الهواء، لكنّه لم يسمع أيّ أصوات سوى زقزقة العصافير وهمسات النّسيم عبر أوراق الشّجر. في الهدوء الذي تلا المعركة، لاحظ مدى قوّة رائحة عشيرة الظّلال المختلطة بالروائح الأخرى. هل كان ثمة قطط أخرى من العشيرة غير الطّوق الأبيض بين القطط الشّريدة؟ تساءل أيضاً عمّا إذا كان المرض المتشتر في مخيم عشيرة الظّلال قد تفاقم إلى حدّ دفع محاربي العشيرة لفرض المنفى على أنفسهم والانضمام إلى عصبة النّمر الشّرس من المنبوذين طلباً للحماية. إمّا ذلك أو أنّ الرّائحة كانت تهبّ ببساطة من الأرض الواقعة على الطّرف الآخر من درب الرّعد.

حدّق قلب النار إلى جسد المحارب الأبيض والأسود الملقى على المسار الرمادي الصّلب. إذا كان الطّوق الأبيض قد انضمّ إلى القطط الشّريدة لأنّ المرض استبدّ بعشيرته ولم تعد قادرة على دعمه، فهذا لا يفسّر نظرة الرّعب التي علت وجهه عندما رأى النّمر الشّرس. لماذا شعر الطّوق الأبيض بالذّعر إن كان النّمر الشّرس زعيمه الآن؟ بشعور من الذّنب، تساءل قلب النار فجأة عمّا إذا كان الطّوق الأبيض قد عثر

على جثة البرق الخاطف عن طريق الصدفة، بعد أن شنّ النمر الشرس هجومه على دورية عشيرة الرعد. لكن ماذا كان يفعل في أراضي عشيرة الرعد؟ وأين النمر الصغير؟ كانت الأسئلة التي عصفت برأسه كثيرة جداً، ولم يجد لأيّ منها إجابات منطقية.

أمر واحد كان مؤكّداً: لا يستطيع قلب النار ترك جثة الطوق الأبيض تتعرّض لصدمات الوحوش المتتالية على درب الرعد. كان الدرب هادئاً الآن، فعبّره إلى الوسط، وقبض بأسنانه على عنق المحارب. سحب بلطف إلى الحافة على الطرف الآخر، على أمل أن يجده أبناء عشيرته قريباً ويدفنوه بشكل مشرف. في النهاية، أيّاً يكن ما فعله أو لم يفعله الطوق الأبيض، فإنّ عشيرة النجوم هي التي ستحاكمه الآن.

عندما دخل قلب النار مخيم عشيرة الرعد المغمور بضوء القمر، كانت جثة البرق الخاطف ممدّدة في وسط الفسحة. بدا هادئاً، وكأنه نائم. كانت نجمة الصباح تدور حول جثة المحارب، ورأسها الزمادي العريض يتمايل من جانب إلى آخر.

تراجع بقية أفراد العشيرة إلى الظلال على أطراف الفسحة، في جوّ مثقل بالحزن. راحوا يتنقلون بصمت بين بعضهم البعض، وينظرون بقلق إلى زعيمهم وهي تروح وتجيء وتمتم في سرّها. لم تحاول حتى السيطرة على حزنها، كما فعلت ذات مرة. تذكّر قلب النار كيف حزنّت بصمت على صديقها القديم ونائبها، قلب الأسد، منذ عدّة أشهر. أمّا الآن، فلم تحاول أن تكبت شيئاً من حزنها.

أحسّ بأفراد العشيرة يراقبونه وهو يقترب من زعيمهم. نظرت نجمة الصباح إلى الأعلى، وذُعر عندما رأى عينيها وقد طغى عليهما

الخوف والصدمة.

قالت بصوت خشن: «يقولون إنّ النمر الشرس هو من فعل ذلك». «قد يكون أحد القطط الشريفة».

«كم كان عددهم هناك؟».

أقرّ قلب النار: «لا أدري». كان من المستحيل عدّهم في خضمّ المعركة. «كانوا كثيراً».

بدأت تهزّ رأسها مجدداً، لكنّ قلب النار عرف أنّ عليه إخبارها بكلّ شيء، سواء أرادت معرفة ما حدث في الغابة أم لا. «يريد النمر الشرس الانتقام من عشيرة الرعد. قال لي إنه سيقتل محاربينا واحداً تلو الآخر».

خلفه، انفجرت العشيرة في مواء مذعور. تركهم قلب النار ينتحبون، وبقي نظره مثبتاً على نجمة الصّباح. شعر أنّ قلبه يرفرف بين أضلاعه مثل طائر محاصر وهو يتوسّل عشيرة النجوم لمنحها القوّة للتعامل مع هذا التهديد الصّريح. خيّم الصّمت تدريجياً على العشيرة، وانتظر قلب النار معهم أن تتحدّث نجمة الصّباح. زعقت بومة في البعيد وهي تهبط بين الأشجار.

أخيراً، رفعت نجمة الصّباح رأسها وتمتت بهدوء شديد، بحيث لم يسمعها أحد سوى قلب النار: «إنه يريد قتلي أنا وحسب، من أجل العشيرة-»

أجاب قلب النار وهو يقاطعها: «كلّا!». هل كانت نجمة الصّباح تنوي حقاً تسليم نفسها للنمر الشرس؟ «يريد الانتقام من العشيرة بأكملها، وليس منك أنت وحدك!».

خفضت رأسها وهست قائلة: «أيّ خيانة هذه! كيف يعقل ألاّ

أكتشف خيائته عندما كان بيننا؟ كم كنت حمقاً!». هزّت رأسها وأغلقت عينيها مضيئة: «حمقاء وساذجة!».

ارتجفت أكفّ قلب النار. إذ يبدو أنّ نجمة الصّباح كانت مصمّمة على تعذيب نفسها بتحمّل كامل المسؤولية عن مكر النمر الشرس. وأدرك مجفلاً أنّه سيتعين عليه تولّي زمام الأمور بنفسه.

«يجب أن نضمن حراسة المخيم ليل نهار من الآن فصاعداً. أيّها النمر الذّيال». نظر إلى المحارب المخطّط مضيئاً: «ستحرس المخيم حتّى علوّ القمر». ثمّ التفت إلى بياض الثلج. «وأنت ستتولّى الحراسة من بعده». أوماً الهزّان برأسيهما، وأحنى قلب النار رأسه باتجاه جثة البرق الخاطف. «ستقوم الفأرة السّمراء والفراء الأشقر بدفن البرق الخاطف عند الفجر. وستسهر نجمة الصّباح بجانبه حتّى ذلك الحين». نظر إلى زعيمته التي كانت تحدّق إلى الأرض بشرود، وتمنّى أن تكون قد سمعته.

ماء الرّعب الأبيض قائلاً: «وأنا سألازمها». شقّ المحارب الأبيض طريقه عبر حشد القطط، وجلس بجانب نجمة الصّباح، وضغط فراءه على فرائها.

تقدّم أفراد العشيرة واحداً تلو الآخر لوداع صديقهم. خرجت غصن الصّفصاف من الحضانة ولا مست المحارب الميت بلطف بخطمها، هامسة بوداع حزين. تبعثها زهرة الذهب، وأشارت إلى صغارها للبقاء في الخلف. اقشعرّ جسد قلب النار عندما رأى البسبوس الدّاكن المخطّط يسترق النّظر بفضول من وراء أمّه. وشعر رغماً عنه أنّ هذا البسبوس، مهما يكن بريئاً، إلّا أنّه يَبْقِي خطر النمر الشرس حيّاً في العشيرة. غير أنّه صرف الفكرة عن ذهنه عندما شاهد زهرة الذهب وهي تعلق بلطف

خذ البرق الخاطف. عليه أن يثق أنها هي وأفراد العشيرة سيقومون بتربية الصغير ليصبح محارباً أكثر صدقاً وولاء من أبيه.

عندما ابتعدت زهرة الذهب، تقدّم قلب النّار إلى الأمام وانحنى ليلعق فراء البرق الخاطف الباهت، ثمّ وعده بصوت خافت: «سأنتقم لموتك».

عندما تراجع مبتعداً، رأى هزاً يخطو إلى الأمام من ظلّ الصخرة العالية. إنه النمر الأسود. شاهد قلب النّار نظره وهو ينتقل من البرق الخاطف إلى نجمة الصّباح ومن ثمّ إليه، وعيناه تمتلئان ليس بالخوف أو الحزن، بل بإمارات التّفكير العميق.

باضطراب، توجه قلب النّار إلى المكان الوحيد الذي يعرف أنّه سيجد فيه الرّاحة. فمشى بين نباتات الخنشار إلى وكر جمرة، وكانت العضّات والخدوش قد بدأت تسبّب له الألم بقدر أشواك الشكّ الحادة التي تقلق فكره.

جلس بسّ الشوك في الفسحة الممهّدة، وجثمت فراء الرّماد وجمرة بجانبه بينما رفع كفّه لتتفحصها. أزال فراء الرّماد كتلة من خيوط العنكبوت عن كفّه، الأمر الذي جعله يكشفُ ألماً. قالت الهرة المداوية المبتدئة: «ما زالت تنزف».

صاحت جمرة: «كان ينبغي أن يتوقّف النزف، نحن بحاجة إلى تجفيف هذا الجرح قبل أن يصاب بالعدوى».

زمت فراء الرّماد عينيها قائلة: «لدينا سويقات ذيل الحصان التي جمعتها بالأمس. ماذا لو قمنا بتقطير بعض الخلاصة على خيوط العنكبوت قبل أن نربطها بكفّه؟ فمن شأن ذلك أن يوقف النزف».

خرخرت جمرة قائلة: «فكرة جيّدة». استدارت الهرة المداوية

المسنة على الفور وأسرعت إلى وكرها، بينما كانت فراء الرّماذ تضغط على جرح بسّ الشّوك بكفّها. عندها فقط لمحت قلب النّار الواقف في مدخل النّفق.

ظهر القلق في عينيها الزّرقاوين وهي تموء قائلة: «قلب النّار! هل أنت بخير؟».

أجاب وهو يتقدّم للانضمام إليهما: «قليل من الخدوش، وعضة أو اثنتان وحسب».

ماء بسّ الشّوك وهو يلوي رأسه لينظر إلى قلب النّار: «سمعت أن القطط الشّريدة هي التي هاجمتنا، وأن النمر الشّرس كان معهم، أهذا صحيح؟».

أجابه قلب النّار بجديّة: «إنّه صحيح».

نظرت فراء الرّماذ إلى قلب النّار، ثمّ هزّت كفّ المبتدئ الأشقر.

«هيا، اضغط هنا».

ماء بسّ الشّوك بدهشة: «أنا؟».

«إنّه كفّك! أسرع، وإلا سيتعيّن عليّ تغيير اسمك إلى بلا كفّ».

رفع بسّ الشّوك كفّه عالياً وثبّت فكّه بعناية حول الجرح.

قالت فراء الرّماذ بهدوء لقلب النّار: «لم يكن يجدر بنجمة الصّباح السّماح للنمر الشّرس بمغادرة العشيرة مطلقاً. كان ينبغي عليها أن تقتله عندما أتيحت لها الفرصة».

هزّ قلب النّار رأسه مجيباً: «ما كانت لتقتله قطّ بدم بارد، أنت تعلمين ذلك».

لم تجادله فراء الرّماذ بل قالت: «لماذا عاد الآن؟ وكيف أمكنه قتل المحارب الذي قاتل بجانبه ذات مرّة؟».

ماء بحزن مجيباً: «لقد أخبرني أنه ينوي قتل أكبر عدد ممكن منا». أطلق بسّ الشوك مواء مكتوماً، واهتزّ شارباً فراء الرّماد من الصدمة. سألت الهرة المداوية الشابة: «ولكن لماذا؟».

شعر قلب النّار أنّ عينيه تلمعان غضباً وهو يجيب: «لأنّ عشيرة الرّعد لم تعطه ما يريد».

«وماذا كان يريد؟».

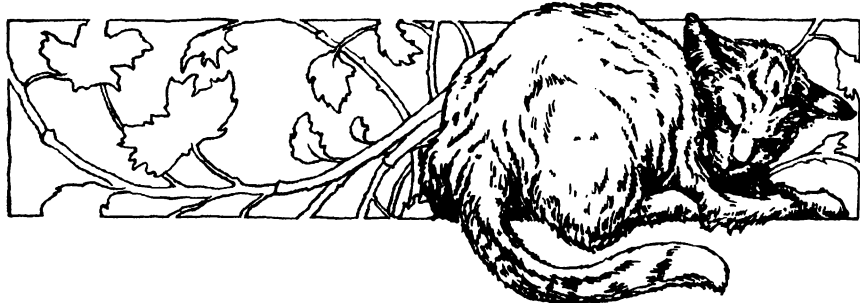
أجاب قلب النّار ببساطة: «أن يصبح زعيماً».

«حسناً، لن يصبح زعيماً بهذه الطّريقة أبداً. فمن الصّعب أن يحظى بشعبية بين أبناء العشيرة إذا بدأ بمهاجمة دورياتنا على هذا النحو».

ومض الشكّ في قلبه عند سماع كلام فراء الرّماد الواصل. كانت نجمة الصّباح ضعيفة جداً، لكنّ من الذي يتمتّع بالقوّة الكافية ليحل محلّها إذا ما... أجفل قلب النّار. كان يعرف مدى خوف العشيرة من الهَرّ الضّخم وقططه الشّريدة. بالتالي، قد يفضلون قبول النّمر الشّرس كزعيم لهم بدلاً من السّماح بدمار عشيرة الرّعد وهم يقاتلونه. سألتها: «هل تظنّين ذلك حقّاً؟».

استدار الثلاثة في وقت واحد وقد أجفلهم وقع خطوات جمرة العائدة من وكرها. تدلّت كتلة من خيوط العنكبوت من بين فكّي الهرة المداوية المسنّة. عندما وصلت، وضعتها بجانب فراء الرّماد وماءت قائلة: «ماذا تظنّين؟».

أوضحت فراء الرّماد: «أنّ النّمر الشّرس لن يصبح زعيماً للعشيرة أبداً». أظلمت عينا جمرة، ولم تنبس ببنت شفة لعدّة لحظات. أخيراً، تمتت قائلة: «أعتقد أنّ النّمر الشّرس يتمتّع بالقوّة والطّموح ليصبح ما يريد».



الفصل 18



رَدّت فراء الرّماد: «ليس ما دام قلب النّار على قيد الحياة». شعر هذا الأخير بالدّفء من ثقتها به، وكان على وشك أن يرّد عليها عندما اشتكى بسّ الشوك بصوت مكتوم: «ما زلت أنزع، كما تعلمين!». أجابت جمرة بخفة: «ليس طويلاً. خذي يا فراء الرّماد، يمكنك استخدام خيوط العنكبوت هذه بينما أعالج جروح قلب النّار». دفعت خيوط العنكبوت إلى مقربة من فراء الرّماد، وقادت قلب النّار إلى وكرها. أمرته قائلة: «انتظر هنا»، ثم اختفت في الداخل. خرجت وفمها مليء بالأعشاب الممضوغة جيداً وقالت: «والآن، أين تشعر بالألم؟». أجاب قلب النّار: «هذا هو الجرح الأسوأ»، ثم أدار رأسه ليشير إلى عضّة على كتفه.

مادت جمرة قائلة: «حسناً»، ثم بدأت تفرك بعضاً من مزيج الأعشاب بكفّها بلطف. تمتت قائلة من دون أن ترفع نظرها عمّا تفعله: «نجمة الصّباح متوتّرة جدّاً».

وافقها قائلاً: «أنا أعلم، سأنظّم مزيداً من الدّوريات في وقت واحد، فقد يهدّئ ذلك من روعها».

«قد يهدّئ ذلك من روع العشيرة أيضاً، فالجميع قلقون».

«لا بد أن يكونوا كذلك». تشنّج جسد قلب النّار عندما ضغطت
جمرة الأعشاب بقوة على جرحه.

سألته بنبرة عارضة: «كيف حال المبتدئين الجدد؟».

عرف أنّ الهزّة المداوية المسنّة تقدّم النصائح بأسلوبها الحكيم
وغير المباشر، فأجابها: «سأسرّع من وتيرة تدريبهم بدءاً من الفجر». شعر
بغصّة في حلقه وهو يفكّر في بسّ الغمام، فالعشيرة بحاجة إليه الآن أكثر
من أيّ وقت مضى. وبغضّ النّظر عن رأي المبتدئ الأبيض في قانون
المحاربين، لا يمكن لأيّ هزّ أن ينكر أنّه كان مقاتلاً شجاعاً وماهراً.
عندما توقّفت جمرة عن تدليك كتفه، ماء متسائلاً: «هل أنهيت
عملك؟».

«تقريباً. سأضع القليل على تلك الخدوش، ومن بعدهما يمكنك
الذهاب». رفّت الهزّة المسنّة عينيها الصّفراوين الواسعتين في وجهه
مضيفة: «تحلّ بالشجاعة أيّها الهزّ الشّاب. فعشيرة الرّعد تمرّ بأوقات
عصيبة، ولكن لا يمكن لأيّ هزّ أن يفعل أكثر ممّا تفعله أنت». بينما
كانت تتحدّث، دوى الرعد في البعيد مُرسلاً قشعريرة عبر فرائه، على
الرّغم من تشجيع الهزّة المداوية.

عندما عاد قلب النّار إلى الفسحة الرّئيسة، وقد تخدّرت جراحه
بأعشاب جمرة العلاجية، وجد أنّ عديداً من القطط لم يناموا بعد.
جثمت نجمة الصّباح والرّعب الأبيض والفأرة السّمراء بصمت بجوار
جثة البرق الخاطف، وكان حزنهم واضحاً في رؤوسهم المنخفضة
وأكتافهم المتوتّرة. استلقى بقية القطط في مجموعات صغيرة، وكانت
أعينهم ترفّ في الظلّ وآذانهم تنتفض بعصبية وهم يصغون إلى أصوات
الغابة.

استلقى قلب النار على طرف الفسحة، وشعر بوخز في فرائه بسبب
الجوّ الخانق. يبدو أنّ الغابة بأكملها كانت تنتظر هبوب العاصفة. تحرك
ظلّ بالقرب من طرف الفسحة، فالتفت باتجاهه. كان النمر الأسود.
أشار قلب النار بذيله إلى المحارب المخطّط لكي يقترب منه،
فتقدّم نحوه ببطء. ماء قلب النار قائلاً: «أريدك أن تقوم بدورية ثانية
بمجرد عودة دورية الفجر غداً. من الآن فصاعداً، سنرسل ثلاث دوريات
إضافية كلّ يوم، وستضمّ كلّ منها ثلاثة محاربين». نظر إليه النمر الأسود ببرود مجيئاً: «لكنني سأصطحب بسّة الريش
للتدريب صباح غد».

شعر قلب النار بوخز الغضب في فرائه، وأجابه بحدة: «إذاً، خذها
معك. ستكون تجربة مفيدة لها. فنحن بحاجة إلى تسريع تدريب
المبتدئين على أيّ حال». اهتزّت أذنا النمر الأسود، لكنّ نظرتّه ظلّت ثابتة. لمعت عيناه وهو
يتمتم مجيئاً: «أمرّك أيّها النائب».

شقّ قلب النار طريقه بسأم إلى وكر نجمة الصّباح. على الرّغم
من أنّ الشّمس لم تكن قد أشرقت تماماً بعد، إلّا أنّه كان قد خرج في
دورتين في ذلك اليوم. وينوي اصطحاب تلميذة الرّعب الأبيض، بسّة
زاهية، للصيد بعد الظهر. كانت الأيام التي تلت وفاة البرق الخاطف
مزدحمة بالعمل، وكان جميع المحاربين والمبتدئين منهكين في
محاولتهم مواكبة الدّوريات الجديدة. ومع وجود غصن الصّفصاف
وزهرة الدّهب في الحضانة، وتردّد الرّعب الأبيض في ترك زعيمته،
هذا فضلاً عن رحيل بسّ الغمام، وموت البرق الخاطف، لم يعد لدى

قلب النار الوقت الكافي للأكل والنوم.

كانت نجمة الصّباح جالسة في فراشها، وعيناها شبه مغمضتين. وللحظة، تساءل قلب النار عمّا إذا كانت قد التقطت مرض عشيرة الظلال. فقد أصبح فراؤها ملبّداً، فيما جلست بسكون هرة لم تعد قادرة على العناية بنفسها، بل تنتظر الموت بصمت.

نادى باسمها بصوت خافت: «نجمة الصّباح».

أدارت الهرة المسنة رأسها ببطء نحوه.

قال: «إننا نقوم بدوريات مستمرة في الغابة، ولا أثر للنمر الشرس وعصبته من القطط الشريفة».

أشاحت بنظرها بعيداً من دون أن تجيب. فصمت قلب النار متسائلاً عمّا إذا كانت يتعيّن عليه قول المزيد، لكنّ نجمة الصّباح سحبت كفيها أكثر تحت صدرها وأغمضت عينيها. فخفض رأسه بإحباط، وغادر الكهف.

بدت الفسحة المضاءة بنور الشّمس هادئة للغاية بحيث صعب التصديق أنّ العشيرة تواجه أيّ مخاطر. كان الفراء الأشقر يلعب مع صغار غصن الصّفصاف خارج الحضانة، ويحرّك ذيله لمطاردتهم، بينما استراح الرّعب الأبيض في الظلّ تحت الصّخرة العالية. وحدهما أذنا المحارب الأبيض المرفوعتين باتّجاه وكر نجمة الصّباح كشفتا الضّغط الذي كان يلقي بثقله على العشيرة.

حدّق قلب النار من دون حماس إلى كدسة الطرائد الطازجة المتزايدة. شعر أنّ بطنه ضيقة ومجوّفة، لكنّه لم يتخيّل أنّه قادر على ابتلاع أيّ شيء. لمح عاصفة الرّمال وهي تأكل قطعة من الفرائس. كان فراؤها البرتقالي الأنيق متعة غير متوقّعة للنظر، وفجأة تذكر رغماً عنه كم

استمتع بصحبته عندما خرجا للصيد مع بسّة زاهية. هذه الفكرة فتحت شهيتّه، فزمجرت بطنه ترقباً للمطاردة. سوف يترك الفرائس الطازجة ليتشاركها الآخرون.

في تلك اللحظة، هرولت بسّة زاهية إلى المخيم خلف الفأرة السّمراء وبياض الثلج والذّيل الأتر. كانوا يحملون الطّحالب المشبعة بالماء لإناث الحضانة والمسنّين. حملت بسّة زاهية حزمته المبلّلة إلى وكر نجمة الصّباح وبدا الاستحسان في عينيّ الرعب الأبيض.

نادى قلب النّار عاصفة الرّمال قائلاً: «لقد وعدتني أن تصطادي لنا أرنباً عندما أطلب منك ذلك. هل أنت مستعدّة للصيد معنا أنا وبسّة زاهية؟».

نظرت إليه، وأشرقت عيناها الخضراوان برسالة غير معلنة جعلت فراء قلب النّار يتوهّج بدفء أكبر من ذاك الذي يمكن أن ترسله أشعة الشّمس. هتفت قائلة: «حسناً»، وابتلعت بسرعة آخر لقمة من الطّعام. كانت لا تزال تعلق شفّتيها وهي تهرول نحو قلب النّار.

انتظرا جنباً إلى جنب وصول بسّة زاهية، وعلى الرّغم من أنّ فراءهما تلامس بالكاد، إلّا أنّ قلب النّار أحسّ بقشعريرة تسري فيه. سأل بسّة زاهية بمجرد خروجها من وكر نجمة الصّباح: «هل أنت جاهزة للصيد؟».

مادت باستغراب: «الآن؟».

«أعلم أنّ الوقت لا يزال مبكراً، ولكن يمكننا المغادرة الآن إن لم تكوني متعبة جدّاً».

هزّت بسّة زاهية رأسها نافية، وأسرعت تلحق بقلب النّار وعاصفة الرّمال وهما يتسابقان عبر نفق القندول، إلى داخل الغابة.

لحق قلب النار بعاصفة الرمال إلى أعلى الوادي مع بسّة زاهية في أعقابها. دخل الغابة خلفها منبهرًا بعضلاتها التي تتحرّك بسلاسة تحت فرائها الأشقر.

كان يعلم أنّها متعبة بلا شكّ مثله، لكنّها واصلت التقدّم بسرعة عبر الشجيرات، بأذنيها المرفوعتين وأنفها المفتوح.

هست فجأة، وخفضت جسدها إلى وضعيّة الصيد: «أعتقد أنّنا وجدنا واحداً!». فتحت بسّة زاهية فمها لتستّم الهواء، بينما وقف قلب النار ساكناً يراقب عاصفة الرمال وهي تتقدّم بصمت بين الأجمات. كان بإمكانه اشتمام رائحة الأرنب وسماعه وهو يتنفس بين الأعشاب خلف أجمة سرخس. انطلقت عاصفة الرمال فجأة إلى الأمام، وأصدرت الأوراق حفيفاً وهي تمرّ بينها. سمع قلب النار قائمتي الأرنب الخلفيتين وهما ترتطمان بالأرض فجأة أثناء محاولته الهرب. فترك بسّة زاهية خلفه، وقفز بشكل غريزي، ملتفّاً حول أغصان السرخس، وراح يطارده بين الشجيرات وعلى أرض الغابة أثناء فراره من مخالب عاصفة الرمال الحادة. قضى عليه بعضّة قويّة واحدة، وتلفّظ بصلاة شكر صامتة لعشيرة النجوم التي ملأت الغابة بالفرائس، حتّى لو لم يهطل المطر منذ مدّة طويلة. فالعاصفة التي أنذر بها الرعد قبل بضع أمسيات لم تهبّ بعد، وكان الهواء جافاً وخانقاً كالعادة.

توقّفت عاصفة الرمال بجانب قلب النار بينما كان رابضاً فوق الأرنب، واستطاع سماعها وهي تلهث. كانت أنفاسه هو أيضاً تخرج في شهقات متلاحقة.

مادت قائلة: «شكراً لك. إنني بطيئة بعض الشيء اليوم». أقرّ قلب النار: «وأنا أيضاً».

ماءت بلطف: «أنت بحاجة إلى الراحة».

«جميعنا كذلك». شعر قلب النار بدفء نظرة عينيها الخضراوين.

«لكنك كنت أكثر انشغالاً من الجميع».

«كان ثمة الكثير لإنجازه». حمل نفسه على المتابعة قائلاً: «ولم أعد

مجبراً على إنفاق الوقت في تدريب بسّ الغمام».

كانت خسارة بسّ الغمام تقض مضجعه على نحو متزايد. فقد كان

يمني نفسه بأن يجد الهزّ الشاب بمفرده طريق العودة إلى المخيم، لكن

لم يظهر له أثر منذ أن حمّله الوحش بعيداً. فبدأ يفقد الأمل في رؤية

تلميذه مجدداً، وإدراكه أنه خسر تلميذين - فراء الرماد وبسّ الغمام -

كان يمزق عقله كالأسواك. كيف يمكنه أن يتحمّل مسؤوليات النائب

ما دام عاجزاً عن القيام بواجباته كمدرب؟ هكذا، ومن خلال تولّي عدد

من الدوريات ومهامّ الصيد أكثر من أيّ هزّ آخر، عرف قلب النار أنه كان

يحاول إثبات نفسه لبقية العشيرة، وإبعاد شكوكه حول قدراته كمحارب.

يبدو أن عاصفة الرمال استشعرت قلقه. «أعلم أنه ثمة الكثير لفعله.

ربّما أمكنني تقديم مزيد من المساعدة». نظرت إليه، وشعر بمرارة عابرة

في مواءها وهي تضيف: «ففي النهاية، أنا أيضاً لا أملك تلميذاً».

لا بدّ أن رؤية الفراء الأغبر مع بسّ أرقش قد وخزت كبرياءها،

وهذا ما جعله يشعر بالذنب. بدأ يقول: «أنا آسف...». لكن التعب طغى

على تفكيره، وأدرك بعد فوات الأوان أن عاصفة الرمال لا تعرف أنه

هو من اختار المدربين. لا شك في أنها افترضت، شأنها شأن بقية أفراد

العشيرة، أن نجمة الصباح هي التي اتّخذت القرار.

حدّقت إليه عاصفة الرمال محتارة. «آسف بشأن ماذا؟».

اعترف قائلاً: «لقد طلبت منّي نجمة الصّباح اختيار مدربين لبسة

الريش وبس أرقش، فاخترت الفراء الأغبر بدلاً منك». بحث بقلق في وجهها عن أي أثر للانزعاج، لكنها نظرت إليه بثبات.

تابع يوضح بيأس: «سوف تصبحين مدرّبة عظيمة يوماً ما، لكن كان عليّ اختيار الفراء -»

هزّت كتفيها وقالت: «لا بأس، أنا متأكّدة من أنّه كانت لديك أسبابك». كانت نبرتها عادية، لكنّ قلب النّار لاحظ الفراء الذي اقشعرّ على طول عمودها الفقري. ساد صمت غريب بينهما، إلى أن خرجت بسّة زاهية من بين الشّجيرات خلفهما.

سألتهما وهي تلهث: «هل تمكّنتما منه؟».

فجأة أدرك قلب النّار كم بدت المبتدئة متعبة، وتذكّر كم كان يجد صعوبة في مواكبة المحاربين الأكبر منه حجماً والأكثر قوّة عندما كان تلميذاً. دفع الأرنب الميت بأنفه نحو بسّة زاهية وعرض عليها قائلاً: «تفضّلي، تناولي أنت اللقمة الأولى. فقد كان ينبغي أن أمنحك الوقت للأكل قبل أن تغادر المخيم».

بينما بدأت بسّة زاهية بتناول الطّعام بامتنان، التقى نظره بنظر عاصفة الرّمال، فاقترحت عليه بتشكّك: «ربّما يمكنك أن تأمر بإرسال عدد أقلّ من الدّوريات؟ فالجميع متعبون للغاية، ولم نر أثراً للنمر الشّرس منذ وفاة البرق الخاطف».

شعر قلب النّار بوخزة ندم. كان يعلم أنّها لا تصدّق هي نفسها كلامها المفعم بالأمل. فكلّ أفراد عشيرة الرّعد يعرفون أنّ النمر الشّرس لن يستسلم بهذه السّهولة. وقد رأى قلب النّار التوتّر ظاهراً على أجساد المحاربين النّحيلة أثناء قيامهم بالدّوريات معه، إذ كانت آذانهم مرفوعة دائماً، وأفواههم مفتوحة لالتقاط أيّ أثر للخطر في الهواء. شعر أيضاً

بإحباطهم المتزايد تجاه زعيمتهم، التي يحتاجون إليها أكثر من أي وقت مضى لتوحيد العشيرة ضدّ هذا التهديد غير المرئي. لكنّ نجمة الصّباح بالكاد غادرت وكرها منذ ليلة مقتل البرق الخاطف.

قال لها: «لا يمكننا الحدّ من عدد دورياتنا، فنحن بحاجة إلى أن نكون على أهبة الاستعداد».

مئات بسّة زاهية وهي ترفع نظرها عن وجبتها: «هل تعتقد حقاً أنّ النمر الشّرس سيقتلنا؟».

«أعتقد أنّه سيحاول».

«وما رأي نجمة الصّباح؟» جازفت عاصفة الرّمال بطرح هذا السؤال.

«إنّها قلقة بالطّبع». كان قلب أنّ جوابه يتّسم بالمرأوغة. فوحدهما هو والرّعب الأبيض يعرفان أنّ النمر الشّرس أرجع بظهوره مجدداً نجمة الصّباح إلى ذلك المكان المظلم والمليء بالعذاب الذي كانت فيه بعد أن حاول المحارب الغدّار قتلها.

مئات عاصفة الرّمال: «إنّها محظوظة لامتلاكها نائباً جيّداً مثلك. فكلّ أفراد العشيرة يثقون بك لتنفذنا من هذا الخطر».

أشاح قلب النّار بنظره رغماً عنه. فهو يُدرك جيّداً الطّريقة التي ينظر بها بقيّة أفراد العشيرة إليه مؤخّراً، بمزيج من الأمل والترقب. شعر بالفخر لكسبه احترامهم، لكنّه كان يعلم أنّه شابّ ويفتقر إلى الخبرة، كما كان يتوق إلى التمتّع بإيمان الرّعب الأبيض الرّاسخ بالمصير الذي رسمته لهم عشيرة النّجوم. وأمل أن يكون جديراً بثقة العشيرة. وعدها قائلاً: «سأبذل قصارى جهدي».

تمتت قائلة: «لا يمكن للعشيرة أن تطلب أكثر من ذلك».

نظر إلى الأرنب قائلاً: «فلننه هذه الوجبة ونجد شيئاً آخر لناخذه إلى المخيم».

عندما أكل الثلاثة، تحرّكوا باتجاه الأشجار الأربع. مشوا من دون أن يتكلّموا، وحرصوا على عدم كشف وجودهم في الغابة لأيّ أعين يحتمل أن تراقبهم. فوجود النمر الشرس في الجوار، شعر قلب النّار أنّ قطط عشيرة الرّعد كانوا صيادين وفرائس في آن.

تسلّلت إلى أنفه رائحة هرّ غير مألوفة عندما اقتربا من المنحدر المؤدي إلى الأشجار الأربع، فشعر بفرائه يقشعر. ومن الواضح أنّ عاصفة الرّمال اشتمّت الرائحة هي الأخرى، لأنّها تجمّدت، وقوّست ظهرها، وشدّت عضلاتها.

همس قلب النّار: «أسرعا إلى هناك، في الأعلى!». تسلّق بمخالبه شجرة جمّيز. تبعته عاصفة الرّمال وبسة زاهية، وجثم الثلاثة على أدنى غصن لإلقاء نظرة على أرض الغابة.

رأى قلب النّار ظلاً أسود ونحياً يسير بين نباتات الخنشار. برزت أذنان سوداوان فوق الأوراق، وحرك شيء ما في شكلهما ذكرى بعيدة، لكنّها ليست مزعجة. أهو هرّ من العشائر الأخرى سبق أن قدّم لهم المساعدة؟ لكن بوجود النمر الشرس الشرير الذي يحيك المؤامرات في الغابة، لم يعد ثمة طريقة لمعرفة القطط الذين يمكن الوثوق بهم. فكلّ الغرباء أصبحوا أعداء.

استلّ قلب النّار مخالفه، استعداداً للانقضاض. بجانبه، ارتجفت عاصفة الرّمال بترقب، بينما حدّقت بسة زاهية إلى الأسفل، وقد توتّرت كتفاها الصغيرتان. بينما كان الهرّ الغريب يسير تحت شجرة دردار، أطلق قلب النّار عواءً عالياً وانقضّ على ظهره.

صاح الهَرّ الأسود من شدة المفاجأة وتدحرج، موقعاً قلب النار على الأرض. فقفز قلب النار برشاقة على أكفّه. كان قد شعر بحجم وقوة هذا الهَرّ عندما انقضّ عليه، وأدرك أنه سيكون من السهل طرده. واجه الهَرّ مقوَّساً ظهره، وأصدر هسهسة تحذيرية. في تلك اللحظة، قفزت عاصفة الرمال من الشجرة، وتبعتها بسنة زاهية، ورأى قلب النار عيني الهَرّ السوداوين تتسعان ذعراً عندما لاحظ عددهم. غير أن كتفي قلب النار كانتا قد استرختا أساساً. فقد كانت غريزته الأولية صحيحة، إنه يعرف هذا الدّخيل. ومن التعابير التي علت وجه الهَرّ، والتي تحوّلت من الذعر إلى الارتياح فجأة، بدا واضحاً أن الدّخيل قد تعرّف على قلب النار أيضاً.



الفصل 19



«بسّ أدهم!». اندفع قلب النّار إلى الأمام ليرحّب بصديقه القديم بدغدغة من من أنفه.

«كم أنا سعيد برؤيتك يا قلب النّار!» دفعه بسّ أدهم بخطمه هو الآخر والتفت إلى عاصفة الرّمال. «ألست بسّة الرّمال؟». صحّحت له الهرة الشقراء بحدّة: «بل عاصفة الرّمال!».

«بالطبع. آخر مرّة رأيتك فيها، كنت بنصف حجمك!» زمّ الهزّ الأسود عينيه قائلاً: «وكيف حال بسّ أغبر؟».

فهم قلب النّار نبرة بسّ أدهم الحذرة. فقد تدرب هو وعاصفة الرّمال والفراء الأغبر في الوقت نفسه، وكانا يرونه كمنافس أكثر منه زميلاً في الوكر. وعندما هرب بسّ أدهم من مدرّبه، النمر الشرس، وذهب للعيش في أراضي ذوي السّاقين خلف المرتفعات، لم يحزن لا بسّ أغبر ولا بسّة الرّمال لرحيله. وشكّ قلب النّار في احتمال أن يكون بسّ أدهم قد اشتاق إليهما هو الآخر.

هزّت عاصفة الرّمال كتفيها مجيبة: «الفراء الأغبر بخير وهو يقوم بتدريب تلميذ الآن».

سألها بسّ أدهم وهو ينظر إلى بسّة زاهية: «وهل هذه تلميذتك؟».

شعر قلب النار بأذنيه تنتفضان بينما أجابت عاصفة الرمال باقتضاب:
«ليس لديّ تلامذة بعد. هذه تلميذة الرعب الأبيض، واسمها بسّة زاهية». دابع نسيم دافئ الأوراق على قمم الأشجار. فنظر قلب النار إلى مصدر الصوت في الأعلى. هذا اللقاء غير المتوقع شتّت تفكيره وألهاه عن الحراسة. فقام بمسح الشجيرات بحذر عندما تذكر التهديد المتمثل في النمر الشرس وعصبته من القطط الشريدة، ثمّ سأل بإلحاح: «ماذا تفعل هنا يا بسّ أدهم؟».

كان بسّ أدهم يتفحص عاصفة الرمال بفضول بعينه الكهرمانيتين، فأدار رأسه مجيباً: «كنت أبحث عنك».

«حقّاً؟ ولماذا؟». عرف قلب النار بأنّ الأمر لا بدّ أن يكون مهماً ليعود بسّ أدهم إلى الغابة. كان الهزّ الأسود الشاب يعيش في خوف دائم بعد أن شهد بالصدفة مقتل ذيل الأرجوان على يد النمر الشرس، نائب عشيرة الرعد. وعندما حاول هذا الأخير قتل بسّ أدهم أيضاً، لإسكاته، ساعد قلب النار والنمر الرمادي صديقهما على الهرب. والآن، يعيش بسّ أدهم في مزرعة ذوي الساقين مع بربر، وهو هزّ وحيد آخر، لم يكن لا بسبوساً أليفاً ولا هزّ غابة. ولا بدّ أن يكون السبب الذي دفع بسّ أدهم للعودة إلى أراضي عدوّه القديم وجيهاً للغاية. ففي النهاية، لم يكن لديه علم بأنّ خيانة النمر الشرس قد كُشفت للعلن وأنّه طُرد من عشيرة الرعد. ما يعلمه بسّ أدهم، أنّ النمر الشرس لا يزال نائباً.

لوح بسّ أدهم بذيله باضطراب وقال: «لقد أتى هزّ للعيش على أطراف أرضي».

حدّق قلب النار إليه بحيرة، فيما حاول بسّ أدهم أن يشرح: «وجدته بينما كنت أصطاد. كان خائفاً وتائهاً، ولم يقل الكثير، لكنّ رائحة عشيرة

الزّعد كانت تفوح منه».

ردّد قلب النّار: «عشيرة الزّعد؟».

«سألته ما إذا كان قد أتى عبر المرتفعات، لكن لا يبدو أنّ لديه أيّ فكرة عن مكان وجوده. لذا أعدته إلى وكر ذوي السّاقين الذي قال إنّه يعيش فيه».

«إذاً، هل كان بسبوساً أليفاً؟». كانت عاصفة الرّمال تحدّق باهتمام إلى الهزّ الأسود. «هل أنت واثق من أنّك اشتيمت رائحة عشيرة الزّعد؟». أجابها بسّ أدهم: «لن أنسى الرّائحة التي ولدت فيها. ولا يشير شكله إلى أنّه بسبوس أليف عاديّ. في الحقيقة، لم يبد سعيداً على الإطلاق بعودته إلى ذوي السّاقين».

لمع بصيص من الحماسة في عيني قلب النّار، لكنّه أجبر نفسه على التزام الصّمت حتّى أنهى بسّ أدهم قصّته.

«لم أستطع أن أنسى رائحته، لذا عدت إلى وكر ذوي السّاقين لأتحدّث إليه مجدّداً، لكنّه كان محبوساً في الدّاخل. حاولت أن أكلّمه من النّافذة، ولكنّ ذا السّاقين طردني».

شعر قلب النّار بعاصفة الرّمال تنظر إليه بحدّة. «وما لون هذا الهزّ؟». أجاب بسّ أدهم: «أبيض، فراؤه أبيض وكثيف».

«لكن... يبدو أنّه يشبه بسّ الغمام!». كانت بسّة زاهية هي التي تكلمت. ماء بسّ أدهم قائلاً: «أنتم تعرفونه إذاً؟ هل كنت محقّقاً؟ هل ينتمي إلى عشيرة الزّعد؟».

بالكاد سمع قلب النّار كلام بسّ أدهم. كان بسّ الغمام بخير! بدأ يدور حول صديقه القديم، وأكفّه تخزه بفرح وارتياح. «أهو بخير؟ ماذا قال؟».

«ح-حسناً»، تلعثم بسّ أدهم، وهو يدير رأسه ليتبع بنظره قلب النار الذي يدور حوله. «كما قلت، عندما التقيت به في البداية بدا لي تائهاً تماماً».

«هذا ليس مستغرباً، فهو لم يغادر أراضي عشيرة الرّعد قطّ». دار قلب النار بصبر نافذ حول عاصفة الرّمال وبسّة زاهية. «كما أنّه لم يقم برحلته إلى الأحجار العالية بعد. ومن المستحيل أن يعرف أنّه كان قريباً جداً من الدّيار».

أومأت عاصفة الرمال برأسها موافقة، بينما علّق بسّ أدهم قائلاً: «هذا يفسّر سبب امتعاضه. لا بدّ أنّه كان يعتقد-»

«امتعاضه؟» توقّف قلب النار عن المشي. «لماذا؟ هل كان مصاباً؟». ماء بسّ أدهم بسرعة: «لا، لا، لكنّه بدا بائساً حقّاً. ظننت أنّه سيستهج عندما أرشده إلى طريق العودة إلى وكر ذوي السّاقين، لكنّه بقي حزيناً. ولهذا السّبب جئت أبحث عنك».

نظر قلب النار إلى أكفّه، ولم يعرف بماذا يفكر. أدرك أنّه كان يأمل أن يكون بسّ الغمام سعيداً في حياته الجديدة، حتّى لو لم يره قلب النار مجدّداً.

رفّ بسّ أدهم عينيه بتردد ثمّ سأل قائلاً: «هل أصبتُ بقدومي إلى هنا؟» هل تمّ... أوه... نفي بسّ الغمام من العشيرة؟».

نظر قلب النار بحدّة إلى بسّ أدهم. لقد خاطر الهزّ الأسود بحياته بالمجيء إلى هنا، وكان مديناً له بتفسير، فقال له: «لقد سرق ذوو السّاقين بسّ الغمام من الغابة. كان تلميذي وابن أختي. وقع الحادث منذ ربع قمر، و... وبدأت أظنّ أنّي لن أراه مجدّداً».

نظرت عاصفة الرّمال باستغراب إلى قلب النار. «وما الذي يدفعك

للظنّ أنّك ستراه مجدّداً؟ إنّهُ يعيش في أراضي بسّ أدهم مع ذوي السّاقين».

أعلن قلب النّار: «سأذهب وأحضره!».

«تذهب وتحضره؟ لماذا؟».

«ألم تسمعي ما قاله بسّ أدهم؟ إنّهُ ليس سعيداً هناك!».

«هل أنت واثق من أنّه يريدك أن تنقذه؟».

ردّ قلب النّار: «أما كنتِ لترغبني بالشيء نفسه؟».

أشارت عاصفة الرّمال بحدّة: «ما كنت لأحتاج إلى الإنقاذ. ما كنت

لأتناول طعام ذوي السّاقين من الأساس».

صدرت خرخرة ذهول عن بسّ أدهم، لكنّ الهزّ الأسود لم يقل

شيئاً.

قالت بسّة زاهية: «سيكون من الجيّد لو يعود إلى الوكر»، لكنّ قلب

النّار بالكاد سمعها. حدّق مجدّداً إلى عاصفة الرّمال، وانتصب فراء عنقه

غضباً.

قال بحدّة: «هل تظنّين أنّ بسّ الغمام يستحقّ أن يُترك هناك، حزيناً

ووحيداً، لمجرّد أنّه ارتكب حماقة؟».

شخرت عاصفة الرّمال بنفاد صبر. «ليس هذا ما قلّته، لكنّك لا

تعرف على وجه اليقين ما إذا كان يريد العودة».

أصرّ قلب النّار: «قال بسّ أدهم إنّهُ بدا بائساً». ولكن حتّى وهو

يتحدّث، ومض الشكّ في ذهنه. ماذا لو كان بسّ الغمام قد اعتاد على

حياة البسبوس الأليف الآن؟

التفتت عاصفة الرّمال إلى بسّ أدهم قائلة: «لقد تحدّث بسّ أدهم

معه لمرة واحدة وحسب. هل بدا منزعجاً عندما رأيته من خلال نافذة

ذوي الساقين؟».

ارتعش شاربا بسّ أدهم بانزعاج. «من الضّعب القول، فقد كان يأكل».

التفتت عاصفة الرّمال بحدّة إلى قلب النّار قائلة: «لديه منزل، وطعام، وما زلت تعتقد أنّه بحاجة إلى الإنقاذ. ماذا عن العشيرة؟ إنّها بحاجة إليك. يبدو لي أنّ بسّ الغمام بأمان، وبرأيي، اتركه بحاله». حدّق قلب النّار إلى عاصفة الرّمال. كان فراء كتفيها منتصباً، وعيناها تلمعان بعناد. غاص قلبه وهو يدرك أنّها محقّة. كيف يمكنه ترك العشيرة الآن، ولو حتّى لفترة قصيرة، مع الضّعف الذي استبدّ بنجمة الصّباح والتهديد الذي يشكّله النّمر الشّرس وعصبته من القطط الشّاردة؟ كلّ ذلك من أجل هرّ سبق وأثبت أنّه مبتدئ كسول وجشع.

مع ذلك، أنبأه قلبه أنّ عليه المحاولة. فهو لم يستطع التخلّي عن اعتقاده الرّاسخ بأنّ بسّ الغمام سيصبح محارباً عظيماً يوماً ما، والعشيرة تحتاج إلى جميع المحاربين الذين يمكنها الحصول عليهم الآن. ماء ببساطة: «عليّ الذهاب».

جادلته عاصفة الرّمال قائلة: «وماذا إن تمكّنت من إعادته؟ هل سيكون بأمان في الغابة؟».

شعر قلب النّار بقشعريرة باردة تسري على طول عموده الفقري. هل يمكنه تحمّل إحضار بسّ الغمام إلى المخيم، لرؤيته يُذبح على يد النّمر الشّرس؟ ولكن حتّى مع شعور عدم اليقين الذي وخز أكفّه، كان يعرف ما عليه فعله. فماء قائلاً: «سأعود غداً عند علوّ الشمس. أخبري الرّعب الأبيض بمكاني».

اتّسعت عينا عاصفة الرّمال خوفاً. «هل أنت ذاهب الآن؟».

شرح قائلاً: «سأحتاج إلى بسّ أدهم ليدلني على مكانه، ولا أتوقع منه أن يبقى في الغابة. ليس والنمر الشرس طليق». ارتفع ذيل بسّ أدهم بخوف مفاجئ. «ماذا تقصد بقولك إنه طليق؟».

ألقت عاصفة الرمال نظرة ساخرة على قلب النار. فماء هذا الأخير قائلاً للهز الأسود: «هيا بنا، سأشرح لك في طريقنا. كلما أسرعنا، كان ذلك أفضل».

قالت عاصفة الرمال: «لن تذهب من دوني. هذه رحلة متهورة، وستحتاج إلى كل المساعدة التي يمكنك الحصول عليها في حال صادفت النمر الشرس أو دورية عشيرة الرياح!».

شعر قلب النار بموجة من الفرح تغمره لدى سماعه كلام عاصفة الرمال. فنظر إليها بامتنان، ثم التفت إلى بسّ زاهية قائلاً: «هلاً عدت إلى المخيم وأخبرت الزعب الأبيض عن مكاننا؟ إنه يعرف بسّ أدهم». لمعت عينا بسّ زاهية بقلق، لكنها رفّت جفניה مبعدة عنها الخوف وخفضت رأسها محيبة: «بالطبع».

أمرها قلب النار وقد شعر بوخزة خوف لتركه الهرة الشابة تعود بمفردها: «عودي إلى المخيم مباشرة، وأبقي أذنك منخفضتين». وعدته بسّ زاهية بجديّة: «سأكون حذرة»، ثم استدارت واختفت بين الشجيرات.

نحى قلب النار قلقه جانباً بشأن المبتدئة عن ذهنه وبدأ السير عبر نباتات الخنشار. مشّت عاصفة الرمال وبسّ أدهم بجانبه، وراح يتذكّر الأوقات التي كان يصطاد فيها في الغابة مع بسّ أدهم والنمر الرمادي. لكن بينما كان هواء الغابة الخانق يضغط عليه وفراؤه يخزه ترقباً للرحلة

التي تنتظره، لم يسعه إلا أن يتساءل عما إذا كان يقود صديقيه معه إلى الكارثة.

* * *

تسابق الثلاثة متجاوزين الأشجار الأربع وصعدوا إلى أراضي عشيرة الرياح. تذكر قلب النار آخر مرة كان فيها هنا، مع نجمة الصباح. سيتبعون الطريق نفسه، مباشرة عبر المرتفعات إلى مزرعة ذوي الساقين الواقعة بين أراضي عشيرة الرياح والأحجار العالية. على الأقل، لم يكن ثمة نسيم هذه المرة ليحمل روائحهم عبر المستنقع. كان هواء المرتفعات ساكناً على نحو غير طبيعي، وجافاً جداً لدرجة أن قلب النار شعر بفرائه يخشخش وهو يمرّ عبر نبات الخلنج.

اختار طريقاً بعيداً قدر الإمكان عن المخيم الواقع في قلب أراضي عشيرة الرياح. كانت الأرض هنا عادة رطبة، لكنها جفت الآن وتحولت إلى قشرة صلبة، بينما أصبحت نباتات الخلنج بنية اللون في بعض الأماكن، وذبلت بفعل الشمس.

كسر بسّ أدهم الصمت من دون أن يبطئ من سيره: «إذاً، ماذا حلّ بالنمر الشرّس؟».

لطالما رغب قلب النار في إخبار بسّ أدهم أن جلّاده القديم قد انكشف على حقيقته أخيراً. لكن يبدو الآن أن الأخبار المتعلقة بخيانة النمر الشرّس ونفيه لم تعد مصدر فرح، بعد أن قتل البرق الخاطف. فقد روى قلب النار القصة بقلب تعتصره المرارة والأسف.

توقّف بسّ أدهم فجأة وسأله: «هل قتل البرق الخاطف؟».

توقّف قلب النار هو الآخر وهزّ رأسه بحزن. «يقود النمر الشرّس عصابة من القطط الشريدة الآن، وقد أقسم على قتلنا جميعاً».

«ولكن من يقبل باتباع زعيم كهذا؟».

«بعضهم من أصدقاء الذيل النمرود القدامى، الذين تمّ نفيهم معه عندما طردناه من عشيرة الظلال». صمت للحظة، مجبراً نفسه على تذكر مشهد المعركة الأخيرة. «ولكن كان ثمة قطط آخرون لم أرهم من قبل ولا أعرف من أين أتوا».

ماء بسّ أدهم بحزن: «إذاً، أصبح النمر الشرس أقوى من أيّ وقت مضى».

ردّ قلب النار بحدة: «كلّا! إنه منبوذ الآن، ولم يعد محارباً. ليست لديه عشيرة. ولا بدّ أن عشيرة النجوم تعاديه لأنّه خرق قانون المحاربين. فمن دون عشيرة أو قانون محاربين لدعمه، ما من طريقة يستطيع بها هزيمة عشيرة الرعد». صمت قلب النار، مدركاً أنّه تحدّث بقناعة لم يكن يعيها حتّى الآن. كانت عاصفة الرمال تحدّق إليه بفخر.

ماء بسّ أدهم قائلاً: «آمل أن تكون محقّقاً».

قال قلب النار في نفسه، وأنا أيضاً. استأنف سيره مجدّداً، وزمّ عينيه أمام أشعة الشمس الساطعة.

أصرّت عاصفة الرمال قائلة: «إنّه محقّق بالطبع».

تراجع بسّ أدهم للسّير بجانب عاصفة الرمال. «حسناً، أنا سعيد لأنني أصبحت خارج كلّ ذلك».

نظرت إليه وسألته بنبرة اتّهامية. «ألا تفتقد حياة العشيرة على الإطلاق؟».

اعترف قائلاً: «بلى، افتقدتها في البداية. لكن لديّ الآن منزل جديد أحبّه. ولديّ بربر كرفيق إذا أردت، وهذا كافٍ بالنسبة إليّ. فأنا أفضل ذلك على احتمال مصادفة النمر الشرس يوماً ما».

لمعت عينا عاصفة الزمال قائلة: «وكيف تعرف أنه لن يأتي للبحث عنك؟».

ارتعشت أذنا بسّ أدهم.

قال له قلب النار بسرعة: «ليس لدى النمر الشرس أي فكرة عن مكان وجودك». ثم ألقى نظرة تحذيرية على عاصفة الزمال. «هيا بنا، فلنغادر أراضي عشيرة الرياح».

حثّ خطاه إلى أن أصبحوا يجرون بين الخنج بسرعة كبيرة من دون أن يتحدثوا. تجنّب رقعة القندول التي التقى عندها هو ونجمة الصّباح بالكفّ الأترب، وقادهما بدلاً من ذلك في دائرة واسعة عبر المستنقع المفتوح. لم توفر التلال المقفرة أي حماية من الشمس، بحيث شعر قلب النار أن فراءه يلتهب حرّاً عندما وصلوا إلى المنحدر المؤدّي إلى أراضي ذوي السّاقين. امتدّ الوادي تحتهم في رُقَعٍ من المروج والدروب وأوكار ذوي السّاقين، مثل صدفة سلحفاة مرقّطة.

ماء لاهثاً وهم يهبطون سفح التلّ جرياً: «لا بدّ أن قطط عشيرة الرّياح يحتمون من الحرارة في مخيمهم، فلنأمل أن تكون بقيّة الرّحلة بهذه السّهولة».

وصلوا إلى مجموعة من الأشجار، ورخّب قلب النار بالظلّ البارد وبرائحة الغابة المألوفة. حلّق فوقهم صقران وراحا يدوران ويصدران صيحات عالية النبرة، كما استطاع سماع هدير وحش لذوي السّاقين من بعيد. طالبت قوائمه المتعبة باستراحة، لكنّ توقه للعثور على بسّ الغمام دفعه إلى مواصلة السّير.

بينما كانوا يتجولون بين الأشجار، حدّقت عاصفة الزمال حولها وارتعش شارباها. أدرك قلب النار أنها لم تسافر بعيداً إلى هذا الحدّ

عن أراضي عشيرة الرعد إلّا مرّة واحدة من قبل، عندما رافقت نجمة الصباح إلى حجر القمر كمبتدئة. كانت رحلة يقوم بها جميع القطط قبل أن يصبحوا محاربين. وقد ذهب قلب النار في هذه الرحلة عدّة مرّات من قبل، ليس فقط لزيارة الأحجار العالية، بل لرؤية بسّ أدهم وإعادة عشيرة الرّيح من منفاها. مع ذلك، كان بسّ أدهم الأكثر ارتياحاً بينهما في هذه الغابة.

حذرهما الهزّ الأسود قائلاً: «لا يمكننا التسكّع هنا طويلاً، لا سيّما في هذا الوقت من النهار، فذوو السّاقين يحبّون تنزيه كلابهم هنا». استطاع قلب النار أن يشتم رائحة كلب قريب. فخفض أذنيه وتبع بسّ أدهم بصمت بينما كان الهزّ الأسود يقودهما إلى خارج الغابة. مرّ بسّ أدهم جسده عبر السّياج أولاً. انتظر قلب النار حتّى تبعته عاصفة الرّمال، ثمّ شقّ طريقه عبر الأوراق المتشابكة بكثافة. عرف المسار الترابي الأحمر على الجانب الآخر، والذي سبق أن عبره مع النمر الرّمادي في رحلتها للعثور على عشيرة الرّيح المنفية. نظر بسّ أدهم في كلا الاتجاهين قبل أن يركض ويختفي في السّياج على الجانب الآخر. نظرت عاصفة الرّمال إلى قلب النار، فأوماً لها مشجّعاً. عندئذٍ، اندفعت إلى الأمام، وتبعها قلب النار.

ارتفع الشّعير الذي يغطّي الحقل خلف السّياج عالياً فوق رؤوسهم. وبدلاً من الالتفاف على أطرافه، توجه بسّ أدهم مباشرة إلى غابة السّويقات الجافّة. تبعه قلب النار وعاصفة الرّمال، وحثّا الخطى لكي لا يغيب عنهما ذيل الهزّ الأسود. شعر قلب النار بعدم ارتياح عندما أدرك أنّه لن يتمكّن من إيجاد طريقه للخروج بمفرده. إذ فقد كلّ إحساس بالاتجاه، ولم يعد يرى سوى سويقات ذهبية على مدّ النّظر وشريط

من السَّماء الزَّرَقاء الصَّافية فوقه. تنفّس الصَّعداء عندما خرجوا أخيراً، وجلسوا ليستريحوا تحت السَّياج على الطَّرَف الآخر من الحقل. كانوا يحرزون تقدّماً جيّداً، وكانت الشَّمس قد أصبحت في منتصف طريقها إلى الغروب وباتت المرتفعات خلفهم.

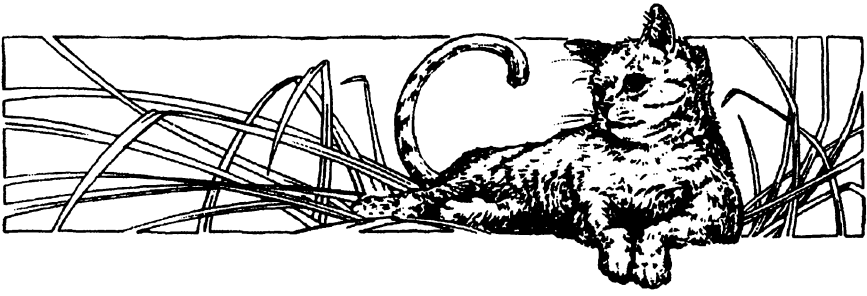
اشتَم قلب النّار رائحة مألوفة على السَّياج بجانبه. فقال لبسّ أدهم: «هذه العلامة لك».

«من هنا تبدأ أرضي». أدار بسّ أدهم رأسه مشيراً إلى أنّ الحقول الواسعة الممتدّة أمامهم هي المكان الذي يعيش ويصطاد فيه. سألته عاصفة الرّمال وهي تشتَم الهواء بحذر: «إذاً، هل يعيش بسّ الغمام قريباً من هنا؟».

أجاب بسّ أدهم وهو يشير بأنفه: «ثمة منخفض عند الطَّرَف الآخر من تلك التلّة. هناك يقع وكر ذوي السّاقين».

شعر قلب النّار فجأة بقشعريرة تسري عبر عموده الفقري. ما كانت تلك الرّائحة؟ تجمّد وفتح فمه لكي تصل الرّائحة إلى غدد الشّم في الدّاخل.

بجانبه، رفع بسّ أدهم أنفه هو الآخر، بينما ارتفعت أذناه وتحرك ذيله بعصبية. أخيراً، اتّسعت عيناه بذعر قبل أن يهسّ قائلاً: «كلاب!».



الفصل 20



سمع قلب النَّار العشب يتحرَّك خلف السَّياج، فتوتَّرت كتفاه بينما ملأت الرَّائحة القويَّة الأجواء. نفش النَّباحُ العالي ذيلَه، وبعد برهة، رأى أنف كلب يندفع عبر السَّياج.

صاح وهو يدور بالاتِّجاه المعاكس: «اهربا!». سُمع حفيف آخر رافقه نباح عالٍ، فعرف أنَّ كلباً آخر يتبع الكلب الأوَّل.

هرب قلب النَّار وركضت عاصفة الرِّمال بجانبه. وفراؤها يلامس فراءه بينما كانا يندفعان على طول السَّياج، والكلاب في أعقابهما. شعرا أنَّ الأرض ترتجف إثر وقع خطى الكلاب التي كانت تضرب الأرض بقوائمها كالطَّبل، وشعر قلب النَّار بأنفاسهما الحارَّة على عنقه. نظر من فوق كتفه، ورأى كلبين ضخمين خلفهما. كان جلدهما الطَّري يتموِّج مع وتيرة جريهما، وأعينهما تحملق إليهما بنهم، بينما تدلَّى لساناهما على نحو مخيف. فجأة، أدرك قلب النَّار مجفلاً أنَّ لا أثر لبسٍ أدهم.

هسَّ لعاصفة الرِّمال: «استمزي في الركض، لن يتمكَّنَّا من الجري بهذه السرعة طويلاً». تمكَّنت عاصفة الرِّمال من هزَّ رأسها، وراحت تحثَّ خطاها أكثر.

كان محقّقاً. فعندما أدار رأسه مجدّداً، لاحظ أنَّ الكلبين بدءا

يتخلفان عنهما. قاس بنظره شجرة رماد عند السياج أمامهما. كانت بعيدة بعض الشيء، ولكن إذا تمكنا من الابتعاد لمسافة كافية عن الكلبين، فقد ينجحان في تسلقها بأمان.

ماء لعاصفة الرمال وهو يلهث: «هل ترين شجرة الرماد تلك؟ تسلقها بأسرع ما يمكن، وأنا سأتابعك».

شخرت عاصفة الرمال موافقة، وخرجت أنفاسها في شهقات خشنة، بينما تسابقا نحو الشجرة. ناداها قلب النار، فتسلقت الجذع بمخالبها حتى وصلت إلى بر الأمان.

قبل أن يقفز لتسلق الشجرة، نظر قلب النار من فوق كتفه مجدداً ليرى كم أصبحت المسافة التي تفصلهما عن الكلاب. فانتصب فراؤه عندما رأى أسناناً ضخمة بالكاد تبعد عن وجهه طول أرنب. وبزمجرة شرسة، انقضّ الكلب عليه. فالتفت قلب النار بسرعة وهاجمه بقائمتيه الأماميتين، مُنشباً مخالبه فيه مثل أشواك سوداء حادة. شعر بلحم الكلب يتمزق وسمعه ينبح ألماً. خر مشه مجدداً، ثم استدار وتسلق الشجرة بسرعة كالسنجاب. وقف عند أدنى غصن ونظر إلى الأسفل. تحته، عوى الكلب محبطاً بينما انضم إليه الآخر، وأرجع رأسه الضخم إلى الخلف وهو ينبح بغضب.

تلعثمت عاصفة الرمال قائلة: «لقد... لقد ظننت أنه أمسك بك!». ثم زحفت على طول الغصن وضغطت بجنبها على فراء قلب النار المنفوش حتى توقفا عن الارتعاش.

صمت الكلبان، لكنهما بقيا عند أسفل الشجرة، وأخذا يروحان ويجيئان.

سأله عاصفة الرمال فجأة: «أين بس أدهم؟». هز قلب النار رأسه، في محاولة للتخلص من الرعب الذي شعر به

عندما كان الكلبان يطاردانه. «لا بدّ أنه ركض في الاتجاه الآخر. ينبغي أن يكون بخير. فأنا أعتقد أنهما كلبان لا أكثر.»

«ظننت أنها أرضه. ألم يكن يعلم أنه ثمة كلاب في هذا الجانب من الحقل أيضاً؟».

لم يتمكن قلب النّار من الإجابة. رأى الخوف يعلو وجه عاصفة الرّمال وهي تزّم عينيها وتسأله: «أنت لا تظنّ أنه قادنا إلى هنا عمداً، أليس كذلك؟».

«بالطّبع لا». أجاب قلب النّار بنبرة حادة بحيث جعلته نبرة الشكّ يبدو دفاعياً: «ولماذا يفعل ذلك؟».

«من الغريب أن يظهر من العدم ويقودنا إلى هنا، هذا كلّ ما في الأمر».

سُمع مواء عالي النّبرة جعل قلب النّار وعاصفة الرّمال ينظران إلى الأسفل من خلال أوراق الشّجرة. هل كان بسّ أدهم؟ التفت الكلبان في محاولة لتحديد مصدر الصّوت، ورأى قلب النّار شكلاً أسود وأملس يختفي بين سويقات الشّعير. ماء بسّ أدهم مجدّداً، ورفع الكلبان آذانهما، ثمّ نبحا بحماسة واندفعا نحو السيّقان المتمايلة التي كشفت عن مخبأ بسّ أدهم. حدّق قلب النّار من أعلى الشّجرة. هل يمكن لبسّ أدهم أن يتفوّق في الجري على الكلبين؟ شاهد سويقات الشّعير وهي تهتزّ بينما كان بسّ أدهم يجري في خطّ متعرج عبر الحقل، تخفيه سويقات الشّعير عن الأنظار. اندفع الكلبان البنيان خلفه مثل سمكة خرّقاء، وسطّحا الشّعير بأكفّهما وهما ينبحان بإحباط.

فجأة، سمع قلب النّار صيحة حادة لذي ساقين. فتوقّف الكلبان، ورفعاً رأسيهما فوق سويقات الشّعير، وقد تدلّى لساناهما. حدّق قلب

النَّارَ إِلَى الْحَقْلِ. كَانَ ذُو السَّاقِينَ يَتَسَلَّقُ سِيَاجاً خَشِيباً مُثَبَّتاً فِي السِّيَاجِ
النباتي. تَدَلَّى مِنْ يَدِهِ شَيْئَانِ يَشْبَهُانِ الْخِيوطَ. فَبَدَأَ الْكَلْبَانِ يَسِيرَانِ عَلَى
مَضْضٍ عَبرَ حَقْلِ الشَّعِيرِ بِاتِّجَاهِ ذُو السَّاقِينَ الَّذِي أَمْسَكَ بِالطَّوْقَيْنِ
الْمَحِيطَيْنِ بَعْنَقِيهِمَا وَعَلَّقَ بِهِمَا الْخِيْطَ. تَنَفَّسَ قَلْبُ النَّارِ الصَّعْدَاءَ وَهُوَ
يَرَى الْكَلْبَيْنِ يُسْحَبَانِ بَعِيداً، وَقَدْ خَفَضَا ذَيْلِيَهُمَا وَأَذَانَهُمَا.
«أَرَى أَنَّكَ مَا زِلْتَ سَرِيعاً كَمَا عَهْدْتُكَ!».

فَوَجَّى قَلْبُ النَّارِ، وَالتَفَتَ لِيَجِدَ بَسَّ أَدْهَمٍ يَتَقَدَّمُ مِنْ جَذَعِ الشَّجَرَةِ
إِلَى الْغَصْنِ الَّذِي يَقْفَانِ عَلَيْهِ. أَوْماً الْهَرَّ الْأَسْوَدَ لِعَاصِفَةِ الرَّمَالِ قَائِلاً:
«لَا أَدْرِي سَبَبَ تَكْبُدَهُمَا عَنَاءَ مَطَارِدَتِهَا، فَهِيَ لَا تَشْكَلُ وَجْهَ مَشْبَعَةٍ».
نَهَضَتْ عَاصِفَةُ الرَّمَالِ وَمَرَّتْ مِنْ أَمَامِ بَسَّ أَدْهَمٍ، ثُمَّ سَأَلَتْ بِرُودٍ:
«أَلَيْسَ عَلَيْنَا إِنْقَازٌ مُبْتَدِئٌ؟».

قَالَ بَسَّ أَدْهَمٍ: «أَرَى أَنَّهَا مَا زَالَتْ حَادَّةَ الطَّبَاعِ بَعْضُ الشَّيْءِ».
تَمَتَّ قَلْبُ النَّارِ وَهُوَ يَتَّبِعُ عَاصِفَةَ الرَّمَالِ إِلَى أَسْفَلِ الشَّجَرَةِ: «مَا
كُنْتُ لِأَضْيَاقِهَا لَوْ كُنْتُ مَكَانَكَ». قَرَّرَ أَلَا يَخْبِرُ صَدِيقَهُ الْقَدِيمَ عَنْ شُكُوكِ
عَاصِفَةِ الرَّمَالِ فِي أَنَّهُ قَادَهُمْ إِلَى فَخٍّ. صَحِيحٌ أَنَّ بَسَّ أَدْهَمٍ لَيْسَ أَحْمَقَ،
وَرَبَّمَا اكْتَشَفَ ذَلِكَ بِنَفْسِهِ، لَكِنْ عَدَمُ سَمَاحَةِ لِعَدَائِيَّتِهَا بِإِزْعَاجِهِ كَانَ
عَلَامَةً عَلَى ثِقَتِهِ الْجَدِيدَةِ. وَمَعَ ابْتِعَادِ الْكَلْبَيْنِ بِأَمَانٍ مِنْ طَرِيقِهِمْ، كَانَ
الْعَثُورُ عَلَى بَسَّ الْغَمَامِ الشَّيْءِ الْوَحِيدِ الَّذِي أَرَادَ قَلْبُ النَّارِ التَّفَكِيرَ فِيهِ.

قَادَهُمَا بَسَّ أَدْهَمٍ إِلَى أَعْلَى التَّلِّ وَتَوَقَّفَ. كَانَ ثَمَّةَ مَسْكَنٍ لَذَوِي
السَّاقِينَ يَقَعُ فِي الْوَادِي الضَّحْلِ أَمَامَهُمْ، تَمَاماً كَمَا أَكَّدَ لَهُمَا.
سَأَلَهُ قَلْبُ النَّارِ: «أَهَذَا هُوَ الْمَكَانُ الَّذِي أَخَذْتَ إِلَيْهِ بَسَّ الْغَمَامِ؟».
عِنْدَمَا أَوْماً الْهَرَّ الْأَسْوَدَ بِرَأْسِهِ، بَدَأَتْ الْحَمَاسَةُ وَالْعَصْبِيَّةُ تَعْمَلَانِ

في أحشاء قلب النار. فحتّى لو عثروا على بسّ الغمام، ماذا لو لم يرغب في العودة معهم؟ وإذا فعل، فهل ستمكّن العشيرة من الوثوق بهزّ تمّ استدراجه إلى سهولة حياة البسبوس الأليف؟

أشارت عاصفة الرّمال: «أنا لا أشتّم رائحته». ولم تفت قلب النار نبرة الشكّ في صوتها.

أوضح بسّ أدهم بصبر: «لقد كانت رائحته قديمة أساساً عندما أتيت لرؤيته آخر مرّة. أظنّ أنّ ذوي السّاقين يبقونه حبيساً». «إذاً كيف يفترض بنا إنقاذه بالضبط؟».

ماء قلب النار، عازماً على عدم منح الهزّين فرصة لخوض جدال: «تعاليا». أضاف وهو يتّجه إلى أسفل المنحدر نحو المسكن: «فلنلق نظرة عن كثب».

كان مسكن ذوي السّاقين محاطاً بسيّاج نباتي مشدّب بعناية. شقّ قلب النار طريقه عبره وحدّق من خلال العشب البني إلى وكر ذوي السّاقين الذي تعلوه سماء مظلمة. انبطح على الأرض، وزحف إلى أقرب شجيرة، رافعاً أذنيه. لم يكن أنفه مُجدياً هنا. فقد عبّق هواء المساء برائحة الأزهار التي طغت على سائر الروائح. سمع وقع أكفّ خلفه، فاستدار ليرى بسّ أدهم وعاصفة الرّمال يتبعانه، وقد وضعّا شجارهما جانباً في الوقت الحالي على ما يبدو. فأوماً لهما، ممتناً لصحبتهما، وتابع زحفه فوق العشب.

عندما وصلوا إلى وكر ذوي السّاقين، كان قلب النار يشعر بالدمّ ينبض عبر أذنيه. فجأة، بدا السيّاج، والأمان الممتدّ خلفه، بعيدين جداً. همس بسّ أدهم وهو يتقدّمهما حول زاوية الوكر: «هذه هي النافذة التي رأيته منها».

تمت عاصفة الرمال: «وربما هي النافذة التي رآك منها ذو الساقين». استطاع قلب النار أن يشتّم رائحة خوفها، وعلم أنّ انزعاجها يرجع إلى توثرها المكبوت بالكاد بقدر ما يرجع إلى المنافسات القديمة. توهّج ضوء من النافذة فوق رؤوسهم، فخفضت عاصفة الرمال جسدها إلى الأسفل. استطاع قلب النار أن يسمع وقع أقدام ذو الساقين في الداخل، فرفع عنقه لينظر إلى جدار الوكر، غير أنّ النافذة كانت مرتفعة جداً بحيث لا يمكن الوصول إليها بقفزة واحدة. عندئذٍ، زحف إلى بقعة من التراب تحت النافذة مباشرة. هناك، تسلّقت شجرة ملتوية جانب الوكر. تأمل قلب النار الأغصان الملتفة، وفكّر في تسلّقها، لكنّه كان لا يزال يسمع وقع أقدام في الداخل.

هست عاصفة الرمال، وقد سطّحت أذنيها على رأسها: «يجب أن يكون بسّ الغمام شبه أصمّ ليعيش مع هذا المخلوق الصّახب!». نخر الفضول قلب النار مثل فأر جائع حتّى عجز عن التحمّل. فمأ قائلًا: «سألقي نظرة»، وبدأ يشقّ طريقه إلى أعلى الجذع المتعرّج، متجاهلاً تحذير عاصفة الرمال بتوخّي الحذر.

وصل إلى النافذة، وقلبه ينبض بجنون، ثمّ دفع نفسه بحذر إلى حافتها. في الداخل، كان ذو ساقين يقف فوق شيء ينفث سحباً من الدخان. أبهر الضوء القويّ وغير الطّبيعي عيني قلب النار، لكنّه شعر بذكريات قديمة عن طفولته تستيقظ في داخله، وعرف أنّه ينظر إلى المطبخ، الذي يعدّ فيه ذوو السّاقين طعامهم. اجتاحت ذهنه ذكريات دفيئة منذ زمن طويل عن تناول طعام جاف لا طعم له وشرب مياه ذات طعم معدني حادّ. أبعد الصور عن رأسه، وراح يبحث عن أثر لبسّ الغمام. في إحدى زوايا وكر ذوي السّاقين، رأى فراشاً يشبه الأغصان

المجففة المنسوجة بإحكام، فبدأت أكفه ترتجف من شدة الحماسة. بداخله، رأى شكلاً أبيض مكوراً على نفسه. حبس قلب النار أنفاسه عندما تمطى ذلك المخلوق الأبيض وقفز من صندوقه، ثم ركض إلى قدمي ذي الساقين وبدأ ينبح بصوت عالٍ. كان كلباً! انكمش قلب النار إلى الخلف، ودار رأسه بسبب خيبة الأمل، وكاد أن يرخي قبضته على حافة النافذة. أين بسّ الغمام؟

مدّ ذو الساقين يده وربّت على المخلوق الصّاحب. هسّ قلب النار في سرّه، ثمّ جلس متفاجئاً عندما دخل بسّ الغمام من أحد أبواب الغرفة. شعر قلب النار بالذعر وهو يرى الكلب يندفع نحو بسّ الغمام وهو ينبح. وانتظر أن يقوّس هذا الأخير ظهره وينفخ في وجهه، لكنّ الهزّ الأبيض تجاهله ببرود.

انخفض قلب النار إلى الأسفل عندما قفز بسّ الغمام فجأة على الطّرف الآخر من النافذة، بينما واصل الكلب نباحه من على الأرض، بعيداً عن الأنظار. فهسّ لبسّ أدهم وعاصفة الرّمال قائلاً: «إنّه هنا». سأله عاصفة الرّمال: «هل رآك؟».

نظر بحذر إلى الأعلى، لكنّه أبقي جسده مسطحاً على الحجر الصّلب. كان بسّ الغمام يحدّق بشرود من فوق رأس قلب النار. بدت عيناه مظللتين بالتعاسة، كما بدا أنحف. فشعر قلب النار رغباً عنه بالارتياح، وإن مع شيء من الذنب. إذ كان هذا دليلاً كافياً بالنسبة إليه على أنّ حياة البسبوس الأليف لا تلائم الهزّ الأبيض.

جلس وضغط قائمته الأماميتين على النافذة الفاصلة بينهما. ومع رعشة إحباط، خربش على الزجاج، مبقياً مخالبه مخفية لكي لا تصدر أكفه صوتاً قد يلتفت انتباه ذي الساقين أو الكلب. حبس أنفاسه عندما

ارتعشت أذنا بسّ الغمام، قبل أن يستدير المبتدئ الأبيض ويراه، ويفتح فمه واسعاً بمواء بهجة لم يتمكن قلب النّار من سماعه.

في الدّاخل، التفت ذو السّاقين باستغراب عندما سمع الصّوت. فقفز قلب النّار من على الحافّة، وهبط بجانب صديقيه.

سألت عاصفة الرّمال: «ما الأمر؟».

«لقد رأي بسّ الغمام، ولكن أعتقد أنّ ذو السّاقين رأي هو الآخر!».

ماء بسّ أدهم بسرعة: «علينا الدّهاب».

هسّ قلب النّار: «كلّا، يمكنكما الدّهاب أتما الاثنان، أمّا أنا،

فسأبقى هنا حتّى يخرج بسّ الغمام».

حدّقت إليه عاصفة الرّمال وسألته: «وماذا تنوي أن تفعل؟ ماذا لو

أفلتوا ذلك الكلب؟».

أصرّ قائلاً: «لا أستطيع المغادرة الآن بعد أن رأي بسّ الغمام، أنا

باقٍ هنا».

بينما كان يتكلّم، سُمع صرير خلفهم. فالتفت قلب النّار فجأة، ليرى

الضّوء ينبعث من باب في الجدار ويتشّشر في الحديقة، مضيئاً العشب

على طول الطّريق المؤدّي إلى السّياج النّبّاتي. أظلمت المساحة المضيئة

فجأة عندما سقط عليها ظلّ ذي السّاقين.

تجمّد قلب النّار. لم يكن ثمة وقت للاختباء، لا سيّما وأنّ أمرهم

قد كُشف. صرخ ذو السّاقين بصوت مرتفع، وتوجّه نحوهم ببطء. اجتمع

القطط الثلاثة على بعضهم البعض، بينما راح ذو السّاقين يقترب منهم.

سمع قلب النّار عاصفة الرّمال تأخذ نفساً مرتعشاً، فنظر إلى الأعلى

ببطن مشدودة من شدّة الرّعب. كان ذو السّاقين يقف فوقهم مباشرة.

إنّهم محاصرون.



الفصل 21



«أسرعاً! من هنا!».

أجفل قلب النار عندما سمع مواء بسّ الغمام الملحّ. رأى شكلاً أبيض يخرج من المدخل ويهرب على العشب، وهو يموء بصوت عالٍ. استدار ذو الساقين وقد تشتت انتباهه، وفي تلك اللحظة، شعر قلب النار بعاصفة الرمال وبسّ أدهم ينطلقان بعيداً عنه. فلحق بهما وهو يتبع بسّ الغمام على العشب. خلفهم، نادى ذو الساقين في ظلام الليل، بينما كان الكلب ينبح بجانبه، لكنّ قلب النار واصل الرّكض وعبر السّياج، وصولاً إلى الحقل الواقع خلفه، متعباً روائح بسّ الغمام، وعاصفة الرمال، وبسّ أدهم إلى أن لحق بهم، وقد تجمّعوا في أجمة قرّاص.

اقتربت منه عاصفة الرمال وجسدها يرتجف. فنظر قلب النار من فوق رأسها ورأى بسّ الغمام يحدّق إليه بعينه الزرقاوين الواسعتين. فجأة، تبدد الارتياح الذي غمره عندما وجد تلميذه بفعل كلّ شكوكه القديمة حيال مكانة بسّ الغمام في عشيرة الرعد، ولم يعرف ماذا يقول. نظر بسّ الغمام إلى أكفّه وقال: «شكراً لقدومك».

«حسنًا؟ هل تريد العودة إلى العشيرة؟» جعل الإرباك قلب النار يتكلّم بصراحة. كان قد أكّد لنفسه أنّ بسّ الغمام بأمان، لكنّ مصالح

العشيرة بدأت تتزاحم في ذهنه.

رفع الهزّ الشابّ ذقنه وبدا الحزن في عينيه. أقرّ قائلاً: «بالطبع! وأعترف أنّه ما كان يجدر بي الاقتراب من ذوي السّاقين قطّ. لقد تعلّمت درسي، وأعدك أنّي لن أكزّر خطئي مجدّداً».

سألته عاصفة الرّمال: «ولماذا نصّدّقك؟». نظر إليها قلب النّار، لكنّ نبرتها كانت لطيفة، وخالية من التحدّي. بقي بسّ أدهم صامتاً، ولفّ ذيله حول كفيّة الأماميتين، من دون أن يفوت عينيه الكهرمانيتين شيء ممّا يجري.

ماء بسّ الغمام قائلاً: «لقد أتيت للبحث عني، ولا بدّ أنّك تريدني أن أعود».

«أريد أن أتمكّن من الوثوق بك». أراد قلب النّار أن يفهم بسّ الغمام أنّه ثمة عدد أكبر من القطط الذين يجب مراعاتهم، وليس هو وحسب. «أريدك أن تفهم قانون المحاربين، وأنّ تتعلّم اتّباعه بإخلاص». أصرّ بسّ الغمام: «يمكنك الوثوق بي!».

ماء قلب النّار بجديّة: «حتّى لو تمكّنت من إقناعي، هل تعتقد أنّ بقيّة العشيرة سيصدّقونك؟ كلّ ما سيرونه أنّك رحلت مع ذوي السّاقين. ما الذي يجعلك تعتقد أنّهم سيثقون في هزّ اختار حياة البسبوس الأليف على حياة العشيرة؟».

اعترض بسّ الغمام قائلاً: «لكنني لم أذهب بإرادتي! فأنا أنتمي إلى العشيرة، ولم أرغب في الدّهاب مع ذوي السّاقين!». تمتت عاصفة الرّمال: «لا تكن قاسياً عليه».

فوجئ قلب النّار بتعاطفها غير المتوقّع مع المبتدئ الشابّ. ربّما كانت مقتنعة بالجديّة التي طغت على عيني بسّ الغمام. فأمل أن يقتنع

بقية أفراد العشيرة أيضاً. لم يستطع إبقاء غضبه مشتعلًا لفترة أطول، بل انحنى إلى الأمام ولحق بسّ الغمام على رأسه. «أحرص وحسب الإصغاء إليّ في المستقبل!»، تكلم بالقرب من أذن المبتدئ حتى يتمكن من سماعه مع الخرخرة المتصاعدة من صدر الهزّ الشاب.

ماء بسّ أدهم بهدوء من حيث يجلس في الظلّ: «القمر يعلو، إذا أردتم العودة بحلول علوّ الشمس، فليس لدينا كثير من الوقت». أوماً قلب النار برأسه والتفت إلى عاصفة الرمال. «هل أنت جاهزة؟».

أجابت وهي تمدّد قائمتيها الأماميتين أمامها: «نعم». ماء قلب النار: «هذا جيد، من الأفضل أن نطلق إذاً».

قاد بسّ أدهم قطط العشيرة وصولاً إلى المرتفعات وتركهم عند أسفل المنحدر المغطّى بالندى والمؤذي إلى أراضي عشيرة الرياح. لم يكن الفجر بعيداً، لكن فصل الحرّ كان في ذروته والشمس تشرق مبكراً، وقد أحرزوا تقدماً لا بأس به.

ماء قلب النار وهو يلامس أنف الهزّ الأسود بأنفه: «شكراً لك يا بسّ أدهم، لقد أحسنت فعلاً بمجيئك إليّ. أعلم أنّه كان من الصعب عليك العودة إلى الغابة».

خفض بسّ أدهم رأسه مجيباً: «حتى لو لم نعد زميلين في عشيرة واحدة، إلّا أنّك ستحظى دائماً بصدّاقتي وإخلاصي».

رفّ قلب النار عينيه لإبعاد التأثير الذي خيم عليهما، ثم نبه الهزّ الأسود قائلاً: «كن حذراً، ربّما لا يعرف التمر الشرس المكان الذي تعيش فيه، لكننا تعلّمنا ألا نقلّل من شأنه. لذا، كن حذراً».

أوماً بسّ أدهم برأسه وابتعد.

شاهد قلب النّار صديقه القديم وهو يهرول على العشب المتلألئ ويختفي في الغابة. أخيراً، ماء قائلاً: «إذا أسرعنا، يمكننا الوصول إلى الأشجار الأربع قبل خروج دورية الفجر التابعة لعشيرة الرّياح». انطلق يتسلّق المنحدر، محاطاً ببسّ الغمام وعاصفة الرّمال. كان من المريح السّفر عبر المرتفعات قبل شروق الشّمس. عندما وصلوا إلى أعلى جزء من المرتفعات، حيث تكمن أوكار الغرير المهجورة، أطلّت الشّمس من الأفق وأرسلت أشعّتها الذهبية على أجسام الخلنج. رأى قلب النّار كيف راح بسّ الغمام يتأمّلها بعجب، وقد اتّسعت عيناه دهشة. فامتلاً قلبه أملاً في أنّ الهزّ الشابّ سيفي بوعده ويبقى في الغابة. تتمم المبتدئ الأبيض قائلاً: «أنا أشتّم رائحة الدّيار». ماءت عاصفة الرّمال بتشكّك: «حقّاً؟ أنا لا أشتّم سوى رائحة قذارة غرير قديمة!».

«أما أنا فأشتّم رائحة دخلاء من عشيرة الرّعد!».

استدار قطط عشيرة الرّعد الثلاثة، وقد انتصب فراؤهم ذعراً. خرج الكفّ الأعرج، نائب عشيرة الرّياح، من بين أجمة الخلنج وقفز فوق آثار الغرير الرّمليّة. كان صغيراً ونحيلاً، يتحرّك بمشيته المميّزة غير المتوازنة التي استمدّت منها اسمه، لكنّ قلب النّار كان يعرف أنّه، شأنه شأن بقية أفراد عشيرة الرّياح، فإنّ حجمه يخفي خفّة حركة وسرعة يصعب على العشائر الأخرى مضاهاتها.

سُمع حفيف وظهر الكفّ الأترب من أجمة الخلنج. نظر قلب النّار بتوتر إلى المحارب البني بينما كان يدور حول المجموعة ويتوقّف خلفهم.

نادى الكفّ الأترب: «بسّ أرمد!»، فخرج المبتدئ المخطّط الذي كان مع الكفّ الأترب من قبل ليقف أمامهم. انتظر قلب النّار وقلبه ينبض ليرى ما إذا كان ثمة مزيد من المحاربين في هذه الدّورية. هسّ الكفّ الأعرج: «يبدو أنّك تجعل من أراضي عشيرة الرّياح بيتك الثاني».

استنشق قلب النّار الهواء قبل أن يجيب. لم يكن ثمة مزيد من قطط عشيرة الرّياح، وبالتالي، كانت أعدادهم متساوية. أجاب وهو يحافظ على هدوء صوته: «ما من طريق آخر في الغابة إلى الأراضي الواقعة خلفها». لم يكن يريد إثارة أيّ شجار، ولكنّه لم يستطع أن ينسى الطّريقة التي عاملهما بها الكفّ الأترب هو ونجمة الصّباح.

ضاقت عينا الكفّ الأعرج متسائلاً: «هل تحاول السّفر إلى الأحجار العالية مجدّداً؟ أين نجمة الصّباح؟ هل ماتت؟». قوّست عاصفة الرّمال ظهرها وهسّت بشراسة: «نجمة الصّباح بخير!».

زمجر الكفّ الأترب: «إذاً ماذا تفعلون هنا؟». «نحن مجرّد عابري سبيل». بدا مواء بسّ الغمام الشّجاع تافهاً بجانب المحاربين البالغين، وشعر قلب النّار بعضلاته تتوتّر. دمدم الكفّ الأعرج: «أرى أنّ قلب النّار ليس الوحيد الذي يحتاج إلى درس في الاحترام!».

رأى قلب النّار من زاوية عينه الهزّ الأسود يهزّ ذيله. كانت إشارة لأبناء عشيرته للهجوم. فغاص قلبه وهو يدرك أنّهم سيضطّرون للقتال. عندما قفز الكفّ الأعرج عن تلة الغرير على ظهره، تدرّج معه، وسقط على الأرض ملقياً نائب عشيرة الرّياح بعيداً.

هبط الكفّ الأعرج على أكفّه، ثمّ التفت إلى قلب النّار وهو يهسّ قائلاً: «حركة رائعة، لكنك بطيء مثل كلّ قطط الغابة». ثمّ ما لبث أن انقضّ على قلب النّار الذي شعر بمخالب النّائب تخدش أذنيه وهو ينخفض ليتملّص منه.

أجاب بحدّة: «أنا سريع بما فيه الكفاية». ثمّ دفع قائمته الخلفيتين إلى الأسفل وقفز للانقضاض على الكفّ الأعرج. شهق هرّ عشيرة الرّيح إثر الضّربة التي وجهها إليه قلب النّار، لكنّه استطاع الدّوران والهبوط على أكفّه. وبسرعة أفعى، ردّ الضّربة لقلب النّار، الذي هسّ عندما جرح المحارب أنفه. غير أنّه انتقم بتوجيه ضربة بكفّه الأمامية إلى مهاجمه، وشعر بموجة من الرضا عندما غرز مخالبه في فراء النّائب. أحكم قبضته الآن على كتف الكفّ الأعرج، ثمّ قفز على ظهر الهزّ الأسود وضغط خطمه على الأرض.

بينما كان قابضاً على النّائب الذي يكافح تحته، أدرك أنّ بسّ أرمد، مبتدئ عشيرة الرّيح، قد هرب. كانت عاصفة الرّمال وبسّ الغمام يقاتلان جنباً إلى جنب لإعادة الكفّ الأترب إلى أجمة الخلنج. راحت عاصفة الرّمال تضرب بقائمتيها الأماميتين، بينما كان بسّ الغمام يعضّ قائمتي المحارب الخلفيتين. أطلق هذا الأخير صرخة غضب، قبل أن يستدير ويفرّ هارباً.

هسّ قلب النّار في أذن الكفّ الأعرج: «سأظهر لك الاحترام عندما تستحقّه»، ثمّ عضّ كتف نائب عشيرة الرّيح قبل أن يطلق سراحه. فمأ الكفّ الأعرج غاضباً، وركض للاختباء في نباتات الخلنج.

نادى قلب النّار: «هيا، أنتما الاثنان، من الأفضل أن تغادر هذا المكان قبل أن يعودوا مع مزيد من المحاربين».

أومأت عاصفة الرّمال برأسها موافقة، وقد تجهّم وجهها، لكنّ بسّ الغمام كان يقفز من كفّ إلى أخرى بحماسة. قال بفخر: «هل رأيتما كيف هربوا؟ يبدو أنّي لم أنس ما تعلّمته في النّهاية!».

دمدم قلب النّار: «هسّ! فلنرحل من هنا». صمت بسّ الغمام، مع أنّ عينيه كانتا لا تزالان تتألّقان. تسابق الثلاثة جنباً إلى جنب إلى المنحدر المؤدّي إلى الأشجار الأربع، خارج أراضي عشيرة الرّيح. همست عاصفة الرّمال لقلب النّار وهما يقفزان من صخرة إلى صخرة: «هل رأيت كيف قاتل بسّ الغمام؟».

«فقط في النّهاية، عندما كان يساعدك على طرد الكفّ الأترب».

مادت عاصفة الرّمال: «وقبل ذلك؟». كان صوتها، على الرغم من هدوئه، دافئاً. «لقد طرد ذلك المبتدئ من عشيرة الرّيح في ثلاث قفزات مثل قفزات أرنب، فدّعر الهزّ المسكين».

قال قلب النّار وقد شعر بالفخر بتلميذه على الرّغم من كلّ شيء: «ربّما كان بسّ أرمد قد بدأ تدريبه للتوّ».

أشارت عاصفة الرّمال: «لكنّ بسّ الغمام أمضى القمر الأخير حبساً في وكر ذوي السّاقين! وقد خسر لياقته تماماً، لكن مع ذلك...»

صمتت قليلاً قبل أن تضيف: «أعتقد حقّاً أنّه بمجرّد أن يكمل بسّ الغمام تدريبه، سيصبح محارباً عظيماً».

علا مواء المبتدئ الأبيض من خلفهما. «هيتا! اعترفا! لقد قاتلتُ ببسالة، أليس كذلك؟».

أضافت عاصفة الرّمال وشارباها يهتزّان بمرح: «وبمجرّد أن يتعلّم القليل من التّواضع!».

لم يقل قلب النّار شيئاً. فقد أسعدته ثقة عاصفة الرّمال ببسّ الغمام

أكثر ممّا يمكنه التعبير، ولكنّه لم يستطع التخلّص من شكوكه في أن ابن أخته سيفهم يوماً قانون المحاربين كما ينبغي.

مشوا بسرعة عبر الغابة، التي كانت زقزقات العاصفير تصدح فيها، وتفوح فيها رائحة الفرائس الشهية، لكنّ الوقت لم يكن يسمح لهم بالتوقّف والصّيد. فقد أراد قلب النّار العودة إلى المخيم، لا سيّما وأنّ أكفّه كانت تخزّه قلقاً، وهو شعور بالهلع زادته الحرارة الخانقة. كانت العاصفة تقترب مثل هرّ عملاق، يستعدّ للانقضاض وسحق الغابة بين أكفّه الجبّارة. فحثّ قلب النّار خطاه عندما اقتربوا من المخيم وهبطوا الوادي بأقصى سرعة، متمنياً أن يكون النمر الشرس قد بقي بعيداً عن المخيم. أسرع عبر نفق القندول، تاركاً عاصفة الرّمال وبسّ الغمام يتبعانه منهكين، ودخل الفسحة وهو يلهث. تنفّس الصّعداء عندما رأى أنّ المخيم مازال كما تركه تماماً.

كان عدد قليل من القطط قد استيقظ مبكراً وخرج ليتشمّس عند أطراف الفسحة. نظروا إليه ورأى أذيالهم تتحرّك وهم يتبادلون نظرات القلق. اقترب الرّعب الأبيض من قلب النّار قائلاً: «أنا سعيد لعودتكما بخير».

خفض قلب النّار رأسه معذراً: «أنا آسف لأنني سبّبت لكم القلق. لقد بحث عني بسّ أدهم قائلاً إنّهُ عثر على بسّ الغمام». ماء الرّعب الأبيض قائلاً: «أجل، أخبرني بسّة زاهية بما حدث». بينما كان يتكلّم، دخلت عاصفة الرّمال وبسّ الغمام من نفق القندول، فاستدارت رؤوس جميع القطط للتّحديق بدهشة إلى المبتدئ الأبيض. توجّهت عاصفة الرّمال إلى قلب النّار، وأومأت برأسها بتحيّة

للزَّعب الأبيض. جلس بسّ الغمام بجانبها، ولفّ ذيله على أكفّه خافضاً نظره باحترام.

ألقي الزَّعب الأبيض نظرة على المبتدئ ثم قال: «لقد ظننا أنك ذهبت للعيش مع ذوي السّاقين».

«نعم». علا مواء النمر الأسود بتكاسل في الفسحة. كان المحارب المخطّط ممدّداً خارج وكره. «كما فهمنا، قرّرت العودة إلى حياة البسبوس الأليف». ثم دفع نفسه للنهوض واتّجه للوقوف بجانب الزَّعب الأبيض. راقب بقية القطط بصمت وبأعين فضولية لا يرف لها جفن بانتظار ردّ بسّ الغمام. فشر قلب النّار بأكفّه تخزه بقلق.

رفع بسّ الغمام ذقنه وأعلن قائلاً بنبرة دراماتيكية: «لقد خطفني ذوو السّاقين!».

سرت همهمات الاستغراب بين قطط العشيرة، ثم اندفع بسّ أرقش إلى الأمام ولا مس بأنفه أنف بسّ الغمام. ماء قائلاً: «أخبرتهم أنك لم تكن تريد الرحيل!».

أوماً بسّ الغمام برأسه موافقاً. «هسهست وصرخت وقاتلت، ولكنّ ذوي السّاقين أخذوني!».

نادت النّمة الشقراء من خارج الحضانة: «هذا سلوكهم النموذجي!». حدّق قلب النّار بدهشة. هل سيكسب بسّ الغمام تعاطف العشيرة بقصّته أحادية الجانب؟

تابع المبتدئ حديثه بصوت مشوب باليأس: «لقد كنت محظوظاً لأنّ بسّ أدهم وجدني، فأتى لإحضار قلب النّار وإنقاذي. ولولا قلب النّار وعاصفة الرّمال، لكنت محاصراً في وكر ذوي السّاقين مع ذاك الكلب!».

أطلق كشكول مواء ذعر من عند شجرة السنديان القديمة: «كلب؟».
سألت عوراء الممدّدة بجانبه بصوت خشن: «هل قال كلب؟».
أجاب بسّ الغمام: «أجل، وكان طليقاً معي في الوكر!».
رأى قلب النّار أعين المسّنين تمتلئ بالذّعر.
هزّ بسّ أرقش ذيله باستنكار وسأله: «وهل هاجمك؟».
أقرّ بسّ الغمام: «ليس تماماً، ولكنّه كان ينبح كثيراً».
قاطعه قلب النّار: «يمكنك إخبار زملائك بكلّ التفاصيل لاحقاً».
أنت بحاجة إلى الرّاحة، وكلّ ما تحتاج العشيرة إلى معرفته الآن أنّك
تعلّمت من تجربتك وأنك ستلتزم من الآن فصاعداً بقانون المحاربين».
اعترض بسّ الغمام: «لكنني لم أخبرهم بعد بلقائنا بدورية عشيرة
الرياح!».

انتقلت نظرة النّمر الأسود الباردة من بسّ الغمام إلى قلب النّار
متسائلاً: «دورية عشيرة الرياح؟ هذا يفسّر ذاك الخدش على أنفك يا
قلب النّار. هل طردوكم؟».

حدّقت عاصفة الرّمال إلى المحارب المخطّط قائلة: «بل نحن
الذين طردناهم! وقاتل بسّ الغمام مثل محارب».

نظر الرّعب الأبيض إلى بسّ الغمام بدهشة: «حقاً؟».
قال قلب النّار: «لقد تغلّب على أحد مبتدئي عشيرة الرياح بمفرده
ثمّ ساعد عاصفة الرّمال في إبعاد الكفّ الأترب».

خفضت الفأرة السّمراء رأسها لبسّ الغمام قائلة: «أحسنّت»، فأوماً
بسّ الغمام برأسه باحترام.

سألهم النّمر الأسود: «أهذا كلّ شيء؟ هل سنعيده بيننا؟».
قال الرّعب الأبيض ببطء: «حسناً، هذا القرار يعود إلى نجمة

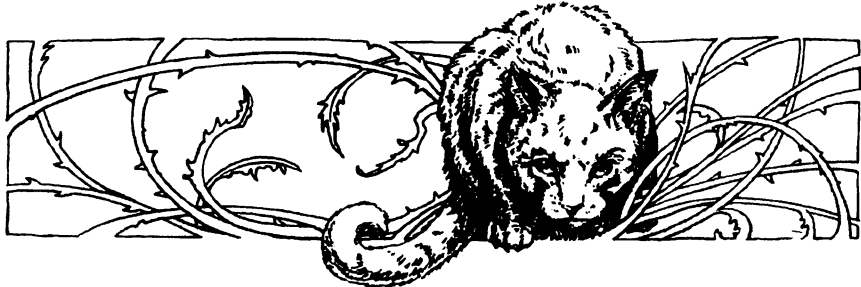
الصَّبَاحَ بالطَّع. لكنَّ عشيرة الرَّعد بحاجة إلى المحاربين أكثر من أيِّ وقت مضى. وأعتقد أنَّه سيكون من الحماقة إخراج بسّ الغمام من العشيرة الآن».

شجر النَّمِر الأسود وقال: «وكيف يمكننا أن نثق في أن هذا البسبوس الأليف لن يهرب مجدداً عندما تسوء الأمور؟». هسّ بسّ الغمام قائلاً: «أنا لست بسبوساً أليفاً. كما أنني لم أهرب، بل اختُطفت!».

رأى قلب النَّار كيف استلَّ النَّمِر الأسود مخالفه بغضب، فأقرَّ قائلاً: «النَّمِر الأسود محقٌّ»، وتقبَّل على مضض احتمال أن يشارك بقيَّة أفراد العشيرة المحارب المخطَّطَ مخاوفه. فالأمر يحتاج إلى أكثر من مجرَّد بضع كلمات لإقناع العشيرة بضرورة الثَّقة في هذا المبتدئ مجدداً. قال: «سأذهب للتحدّث مع نجمة الصَّبَاح. فالرَّعب الأبيض على حقّ، القرار متروك لها».



telegram @
yasmeenbook



الفصل 22



«قلب النار؟» نظرت نجمة الصّباح إلى الأعلى بينما كان يشقّ طريقه عبر الأشنة. كانت لا تزال مكورة في فراشها، فراؤها منفوش والقلق بادٍ في عينيها. فتساءل قلب النار ما إذا كانت قد تحرّكت من مكانها منذ أن رآها آخر مرّة.

أعلن قائلاً: «لقد عاد بسّ الغمام». لم تكن لديه أدنى فكرة عن ردّ فعل نجمة الصّباح على أيّ خبر جديد هذه الأيام، لذلك قرّر أن يخبرها بكلّ شيء من دون مواربة. «كان في أراضي ذوي السّاقين وراء المرتفعات».

سألته بدهشة: «وهل وجد طريق العودة من هناك؟». هزّ قلب النار رأسه نافياً. «بل رآه بسّ أدهم، وجاء ليخبرني عن مكانه».

«بسّ أدهم؟» ظهر الإرباك في عيني الهرة المسنّة. ذكرها قلب النار مربكاً: «أوه... إنه التلميذ القديم للنمر الشرس». أجابت بحدّة: «أنا أعرف من يكون بسّ أدهم! ولكن ماذا كان يفعل في أراضي عشيرة الرّعد؟».

كرّر قلب النار: «جاء ليخبرني عن بسّ الغمام».

ردّدت نجمة الصّباح وهي تميل رأسها جانباً: «بسّ الغمام، هل عاد؟ لِمَ عاد؟».

«أراد العودة إلى العشيرة، فقد أخذه ذوو السّاقين رغماً عنه».

تمتت نجمة الصّباح: «إذاً، فقد أعادته عشيرة النّجوم إلى الدّيار».

أضاف قلب النّار: «بمساعدة بسّ أدهم».

حدّقت نجمة الصّباح إلى أرض الوكر الرّمليّة. «ظننتُ أنّ عشيرة النّجوم أرادت أن يجد بسّ الغمام حياته خارج العشيرة». كان صوتها ينمّ عن التّفكير. «ربّما كنت مخطئة». التفتت إلى قلب النّار وسألته: «هل ساعدك بسّ أدهم؟».

«نعم. قادنا إلى حيث كان بسّ الغمام سجيناً. حتّى إنّهُ أنقذنا من الكلاب».

سألته نجمة الصّباح فجأة: «وماذا قال بسّ أدهم عندما أخبرته عن خيانة النّمر الشّرس؟».

فوجئ قلب النّار من سؤالها المباغت، فأجاب بحذر: «حسناً، لقد... صُدم بالطّبع».

«لكنّه حاول تحذيرنا منه، أليس كذلك؟» بدا النّدم واضحاً في صوت نجمة الصّباح. «لقد تذكّرتُ الآن. لماذا لم أصغِ إليه؟».

جاهد قلب النّار لإيجاد طريقة لإراحة زعيمته. «كان بسّ أدهم مجزّد مبتدئ في ذلك الحين، وكان الجميع يقدّرون النّمر الشّرس. فقد أخفى خيانتَه بمهارة».

تنهّدت نجمة الصّباح قائلة: «لقد أخطأتُ في الحكم على النّمر الشّرس وعلى بسّ أدهم أيضاً. أنا مدينة له باعتذار». نظرت إلى قلب النّار بعينين مثقلتين بالأسف. «هل أدعوه للانضمام مجدّداً إلى العشيرة؟».

هزّ قلب النّار رأسه نافياً. «لن يرغب بسّ أدهم في العودة يا نجمة الصّباح. لقد تركناه في أراضي ذوي السّاقين، في المكان الذي يعيش فيه بربر، وهو سعيد هناك. كنتِ على حقّ عندما قلتِ لي إنّهُ سيجد حياة تناسبه أكثر خارج العشيرة».

«لكنّني كنت مخطئة بشأن بسّ الغمام».

شعر قلب النّار كما لو أنّ المحادثة تخرج عن نطاق السيطرة. فمساءً قائلاً: «أعتقد أنّ حياة العشيرة ستلائمه في النّهاية». أمل أن يبدو أكثر ثقة ممّا يشعر به وهو يضيف: «لكن أنت وحدك من سيقرّر ما إذا كان ينبغي أن نعيده أن لا».

«ولماذا لا نفعل؟».

اعترف قائلاً: «يعتقد النّمّر الأسود أنّ بسّ الغمام سينجذب مجدّداً إلى أصوله كبسبوس أليف».

«وما رأيك أنت؟».

أخذ قلب النّار نفساً عميقاً وقال: «أعتقد أنّ الوقت الذي قضاه مع ذوي السّاقين علّمه أنّ قلبه في الغابة، مثلي تماماً».

شعر بالارتياح لدى رؤية عيني نجمة الصّباح تلمعان استحساناً.

«حسن جدّاً، يمكنه البقاء».

«شكراً لك يا نجمة الصّباح». عرف قلب النّار أنّه يجب أن يكون أكثر سعادة لقبول بسّ الغمام مجدّداً في عشيرة الرّعد، لكنّ ارتياحه كان لا يزال مشوباً بالشكّ. فقد قاتل بسّ الغمام بمهارة دورية عشيرة الرّياح، وبدأ سعيداً حقّاً بعودته إلى المخيم، لكن إلى متى سيستمرّ ذلك؟ حتّى يملّ من التدريب، أم حتّى يسأم من اصطیاد طعامه؟

تابعت نجمة الصّباح مفكّرة: «علينا أيضاً أن نخبر قطط العشيرة أنّهم

إذا رأوا بسّ أدهم في أراضينا، فيجب عليهم التّرحيب به كما يرحّبون بالأصدقاء».

خفض قلب النّار رأسه بامتنان. لم يكن لدى بسّ أدهم سوى حفنة من الأصدقاء عندما كان مبتدئاً، وذلك لشدة خوفه من النّمر الشّرس، ولكن ما من سبب ليحقد عليه أيّ هزّ في عشيرة الرّعد. سألتها: «متى ستعلنين الخبر المتعلّق ببسّ الغمام؟». سيكون من الجيّد أن ترى العشيرة زعيمتها على الصّخرة العالية مجدداً.

أمرته نجمة الصّباح: «أخبرهم أنت». وخزته خيبة الأمل كالشّوك. ألم تعد نجمة الصّباح تشعر قادرة على مخاطبة عشيرتها؟ ومع أنّه كان متلهّفاً لإخبار بقيّة القطط أنّ باستطاعة بسّ الغمام البقاء، إلّا أنّه كان بحاجة إلى التأكيد لهم أنّ نجمة الصّباح هي التي اتّخذت هذا القرار. فقد لازمت وكرها طويلاً وأوكلت الكثير من مهام إدارة المخيم اليومية لقلب النّار، فكيف يمكن لقطط العشيرة أن يعرفوا أنّها هي التي أمرت بذلك؟ أمّا إذا أعلنت هذا الأمر بنفسها، فلن يتمكّن حتّى النّمر الأسود من الاعتراض.

وقف قلب النّار بصمت، والأفكار تدور في رأسه. زمّت نجمة الصّباح عينيها متسائلة: «هل ثمة خطب ما؟». جازف قلب النّار قائلاً ببطء: «ربّما ينبغي على النّمر الأسود إخبار بقيّة القطط. ففي النهاية، هو الذي اعترض».

أمسك قلب النّار أنفاسه وهو يرى نظرة شكّ تعبر عيني نجمة الصّباح للحظات قبل أن تقول: «أنت تزداد دهاءً يا قلب النّار، لكنك محقّ، على النّمر الأسود أن ينشر الخبر بنفسه. أرسله إليّ».

بحث قلب النّار في تعابيرها، متسائلاً ما إذا كانت قد شعرت بالقلق

من مكره أو من فكرة رؤية النمر الأسود، غير أنّ عينيها لم تكشف شيئاً مما يدور في خلدّها وهو يودّعها مغادراً الوكر.

لم يكن النمر الأسود قد تحرّك من مكانه. جلس منتظراً حكم نجمة الصّباح، بينما واصل بقيّة القطط القيام بواجباتهم المعتادة. نظر القلائل الذين بقوا في الفسحة إلى الأعلى بفضول بينما كان قلب النّار يتعدّ عن الصّخرة العالية.

حدّق إلى عيني النمر الأسود الكهرمانيتين، محاولاً ألا يكشف إحساسه بالانتصار، وأوماً برأسه إلى وكر نجمة الصّباح، مشيراً بحركة من ذيله إلى أنّ زعيمة العشيرة تريد رؤيته. بينما كان المحارب المخطّط يمرّ بجانبه، ركض إلى كدسة الطرائد الطازجة، والتي كانت عامرة أساساً على الرّغم من أنّ الشمس لم تبلغ بعد كبد السّماء. فكّر بارتياح كم كان صيد الدّوريات وفيراً، وهو يلتقط سنجاباً بين فكّيه للتخفيف من وطأة التعب والجوع اللذين استبدّاه. قال في نفسه، إن كان ثمة عاصفة وشيكة، فإنّه يأمل أن تهبّ قريباً.

في الطّريق إلى أجمة القراص، توجه إلى وكر المبتدئين، إلى حيث جلس بسّ الغمام بمفرده، يلتهم عصفوراً بجوع واضح.

نظر الهزّ الأبيض إلى الأعلى، وابتلع الطّعام على عجل بينما كان قلب النّار يقترب. للمرّة الأولى، بدا مواؤه مشوباً بالقلق: «ماذا قالت؟». وضع قلب النّار سنجابه مجيباً: «يمكنك البقاء».

أخذ بسّ الغمام يخرخر عالياً، ثمّ ماء يقول: «عظيم! متى سنذهب للتدريب؟».

شعر قلب النّار بألم في أكفّه لدى التّفكير في ذلك، فأجاب: «ليس اليوم، عليّ أن أستريح».

بدت الخيبة على وجه بسّ الغمام.

وعده قلب النّار بشيء من التّسلية: «غداً نذهب». وشعر رغباً عنه بالبهجة أمام حماسة تلميذه لاستئناف عاداته القديمة. «بالمناسبة، رويّت لهم قصّة رائعة. فقد جعلت مغامرتك الصغيرة تبدو بطولة حقيقة». نظر المبتدئ بإحراج إلى أكفّه بينما تابع قلب النّار يقول: «ولكن ما دمت ستبدأ باحترام قانون المحاربين، فإنني سأترك العشيرة تعتقد أنك اختطفت من قبل ذوي السّاقين...».

تمتم بسّ الغمام: «ولكن هذا ما حدث بالفعل». حدّق إليه قلب النّار بجديّة قائلاً: «نحن نعرف أنّ هذا ليس صحيحاً تماماً. وإذا أمسكت بك وأنت تنظر إلى سياج ذوي السّاقين مجدّداً، فسوف أطرّدك من العشيرة بنفسى!». «حسناً يا قلب النّار، هذا مفهوم».

تكوّر قلب النّار في فراشه في المساء التّالي وقد غمرته السّعادة. فقد سارت جلسة التّدريب مع بسّ الغمام بشكل جيّد. هذه المرّة، أصغى تلميذه بعناية إلى كلّ التّعليمات، ولم يستطع أن يُنكر أنّ تقنيات القتال لديه تتحسن جيّداً. أتمنّى فقط أن يستمرّ ذلك، هذا ما فكّر فيه وهو يغطّ في سبات عميق.

شقّت الغابة طريقها إلى أحلامه. لاحت جذوع الأشجار أمامه عبر الضّباب، واختفت في السّحب وهي ترتفع إلى الأعلى. نادى قلب النّار، لكنّ الصّمت المخيف طمس صوته. داهمه الدّعر وهو يبحث عن معالم مألوّفة، ولكنّ الضّباب كان كثيفاً جدّاً. بدت الأشجار وكأنّها تُضيق عليه، وتقترّب من بعضها البعض أكثر من العادة، لتحثك جذوعها

السوداء بفرائه. اشتَمَ الهواء، فشعر بالذعر من رائحة نفاذة عرفها لكنّه لم يستطع تحديد مصدرها.

فجأة، أحسّ بنعومة فراء آخر يضغط على فرائه. أحاطت به رائحة مألوفة على نحو مؤلم، وهذأت عقله المضطرب مثل شربة ماء بارد. كانت الورقة الرقطاء.

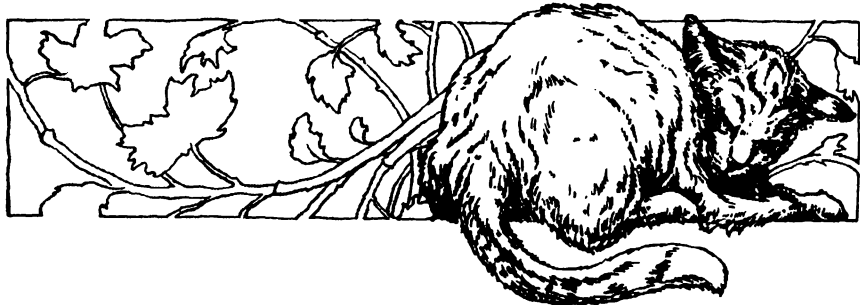
ماء قلب النّار قائلاً: «ماذا يحدث؟»، لكنّ الورقة الرقطاء لم تجبه. التفت إليها، غير أنّه بالكاد استطاع رؤيتها عبر الضباب. لم يستطع أن يرى سوى عينيها الكهرمانيتين المليئتين بالخوف قبل أن يكسر الصمت عواء أحد ذوي الساقين.

ركض شابان من ذوي الساقين في الضباب، وكان الخوف بادٍ على وجهيهما. فشعر قلب النّار أنّ الورقة الرقطاء تبتعد، واستدار لرؤيتها تختفي في الضباب. فأدرك مرعوباً أنّه ترك وحيداً مع الشابين المندفعين نحوه، وهما يضربان أرض الغابة بأقدامهما.

استيقظ مجفلاً. فتح عينيه وجال بهما في أرجاء الوكر. كان ثمة خطب ما. لقد غزا عالم أحلامه عالم يقظته، إذ كانت الرائحة النفاذة لا تزال تملأ الهواء، بينما تسرّب ضباب غريب عبر الأغصان. قفز قلب النّار على أكفّه وخرج من الوكر، ليفاجأ بضوء برتقالي خافت يلمع بين الأشجار. هل بزغ الفجر؟

أصبحت الرائحة أقوى، وبرعب عميق، أدرك ماهيتها.

حريق!



الفصل 23



صاح قلب النار: «حريق! استيقظوا!».

تعثرت بياض الثلج وهي تخرج من وكر المحاربين، وقد اتسعت عيناها خوفاً.

أمر قلب النار: «علينا أن نغادر المخيم على الفور! أخبري نجمة الصباح أن الغابة تحترق!».

ركض إلى وكر المسنين ونادى من بين أغصان شجرة السنديان القديمة: «حريق! اخرجوا!» ثم جرى مسرعاً إلى حيث كان المبتدئون ينهضون من فراشهم بكسل. قال: «غادروا المخيم! اتجهوا إلى النهر». حدق إليه بس الغمام بحيرة، وكان لا يزال في حالة ذهول بسبب النوم. فكرر بالحاح: «توجهوا إلى النهر!».

كانت بياض الثلج تساعد نجمة الصباح على عبور الفسحة المغطاة بالضباب. بدا الخوف مثل قناع على وجه الزعيمة التي راحت بياض الثلج تدفعها إلى الأمام بأنفها.

صاح قلب النار: «من هنا!»، وأوماً بذيله قبل أن يندفع لمساعدة الهرة البيضاء في توجيه نجمة الصباح نحو المدخل. كان بقية القطط يمرّون بجانبهم وقد انتصب فراؤهم خوفاً.

بدت الغابة وكأنها تزار من حولهم، وعلا على هذا الضجيج صراخ ذوي الساقين المحموم وهم يندفعون عبر الغابة. كان الدخان يحتاج بكثافة الفسحة الآن، وخلفه ضوء النار الذي بدا أكثر سطوعاً مع اقترابه من المخيم.

لم تبدأ نجمة الصباح بالجري إلا بعد أن خرجت، إذ علقت وسط تيار القطط المتدافعين وهم يغادرون الوادي. أمرهم قلب النار: «توجهوا إلى النهر، وراقبوا بعضكم البعض. لا تغفلوا عن أحد». شعر بهدوء غريب بداخله، مثل بركة من المياه الجليدية، بينما احتدم الضجيج والحرارة والدَّعر في الخارج.

عاد قلب النار لجمع صغار غصن الصفصاف الذين كانوا يكافحون وراء أمهم. كانت تحمل أصغر البسايس بفمها، وبدا الرعب في عينيها فوق حملها الذي كان يصطدم بقائمتيها الأماميتين. سألتها قلب النار: «أين زهرة الذهب؟».

أشارت بأنفها إلى الوادي. فأوماً قلب النار برأسه، وقد شعر بالارتياح لأن إحدى إناث الحضانة وصغارها قد أصبحوا بأمان خارج المخيم. نادى النمر الذئال، الذي كان أساساً في وسط الطريق يتسلق المنحدر الصخري. عندما عاد المحارب للهبوط، التقط قلب النار بسبوساً آخر لغصن الصفصاف ومزّره إلى الفأرة السمراء، التي راحت تجري خلفه. حمل الثالث، وعندما وصل النمر الذئال إلى جانبه، أعطاه الصغير. أمره وهو يعلم أن الهرة الأم لن تواصل الجري إلا إذا علمت أن صغارها بخير: «ابقَ بجوار غصن الصفصاف!».

وقف قلب النار في قاع الوادي وشاهد القطط وهم يندفعون إلى الأعلى. انتشرت سحب الدخان في السماء، مخفية الفراء الفضّي

عن الأنظار. فتساءل لفترة وجيزة ما إذا كانت عشيرة النجوم تشاهد ما يجري. خفض نظره ورأى فراء نجمة الصّباح الرّمادي الكثيف يبلغ قمة المنحدر، يحيط بها بقية القطط. أخيراً تبعهم، وهو ينظر من فوق كتفه أثناء تسلّقه إلى القمة ليرى النّار وهي تمدّ ألسنة برتقالية جائعة إلى الوادي، وتلتهم السّرخس الجافّ في طريقها إلى المخيم.

وصل قلب النّار إلى أعلى التّلة ونادى القطط الهاربة قائلاً: «انتظروا!». توقّفوا والتفتوا إليه. لسع الدّخان عينيه بينما كان يحدّق إلى أبناء العشيرة من خلال السّحب الخائقة. سألهم وهو يتفحص الوجوه: «هل ثمة أيّ هزّ مفقود؟».

ارتفع صوت بسّ الغمام في مواء مرعوب: «أين الذّيل الأبتري وكشكول؟».

رأى قلب النّار الرّؤوس تستدير لتنظر إلى بعضها البعض وأجاب شمشوم: «إنهما ليسا معي».

ماء الرّعب الأبيض قائلاً: «لا بدّ أنهما ما زالا في المخيم!». ارتفع نحيب زهرة الذهب اليائس عبر الأشجار فوق ضجيج النّار. «أين بسبوس العنبر؟ كان خلفي وأنا أتسلّق الوادي!».

شعر قلب النار بالدوار، هذا يعني أنّ ثلاثة من أفراد العشيرة كانوا في عداد المفقودين. فوعدهم قائلاً: «سأعثر عليهم. من الخطر بالنسبة إليكم البقاء هنا لفترة أطول. أيّها الرّعب الأبيض والنمر الأسود، تأكّدا من وصول بقية أفراد العشيرة إلى النّهر».

احتجّت عاصفة الرّمال وقالت وهي تشقّ طريقها بين القطط لتقف بجانبه: «لا يمكنك العودة إلى هناك!»، ونظرت إليه بعينها الخضراوين. أجاب قلب النّار: «عليّ ذلك».

قالت: «سأرافقك إذاً».

قال الرّعب الأبيض: «كلّا! نحن نفتقر أساساً إلى المحاربين. إننا بحاجة إليك للمساعدة في إيصال العشيرة إلى النّهر».

«أنا ساتي إذاً!».

حدّق قلب النّار برعب إلى فراء الرّماد وهي تعرج متقدّمة إليه.

مءت قائلة: «أنا لست محاربة، ولن أكون مفيدة على أيّ حال إذا ما واجهتنا دورية معادية».

أجاب قلب النّار بحدّة: «مستحيل!». لا يمكنه أن يسمح لفراء الرّماد بالمجازفة بحياتها. غير أنّه ما لبث أن رأى فراء جمرة المشعث وهي تشقّ طريقها عبر حشد القطط.

قالت الهرة المداوية المسنّة لفراء الرّماد: «قد أكون مسنّة، ولكنّ مشيتي أكثر اتزاناً من مشيتك. ستحتاج العشيرة إلى مهاراتك العلاجية، أمّا أنا، فسأرافق قلب النّار. ابقِي أنت مع العشيرة».

فتحت فراء الرّماد فمها، لكنّ قلب النّار صاح قائلاً: «لا وقت للجدال. جمرة، تعالي معي. أمّا أنتم البقيّة، فتوجّهوا إلى النّهر».

استدار قبل أن تتمكّن فراء الرّماد من الجدال، وبدأ يشقّ طريقه عائداً إلى أسفل الوادي، وسط الدّخان والحرارة المحتدمة.

كان قلب النّار مرعوباً، لكنّه أجبر نفسه على الاستمرار في الجري عندما وصل إلى قاع الوادي، واستطاع سماع جمرة وهي تلهث خلفه.

كان الدّخان يجعل كلّ نفس مؤلماً، حتّى بالنسبة إلى رثتيه الشابتين.

ومضت ألسنة اللهب السّاطعة خلف جدار المخيم مباشرة، ومزّقت بنهم السّرخس المنسوج بعناية، لكنّها لم تكن قد بلغت الفسحة بعد. كان وكر المسنّين هو الأقرب، فكافح قلب النّار للوصول إليه وهو بالكاد يرى

أمامه. سمع طقطقة ألسنة اللهب وهي تعلق الجانب الأبعد من شجرة
السنديان القديمة المقطوعة. كانت الحرارة حارقة، وشعر كما لو أن النار
ستشتعل في المخيم في أي لحظة.

رأى قلب النار الذيل الأتر منهاراً أسفل غصن. استلقى كشكول
بجانبه، وقد غرز فكّيه في ظهر الذيل الأتر كما لو كان يحاول جرّ صديقه
إلى برّ الأمان عندما سقط.

توقّف قلب النار مصدوماً، لكنّ جمرة اندفعت من أمامه وبدأت
تسحب جسد الذيل الأتر إلى مدخل المخيم.

صاحت وفمها مليء بالفراء: «لا تقف هكذا، ساعدني في إخراجهما
من هنا».

أمسك قلب النار كشكول بفكّيه وسحبه عبر الفسحة المليئة
بالدخان إلى النفق. كافح لكي لا يسعل وهو يسحب كشكول بين نبات
القندول، والأشواك الحادة تعلق بالفراء المتلبّد للهرّ المسنّ. وصل قلب
النار إلى قاع الوادي وبدأ يندفع إلى الأعلى. ارتعش كشكول بين فكّيه،
وشعر بجسده ينكمش في سلسلة من التشنّجات العنيفة، غير أنّه واصل
صعود المنحدر، بينما ألّمته رقبتة من ثقل الهرّ غير الواعي.

في الأعلى، جرّ كشكول إلى الصّخور المسطّحة، واستلقى الهرّ
العجوز وهو يئن غير قادر على الحراك. بعد ذلك التفت قلب النار
للبحث عن جمرة. كانت الهزّة المداوية تكافح للخروج من نفق
القندول، وهي تتنفس بصعوبة بسبب الدخان القاتل. ابتلعت النيران
الأشجار التي كانت تؤوي العشيرة، وألهبت جذوعها. رأى جمرة تحدّق
إليه والذيل الأتر بين فكّيهما، وبدأت عيناها البرتقالتان كبيرتين من شدة
الخوف. فثنى قائمته الخلفيتين استعداداً للقفز نحوها، لكنّ مواء مرعوباً

جعله ينظر إلى الأعلى. التفت من خلال الدخان المتصاعد، ليرى صغير زهرة الذهب متشبثاً بأغصان شجرة صغيرة نابثة في سفح الوادي. كان لحاء الشجرة يشتعل أساساً، وبسبوس العنبر يصيح يائساً بعد أن بدأت النيران تلتهم الجذع.

من دون أن يتوقّف للتفكير، قفز نحو الشجرة المشتعلة. غرز مخالبه في الجذع فوق النيران، ووصل إلى الصغير. ارتفعت النيران خلفه، وراحت تعلق بألستها الجذع بينما كان قلب النار يتقدّم مترجحاً نحو الصغير. كان البسبوس متشبثاً بالغصن، وعيناه مغلقتان بإحكام، فيما فتح فمه واسعاً في صراخ صامت. فأمسكه قلب النار بفكيه، وكاد أن يفقد توازنه عندما أفلت بسبوس العنبر قبضته وتأرجح في الهواء. وبأسنانه القابضة على مؤخر عنق بسبوس العنبر، تمكّن قلب النار من إحكام قبضته على اللحاء الخشن. لم يعد بإمكانه الهبوط مجدداً إلى أسفل الجذع، ذلك أنّ النيران كانت قد اشتعلت فيه بقوة الآن. سيتحتّم عليه التسلّق إلى أبعد مسافة ممكنة على طول الجذع، قبل أن يقفز إلى الأرض. فما كان منه إلّا أن أطبق فكيه، وصمّ أذنيه عن صراخ بسبوس العنبر، ثمّ بدأ يزحف بعيداً عن الجذع.

مال الغصن وانخفض تحت ثقله، لكنّه أجبر نفسه على الاستمرار. خطوة واحدة، وكان مستعداً للقفز. من خلفه، أحرقت النيران فراءه، وامتلاً أنفه برائحة الفراء المحترق. انخفض الغصن مجدداً، ورافقه هذه المرّة صوت تكسّر مخيف. ساعديني يا عشيرة النجوم! راح قلب النار يدعو بصمت. أخيراً أغمض عينيه، وثنى قائمته الخلفيتين، ثمّ قفز إلى الأرض.

خلفه، دوى صوت تكسّر عالٍ. هبط قلب النار وكاد اصطدامه

بالأرض أن يقطع أنفاسه. تعرّ محاولاً أن يتشبّث بسفح الوادي، وأدرك برعب أنّ النار قد أحرقت الجذع، وسقطت الشجرة بأكملها في الوادي. حطّت الشجرة الملتهبة بعيداً عن الهرّ، مخفية مدخل المخيم خلف جدار من الأغصان المحترقة. ولم يعد بإمكان قلب النار الوصول إلى جمرة.



الفصل 24



«جمرة!».

أفلت قلب النار بسبوس العنبر وصاح باسم الهزة المداوية. ضجّت أذناه بالدماء وهو يصغي لردّها، لكنّه لم يسمع سوى طقطقة النيران المروعة.

جثم بسبوس العنبر على أكفّه، وضغط بجسده الصّغير على قوائم قلب النار. فالتقطه هذا الأخير وجسده ينبض بالخوف والإحباط، وبالكاد يشعر بالألم الذي خلّفته الحروق على جنبيه، ثمّ أسرع يصعد المنحدر عائداً إلى كشكول.

لم يكن الهزّ العجوز قد تحرك من مكانه. رأى صدره يعلو ويهبط بضعف، وعرف أنّ كشكول لن يتمكّن من الركض إلى برّ الأمان. فأنزل بسبوس العنبر على الأرض وماء قائلاً: «اتبعني!»، قبل أن يطبق بفكيه على مؤخّر عنق كشكول. ألقي نظرة أخيرة على المنحدر المشتعل، ثمّ جرّ الهزّ الأبيض والأسود بعيداً عن الوادي إلى الأشجار. لحق بهما بسبوس العنبر متعثراً وقد أسكته الصدمة، الذي جال بعينه حوله من دون تركيز. فتمنّى قلب النار لو أنّ بإمكانه حملهما هما الاثنين، لكنّه لم يستطع ترك كشكول يموت حيث كان راقداً. بشكل من الأشكال،

سيتعين على بسبوس العنبر أن يستجمع القوة اللازمة للبقاء على قيد الحياة خلال هذه الرحلة المربعة على أكفّه.

كان قلب النار يتتبع أثر بقية القطط بشكل أعمى، وبالكاد يرى الغابة المحيطة به، على الرغم من أنه كان يلتفت كلّ بضع لحظات ليتأكد من أن بسبوس العنبر لا يزال خلفهما. امتلاً ذهنه بالمشهد الأخير للوادي، عندما ابتلعت موجة مربعة من اللهب والدخان المخيم، الذي كان بيته. أما بالنسبة إلى جمرة والذيل الأبر، فلم يجد لهما أثراً على الإطلاق.

لحقوا ببقية عشيرة الرعد عند الصخور المشمسة. مدد قلب النار كشكول بلطف على سطح الصخرة، بينما ركض بسبوس العنبر مباشرة إلى زهرة الذهب، التي حملته من عنقه وراحت تهزّه بعنف، وقد خنقتها الخرخرة التي علت في صدرها. بعد ذلك، وضعت على الأرض وبدأت تلحق فراءه الملطّخ بالدخان بحركات غاضبة، سرعان ما تحولت إلى لعقات لطيفة. نظرت الهزة الشّقراء الشّاحبة إلى قلب النار بامتنان لم تستطع التعبير عنه بالكلمات.

فرف عينيه وأشاح بنظره بعيداً. بدأ يخشى أن تكون جمرة قد ذهبت ضحية الحريق عندما توقّف لإنقاذ ابن النمر الشرس، ثم هزّ رأسه بعنف، رافضاً التفكير في ذلك، فعشيرته بحاجة إليه. حدّق حوله إلى القطط المذعورة الجاثمة على الصخر الأملس. هل ظنّوا أنهم آمنون هنا؟ كان ينبغي عليهم مواصلة السير إلى النهر. زمّ عينيه محاولاً رصد مكان عاصفة الرمال بين الأشكال المتجمّعة، لكنّ تعبهِ اللامتناهي جعله يشعر أنّ قوائمه أثقل من الصخر، ولم يتمكّن من استجماع القوة الكافية للنهوض والبحث عنها.

أحسّ بكشكول يتحرّك بجانبه. رفع الهزّ العجوز رأسه، وهو يلهث لتنفس الهواء، قبل أن ينهار ويصاب بنوبة سعال جعلت فراء الرّماد تتقدّم بصعوبة من بين حشد القطط. راقبها قلب النّار وهي تضغط بكفّها بشدّة على صدر كشكول، في محاولة يائسة لتنظيف رثّيه.

توقّف كشكول عن السّعال، ثمّ تمدّد ساكناً، وصامتاً على نحو غريب، لا يصدر عنه حتّى صوت الأزيز. فنظرت فراء الرّماد إلى الأعلى بعينين ملاًهما لحزن، وتمتّت قائلة: «لقد مات».

تردّد مواء الصّدمة بين القطط، فيما حدّق قلب النّار إلى فراء الرّماد غير مصدّق. هل يُعقل أن يحمل كشكول كلّ هذه المسافة ليموت ببساطة؟ وتقريباً في المكان نفسه الذي انتقلت فيه شعاع الفضة إلى عشيرة النّجوم. نظر بقلق إلى فراء الرّماد، مدركاً أنّها تشاطره الأفكار نفسها. كانت عيناها مظلّلتين بالحزن وشارباها يرتعشان عندما انحنت لتغلق عيني الهزّ العجوز بلطف. خشي قلب النّار أن يكون الألم أكثر ممّا تستطيع تحمّله، ولكن بينما كان المسنّون يتقدّمون إلى الأمام لتجاذب الألسنة مع كشكول، جلست الهزّة المداوية ونظرت إلى قلب النّار. همست أخيراً بنبرة غير مصدّقة: «لقد خسرنا هزّاً آخر، لكنّ حزني لن يساعد العشيرة».

أجابها بلطف: «لقد بدأت تتكلّمين بقوة مثل جمرة».

حملقت إليه قائلة: «جمرة! أين هي؟».

شعر بألم حادّ في صدره، كما لو أنّ شظيّة من الشجر المحترق استقرّت في قلبه. اعترف قائلاً: «لا أدري، فقد أضععتها في الدّخان بينما كانت تنقذ الذّيل الأبتري. أردتُ العودة، لكنّ البسبوس...». غار صوته، واكتفى بالتّحديق إلى الهزّة الرّمادية المداوية التي طغى على عينيها ألم

هائل. ما الذي يحدث لعشيرتهم؟ هل أرادت عشيرة النجوم حقاً قتلهم جميعاً؟

سعل بسبوس العنبر، فنهضت فراء الرّماد وهي تهزّ رأسها كما لو أنّها تخرج من ماء جليدي. شاهدها قلب النّار وهي تعرج متّجهة إلى جانب الهزّ، وتحني رأسها لتلحق صدره بقوة من أجل تحفيز تنفّسه. تلاشى السّعال وتحول إلى صفير منتظم، سرعان ما خفّت بينما كانت فراء الرّماد تواصل عملها.

جلس قلب النّار ساكناً يصغي إلى ضجيج الغابة، وشعر بوخز في فرائه بفعل الهواء الحارّ. هبّ نسيم حارق عبر الأشجار من ناحية المخيم، ففتح فمه، محاولاً تمييز الدّخان الحديث من رائحة فرائه المحترق. ألا تزال النّار مشتعلة؟ ثمّ أدرك أنّ بإمكانه رؤية السّماء مليئة بسحب الدّخان بينما كان النّسيم يدفع النّيران بثبات نحو الصّخور المشمسة. سلّح أذنيه عندما سمع زئير النّار يعلو على حفيف الأوراق الناعم، وصاح بصوت أجشّ مشوب بالألم بعد أن اشتّم الدّخان: «الحريق يقترب من هذا الاتجاه، علينا مواصلة سيرنا إلى النّهر. لن نكون آمنين إلّا إذا عبرنا إلى الضفّة الأخرى، فالنّار لن تصل إلينا هناك».

نظر القطط إلى الأعلى بذهول، وأعينهم تلمع بشكل خافت في الليل. كان ضوء النّار يسطع أساساً بين الأشجار. وقد بدأت سحب الدّخان تهبّ على الصّخور المشمسة، بينما علا صوت النّيران التي أججتها الرّياح المتصاعدة.

من دون سابق إنذار، أضاءت الصّخور والغابة بوميض مبهر، ثمّ ما لبث أن انفجر صوت هادر فوق رؤوس القطط الذين انبطحوا على الصّخرة. نظر قلب النّار إلى السّماء، ورأى خلف الدّخان المتصاعد

سحباً ممطرة تتدافع نحوهم في السماء. فاختلط الرعب القديم بالارتياح عندما أدرك أنّ العاصفة هبت أخيراً.

صاح مشجعاً زملائه الخائفين: «المطر قادم، وسيطفئ النيران! لكن يجب أن نذهب الآن، وإلا فلن ننجو!».

دفع الفراء الأشقر نفسه للهبوط عن الصخرة أولاً. وعندما استوعب بقيّة أفراد العشيرة ما عليهم فعله، بدأوا ينهضون هم أيضاً. فقد فاق رعبهم من النار خوفهم الغريزي من السماء الهائجة. مشوا بقلق فوق الصخر، غير واثقين من الطريق الذي يتعين عليهم سلوكه، وتنفس قلب النار الصعداء عندما رأى عاصفة الرمال بينهم، بذيلها المرفوع الذي نفشه الخوف وأذنيها المسطّحتين إلى الخلف. بدأ بقيّة القطط يتعدون عن بعضهم البعض، ليرى أخيراً نجمة الصّباح جالسة بلا حراك في وسط الصخرة، وقد أدارت وجهها نحو النجوم. شقّ برق ساطع السماء، لكنّ نجمة الصّباح بقيت ساكنة. فتساءل وهو ينظر إليها غير مصدّق، هل كانت تدعو عشيرة النجوم؟

أمرهم قائلاً: «من هنا!»، وأشار بذيله، بينما دوى صوت الرعد مجدداً.

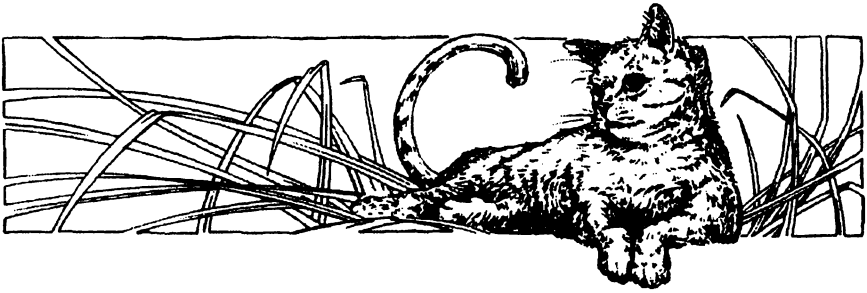
بدأ أفراد العشيرة يهبطون الصخرة باتجاه المسار المؤدّي إلى النهر، واستطاع قلب النار أن يرى ألسنة اللهب تتراقص بين الأشجار الآن. مرّ أرنب مذعور من أمامه، حتّى إنّهُ لم يلاحظ على ما يبدو وجود القطط وهو يتسلّل بينهم أثناء هربه من الحريق والعاصفة لينزلق تحت الصخر، باحثاً بشكل غريزي عن ملاذ في الصخرة القديمة. لكنّ قلب النار كان يعلم أنّ النيران ستبتلع قريباً هذا الجزء من الغابة، ولم يرغب في المخاطرة بخسارة مزيد من القطط في مية فظيعة كهذه.

صاح: «أسرعوا!!»، وأخذ أفراد العشيرة يركضون. حملت الفأرة السّمراء والنّمّر الذّيال صغار غصن الصّفصاف مجدّداً، بينما قام بسّ الغمام والفراء الأغبر بسحب جسد كشكول بينهما، وراحت جثّته الهامدة البيضاء والسّوداء تهتزّ على الأرض. أحاط الرّعب الأبيض وعين الزمرد بنجمة الصّباح، وحثّا زعيمة عشيرة الرّعد على المضيّ قدماً بدفعات لطيفة.

كان قلب النّار يستدير بحثاً عن عاصفة الرّمال عندما رأى النّمة الشّقراء تكافح مع صغيرها بين فكّيها. كان البسبوس قد كبر، ولم تكن النّمة الشّقراء شابةً مثل بقيّة إناث الحضانة، فركض بسرعة وحمل الصّغير عنها. ألقت النّمة الشّقراء عليه نظرة امتنان، ثمّ انطلقت تجري. كانت النّار بجانبهم الآن وهم يتجهون إلى النهر. أبقى قلب النّار عينه على جدار اللهب المتقدّم وهو يحثّ العشيرة على المضيّ قدماً. حولهم، بدأت الأشجار تتمايل مع اشتداد رياح العاصفة التي بدأت تحرك الغابة المحترقة، وتدفع النيران المتأجّجة نحوهم. ظهر النّهر في الأفق، ولكن ما زال يتعيّن عليهم عبوره، ولم يكن قطط عشيرة الرّعد يجيدون السّباحة. كما أنّ الوقت لم يكن يسمح لهم بالذهاب أبعد من ذلك وصولاً إلى الصّخور التي يعبرون عليها النّهر.

بينما كانوا يعبرون خطّ رائحة عشيرة النّهر، شعر قلب النّار بحرارة اللّهب على جنبه، وسمع زئير الحريق المخيف يعلو ويطنغي على ضجيج درب الرّعد. تقدّم مسرعاً ليقود العشيرة نزولاً إلى ضفّة النّهر، ثمّ توقّف في المكان الذي أفسحت فيه أرض الغابة المجال للضفّة المغطّاة بالحصي. توهّجت الأحجار الملساء باللون الفضيّ عندما ومض البرق مجدّداً، لكنّ الرعد الذي أعقبه كان بالكاد مسموعاً بسبب زئير النّار.

تعثر أفراد العشيرة خلفه، وامتألت أعينهم برعب جديد وهم يحدّقون إلى النّهر المتدفّق بسرعة. فشعر قلب النّار أنّ روحه ترتعش لفكرة إقناع أبناء عشيرته الذين يمقتون الليل بخوض النّهر. لكن خلفهم، انقضّت النّار على الأشجار بلا رحمة، وأدرك أنّه ما من خيار آخر أمامهم.



الفصل 25



وضع قلب النار بسبوس النمرة الشقراء عند أكف الرعب الأبيض واستدار لمواجهة العشيرة. صاح قائلاً: «المياه ضحلة بما فيه الكفاية لخوض معظم الطريق، لا بل إنها أقل عمقاً بكثير من المعتاد. ثمة مسافة في الوسط سيتعين عليكم فيها السباحة، لكنكم ستنجحون». نظر إليه أفراد العشيرة بأعين طغى عليها الرعب، غير أنه حثهم قائلاً: «ثقوا بي!». التقت نظرات الرعب الأبيض بنظرات قلب النار للحظات. أخيراً، أوما برأسه بصمت، ثم حمل بسبوس النمرة الشقراء وخاض النهر إلى أن وصل مستوى الماء المظلم إلى بطنه. بعد ذلك، استدار ولوح بذيله ليتبعه الآخرون.

اشتَم قلب النار رائحة مألوفة، ولا مس فراءً أشقر ناعم كتفه. فنظر إلى الأسفل، والتقت عيناه بعيني عاصفة الرمال الخضراوين الزاهيتين. تمتت مشيرة بأنفها إلى النهر المتدفق بسرعة: «هل تعتقد أنه آمن؟».

«نعم، أعدك». أجاب قلب النار بذلك، متمنياً من صميم قلبه لو كانا في مكان آخر، بعيداً عن هذا الشاطئ المهدد بالنيران. رف جفنيه ببطء وهو ينظر إلى المحاربة الصامدة بجانبه، محاولاً تهدئتها بنظراته، بينما

كان يودّ حقاً لو يدفن وجهه في فرائها ويختبئ حتّى ينتهي هذا الكابوس.
أومأت عاصفة الرّمال برأسها كما لو كانت تقرأ أفكاره، ثمّ اندفعت
عبر المياه الضّحلة وغاصت في القناة المركزية، في اللحظة التي أضاء
فيها البرق المياه الهائجة. انقبض صدر قلب النّار عندما زلّت كفّ الهرة
على الحصى واختفت تحت السّطح. شعر بقلبه يتوقّف عن النّبض بينما
زارت أذناه كالرّعد وهو ينتظر ظهورها مجدّداً.

ما لبثت عاصفة الرّمال أن خرجت إلى السّطح وهي تقحّ وتلطم
المياه بأكفّها، لكنّها سبحت بثبات باتجاه الضّفّة الأخرى. كافحت
للخروج إلى الضّفّة، والتصق فراؤها الذي أصبح داكناً بفعل الماء
بجسدها، قبل أن تنادي أبناء عشيرتها قائلة: «واصلوا تحريك أكفكم
وحسب وستكونون بخير!».

تألّم صدره فخراً وهو يحدّق إلى شكلها الرّشيق أمام الأشجار
على الضّفّة الأخرى، وقاوم رغبته في القفز إلى الماء والسباحة للوصول
إليها، لكن كان عليه مراقبة بقيّة العشيرة وهي تعبر أولاً. فأجبر نفسه على
التركيز مجدّداً على أبناء عشيرته عندما بدأوا يخوضون النّهر.

سحب الفراء الأغبر وبسّ الغمام جسد كشكول إلى حافة الماء.
نظر الفراء الأغبر إليه، ثمّ حدّق إلى النّهر، وقد أشار تعبيره الكئيب عن
استحالة حمل الهزّ الميت إلى الضّفّة الأخرى، في حين أنّه من الصّعب
عليه أساساً السّباحة بمفرده.

اقترب قلب النّار من المحارب وتمتم قائلاً: «اتركه هنا»، على
الرّغم من أنّ فكرة ترك هزّ آخر مزّقت قلبه. غير أنّه تابع قائلاً: «يمكننا
أن نعود وندفنه عندما تنطفئ النّار».

أوماً الفراء الأغبر برأسه موافقاً، وخاض النّهر مع بسّ الغمام. كان

من الصَّعب التعرّف على المبتدئ بسبب بقع الدخان التي غطّت فراءه،
فلامس قلب النّار بأنفه جنب الهَرّ الشابّ أثناء مروره، آملاً أن يشعر بسّ
الغمام بمدى فخر مدرّبه بشجاعته الصامته.

عندما رفع قلب النّار رأسه، رأى شمشوم يقف متردّداً عند ضفّة
النهر. على الجانب الآخر، وقفت عاصفة الرمال في الماء الذي بلغ
بطنها، وراحت تساعد القطط وهم يكافحون للوصول إلى الضفّة. نادى
الهَرّ الرّمادي العجوز مشجّعة، لكنّ شمشوم تراجع عندما أضاءت صاعقة
أخرى السّماء. فاندفع قلب النّار إلى الهَرّ المسنّ المرتعش، وأمسك به
من مؤخر عنقه، ثمّ غاص في النّهر. صاح شمشوم وتخبّط، بينما كان
قلب النّار يكافح لإبقاء رأسه فوق السّطح. بدت المياه جليديّة بعد حرارة
اللّهب، ووجد نفسه يلهث لالتقاط أنفاسه، لكنّه واصل السّباحة، محاولاً
أن يتذكّر مدى السّهولة التي سبّح بها النّمر الرّمادي في هذه القناة نفسها.
فجأة، سحبه تيار سريع هو وشمشوم بعيداً عن المسار. فراح قلب
النّار يضرب بأكفّه، وشعر بالذّعر يتصاعد في صدره عندما رأى الضفّة
المنحدرة بلطف تبتعد من أمامه، ليلوح مكانها جدار شديد الانحدار من
الطين. كيف سيخرج من هنا، لا سيّما ومعه شمشوم؟ توقّف الهَرّ المسنّ
عن التخبّط الآن، وتدلىّ مثل حمل ثقيل من بين فكّي قلب النّار. وحدها
أنفاسه الخشنة التي ضجّت في أذني قلب النّار أشارت إلى أنّه لا يزال
على قيد الحياة، وأنّه قد ينجو من هذا العبور. تعرّش قلب النّار في الماء،
محاولاً مقاومة التيار وإبقاء خطم شمشوم فوق السّطح.

من دون سابق إنذار، ظهر رأس هرة مرقطّة من الضفّة وحمل
شمشوم عنه. كانت فراء الفهد، نائبة عشيرة النّهر! راحت تبحث في
الوحوّل عن موطن كفّ، ثمّ أخرجت شمشوم من الماء ووضعتّه على

الأرض، قبل أن تعود مجدداً لمساعدة قلب النار. شعر بأسنانها الحادة تقبض على مؤخر عنقه وهي تسحبه إلى أعلى الضفة الزلقة. فتنفس الصعداء عندما غاصت أكفه في الأرض الجافة. سأله فراء الفهد: «هل الجميع هنا؟».

نظر قلب النار حوله. كان قطع عشيرة النهر يختلطون بقطط عشيرة الرعد الجائمين على الحصى بفرائهم المبلل وأعينهم المصدومة. وكان النمر الرمادي بينهم.

تمتم مجيباً: «أظنّ - أظنّ ذلك». رأى نجمة الصباح ممددة تحت أغصان الصفصاف المتدلية. بدت صغيرة الحجم وضعيفة بفرائها المبلل الذي أظهر خاصرتيها الهزيلتين.

أشارت فراء الفهد بأنفها إلى الشكل الأسود والأبيض الساكن على الضفة الأخرى: «وماذا عن ذاك؟».

التفت قلب النار إليه. كانت نباتات السرخس على الضفة الأخرى تحترق الآن، وترسل شرارات متطايرة فوق النهر أضواء الأشجار بوميضها. همس مجيباً: «لقد مات».

من دون أن تنبس ببنت شفة، نزلت فراء الفهد إلى النهر وسبحت إلى الضفة الأخرى. ومض فراؤها الذهبي في ضوء اللهب وهي تقبض بفكيها على جثة كشكول قبل أن تبدأ بالسباحة بقوة إلى الخلف، وهي تضرب بكفيها الأماميتين المياه السوداء. دوى الرعد في السماء، فأجفل قلب النار، لكنّ نائبة عشيرة النهر لم تتوقف عن السباحة.

«قلب النار!» اندفع النمر الرمادي نحوه وضغط بجسده على صديقه. كان فراؤه دافئاً وناعماً على جسد قلب النار المبلل. «هل أنت بخير؟».

أوماً برأسه، وهو في حالة ذهول، بينما كانت فراء الفهد تسحب
جثة كشكول إلى الضفة. أخيراً، وضعتها عند أكفّه وماءت قائلة: «هيا
بنا. سندفنه في المخيم».

«في... مخيم عشيرة النهر؟».

أجابت فراء الفهد ببرود: «إلا إذا كنت تفضّل العودة إلى مخيمكم». استدارت وتقدّمت الحشد إلى أعلى المنحدر، بعيداً عن النّهر واللهب. عندما نهضت قطط عشيرة الرّعد على أكفّها وبدأت تتبعها، أخذت قطرات المطر الغزيرة تتساقط عبر ظلّة الأشجار في الأعلى. حرّك قلب النّار أذنه. هل أسرع المطر بالهطول لإطفاء نيران الغابة؟ لم يكن قد سبق له أن شعر بإرهاق كهذا وهو يشاهد النمر الرّمادي يرفع جثة كشكول المبلّلة بسهولة بين فكّيه القويّتين. بدأ المطر يزداد غزارة، ويغرق الغابة بينما مشى قلب النّار خلف بقية القطط بأكفّ متعثّرة على الحصى الملساء.

قادت نائبة عشيرة النّهر المجموعة الممزّقة التي سوّدها الدخان عبر أحواض القصب بجانب الضفة، إلى أن ظهرت جزيرة أمامهم. في أيّ فصل آخر ستكون هذه البقعة محاطة بالمياه. أمّا الآن، فكان الدّرب يتلألأ بخفّة بماء المطر المنعش.

عرف قلب النّار هذا المكان. فقد كان محاطاً بالجليد في المرة الأولى التي جاء فيها إلى هنا. كان القصب يرتفع مستقيماً فوق المياه المتجمّدة في ذلك الحين، أمّا الآن، فكان يتمايل بقوة، كما نمت أشجار الصّفصاف الفضيّة بين السيّقان التي أصدرت حفيفاً خفيفاً. تساقط المطر بغزارة على أغصانها الرقيقة المتدلّية على الأرض الزمليّة في الأسفل.

سلكت فراء الفهد ممراً ضيقاً عبر المطر المنهمر وصولاً إلى الجزيرة. كان ثمة رائحة دخان هنا، ولكن زئير النيران تلاشى، واستطاع قلب النار سماع صوت قطرات المطر الرحيمة وهي تتساقط في الماء خلف القصب.

وقف النجم الأعوج في وسط الجزيرة، وأخذ فراؤه يتطاير على كتفيه. لاحظ قلب النار أن زعيم عشيرة النهر ينظر برية إلى النمر الرمادي بينما كانت قطط عشيرة الرعد تدخل المخيم. غير أن فراء الفهد توجهت إلى الهرّ البني الفاتح وشرحت له قائلة: «لقد فرّوا من النيران». سأل النجم الأعوج: «هل عشيرة النهر آمنة؟».

أجابت: «لن تعبر النار النهر، لا سيما الآن بعد أن تغير اتجاه الرياح». اشتتم قلب النار الهواء. كانت فراء الفهد محققة، فقد تغير اتجاه الريح. كانت العاصفة تحمل رياحاً أكثر إنعاشاً من تلك التي كان يشتمها منذ قليل، عبث بفرائه الرطب، وجعلت عقله أكثر صفاء. كان الماء يقطر من شاربیه وهو يلتفت بحثاً عن نجمة الصباح. فقد كان يعلم أن عليها أن تلقي التحية على النجم الأعوج بشكل رسمي، لكنها كانت محاطة بأبناء عشيرتها، رأسها منخفض وعيناها شبه مغمضتين.

شعر قلب النار بانقباض في بطنه من شدة القلق. لا ينبغي لعشيرة الرعد أن تكشف لعشيرة مدى ضعف زعيمتها. فتقدّم بسرعة إلى الأمام بدلاً عنها. قال للنجم الأعوج خافضاً رأسه إلى الأسفل: «لقد أظهرت فراء الفهد ودوريتها لطفاً وشجاعة كبيرين في مساعدتنا على الفرار من النار». فوقه، كان البرق لا يزال يومض في السماء الملبدة بالغيوم، والرعد يهدر من بعيد، مبتعداً عن الغابة.

أجاب زعيم عشيرة النهر: «كانت فراء الفهد محققة في مساعدتكم،

فكلّ العشائر تخشى النار».

تابع قلب النار وهو يرفّ جفنيه للتخلّص من ماء المطر المنهمر: «لقد احترق مخيّمنا وأرضنا ما زالت مشتعلة. ليس لدينا مكان نذهب إليه». كان يعلم أنّه لا يملك الخيار سوى باستجداء عطف زعيم عشيرة النهر.

زَمَ النّجم الأعوج عينيه وصمت، فشر قلب النار أنّ أكفّه أصبحت ساخنة من شدّة الإحباط. من المؤكّد أنّ زعيم عشيرة النهر لن يعتقد أنّ هذه المجموعة البائسة من القطط تشكّل أيّ تهديد، أليس كذلك؟ أخيراً تحدّث النّجم الأعوج قائلاً: «يمكنكم البقاء حتّى تصبح عودتكم آمنة». تنفّس قلب النار الصّعداء وماء وهو يرمش بامتنان: «شكراً لك». عرضت فراء الفهد قائلة: «هل تريد منّا أن ندفن هزّكم المسنّ؟». أجاب قلب النار: «هذا لطف منك، ولكن يجب أن يتمّ دفن كشكول من قبل عشيرته». كان من المحزن بما فيه الكفاية ألاّ يُدفن المحارب المسنّ في أرضه، وعلم قلب النار أنّ أبناء عشيرته سيرغبون في إرساله بأنفسهم في رحلته الأخيرة إلى عشيرة النّجوم.

مأّت فراء الفهد قائلة: «حسن جداً. سأنقل جثّته إلى خارج المخيّم لكي يسهر مسنّوكم معه بسلام». أوماً قلب النار برأسه شاكراً، بينما تابعت فراء الفهد تقول: «وسأطلب من فراء الوحل مساعدة هزّكم المداوية». تفحّصت الهزّة المرقّطة القطط المبلّلة والمرتجفة، وزمّت عينيها عندما سقط نظرها على جسد زعيمة عشيرة الرّعد. «هل أصيبت نجمة الصّباح؟».

أجاب قلب النار بحذر: «لقد كان الدّخان كثيفاً جداً، وكانت من بين آخر من غادروا المخيّم. المعذرة، ولكن عليّ الاطمئنان على عشيرتي».

وقف واتّجه إلى المكان الذي جلس فيه بسّ الغمام وشمشوم جنباً إلى جنب. «هل أنتما قادران على دفن كشكول؟».

ماء بسّ الغمام: «أنا قادر على ذلك، ولكن أعتقد أنّ شمشوم—»
قال شمشوم بصوتٍ خشنٍ جرّحه الدخان: «إنّ حالتي جيّدة بما فيه الكفاية لدفن زميل مسنّ».

قال قلب النّار: «سأطلب من الفراء الأغبر مساعدتكما».
كان ثمّة هزّ بني يتبع فراء الرّماد بين قطط عشيرة الرّعد. حمل حزمة من الأعشاب في فمه، ثمّ وضعها على الأرض الرّطبة عندما توقّفت فراء الرّماد بجانب غصن الصّفصاف وصغارها. كان الصّغار ينتحبون على نحوٍ مثيرٍ للشفقة، لكنّهم رفضوا الشّرب عندما ضغطتهم غصن الصّفصاف على بطنها.

أسرع قلب النّار إليها وسألها: «أهم بخير؟».
أومأت فراء الرّماد مجيبة: «اقترح فراء الوحل أن نعطيهم العسل لإراحة حناجرهم. سيكونون بخير، لكنّ استنشاق الدّخان لم يفدهم».
ماء الهزّ البني بجانبها لغصن الصّفصاف: «هل تعتقدين أنّ بإمكانهم تناول بعض العسل؟» أومأت الهزّة الرمادية برأسها وشاهدت بامتنان هزّ عشيرة النّهر المداوي وهو يحمل حزمة من الطّحالب التي يقطر منها سائل ذهبي لزج. خرخرت عندما أخذ صغارها يلعقونه، بتردّد في البداية، ومن ثمّ بنهم عندما دخلت الحلاوة المهدّئة أفواههم.

ابتعد قلب النّار، وقد اطمأنّ إلى أنّ كلّ الأمور كانت تحت سيطرة فراء الرّماد. وجد ملاذاً عند طرف الفسحة، فجلس ليغتسل. كان طعم فرائه المحروق كريهاً وهو يلعقه. ومع أنّ جسده كان متعباً، إلّا أنّه استمرّ باللّعق، فقد أراد أن يغسل كلّ آثار الدّخان قبل أن يستريح.

عندما انتهى، ألقى نظرة خاطفة على أرجاء المخيم. كان قطط
عشيرة النّهر قد هربوا من المطر وآووا إلى أوكارهم، تاركين قطط عشيرة
الرّعد يحتشدون في مجموعات على طرف الفسحة تحت جدار القصب
الهامس، بحثاً عن حماية من المطر الغزير. رأى قلب النّار الشّكل الدّاكن
للنّمر الرّمادي وهو يتحرّك بين زملاء عشيرته السّابقة ويهدّتهم بمواءه
اللّطيف. أمّا فراء الرّماد، فكانت قد فرغت من الاعتناء بالقطط وتكوّرت
منهكة إلى جانب بسّ أرقش. وبجوار ظهر النّمر الذّيال الفضّي، تمكّن
من تمييز بطن عاصفة الرّمال الأشقر يعلو وينخفض بثبات، في حين
غفت نجمة الصّباح بجانب الرّعب الأبيض.

أراح قلب النّار خطمه على قائمته الأماميتين، يصغي إلى قطرات
المطر وهي تنهمر على الأرض الموحلة. عندما أغمض عينيه، لمعت
صورة وجه جمرة المرعوب في ذهنه. فبدأ قلبه ينبض، لكنّ الإرهاق
سيطر عليه، فاستسلم أخيراً للنّوم.



الفصل 26



عندما استيقظ قلب النار، شعر كما لو أنه لم ينم سوى لبضع لحظات. داعب نسيم بارد فراءه، وكان المطر قد توقّف عن الهطول. في الأعلى، امتلأت السماء بالغيوم البيضاء المتدافعة. للحظة، شعر بالإرباك بسبب البيئة غير المألوفة المحيطة به، ثم بدأ يسمع مواء بجواره، وعرف صوت شمشوم المرتجف.

قال الهزّ المسنّ: «سبق وأخبرتكم أنّ عشيرة النجوم ستغضب علينا! لقد خسرنا بيتنا، فالغابة لم يعد لها وجود».

قالت النّمرّة الشّرقاء بقلق: «كان ينبغي على نجمة الصّباح تعيين النائب قبل علوّ القمر، كما جرت العادة!».

قفز قلب النار على أكفّه، وأذناه تلسعانه، لكن قبل أن يتمكّن من قول أيّ شيء، ارتفع مواء فراء الرّماد.

«كيف يمكنك أن تكون ناكراً للجميل بهذا الشكل؟ لقد حملك قلب النار وخاض بك النّهر يا شمشوم!».

احتجّ شمشوم قائلاً: «كاد أن يغرقني».

ردّت فراء الرّماد: «كنت ستموت لو تركك خلفه. ولو لم يشتم قلب النار رائحة الدّخان في المقام الأوّل، لكنّا جميعاً في عداد الأموات!».

«أنا واثق من أن كشكول، والذليل الأبتَر، وجمرة يشعرون بالامتنان العميق له».

تعكّر فراء قلب النَّار عندما سمع مواء النَّمِر الأسود السَّاخر.
هست فراء الرَّماد: «ستشكره جمرة بنفسها عندما نجدها!».
ردّد النَّمِر الأسود: «نجدها؟ من المستحيل أن تكون قد نجت من النِّيران. ما كان ينبغي لقلب النَّار أن يسمح لها بالعودة إلى المخيم».
صدرت عن فراء الرَّماد زمجرة عميقة. لقد تمادى النَّمِر الأسود كثيراً. عندئذٍ خرج قلب النَّار بسرعة من الظلّ، ورأى بسّة الريش جالسة بجانب النَّمِر الأسود، تحدّق إلى مدرّبها والرّعب بادٍ في عينيها.
فتح قلب النَّار فمه ليتكلّم، لكنّ الفراء الأغبر تحدّث أولاً.
«أيّها النَّمِر الأسود! عليك أن تُظهر مزيداً من الاحترام لأبناء عشيرتك المفقودين، و-» نظر بتعاطف إلى بسّة الريش المرعوبة متابعاً: «وكن أكثر حذراً في ما تقول، فأبناء عشيرتنا عانوا بما فيه الكفاية أساساً».
فوجئ قلب النَّار عندما سمع المحارب الشابّ يتحدّى مدرّبه السابق.

نظر النَّمِر الأسود إلى الفراء الأغبر بالاستغراب نفسه، ثمّ زمّ عينيه مهدّداً.

ماء قلب النَّار بهدوء وهو يتقدّم إلى الأمام: «الفراء الأغبر محقّ، لا ينبغي أن نتجادل».

التفت النَّمِر الأسود وشمشوم والآخرين للتحديق إلى قلب النَّار، وانتفضت آذانهم وأذياهم بإرباك عندما أدركوا أنّه سمع حديثهم.

قاطعهم مواء النَّمِر الرّمادي: «قلب النَّار!»، فالتفت هذا الأخير ورأى صديقه يعبر الفسحة، وفراؤه مبلّل بمياه النهر.

سأله قلب النار وهو يتعد عن ققط عشيرة الرعد متوجّهاً إليه: «هل كنت في دورية؟».

«أجل، وكنت أصطاد. لا يمكننا جميعاً النوم في الصباح على أي حال، كما تعلم». وكز كتف قلب النار ثم تابع قائلاً: «لا بد أنك جائع، تعال معي». قاد قلب النار نحو كومة من الفرائس الطازجة عند طرف الفسحة وأضاف: «قالت فراء الفهد إن هذه لعشيرتك».

قرقرت بطن قلب النار جوعاً، فمأ قائلاً: «شكراً. من الأفضل إذاً أن أخبر العشيرة». ثم ذهب إلى حيث احتشد ققط عشيرة الرعد وأعلن قائلاً: «يقول النمر الرمادي إن تلك الكومة لنا».

قالت زهرة الذهب بامتنان: «الشكر لعشيرة النجوم». ردّ النمر الأسود قائلاً: «لسنا بحاجة إلى العشائر الأخرى لإطعامنا». فمأ قلب النار وهو يزمّ عينيه في وجه المحارب المخطّط: «أفترض أنك تستطيع الذهاب للصيد إذا أردت، لكن عليك أن تطلب إذن النجم الأعوج أولاً. فهذه أرضه في النهاية».

شخر النمر الأسود بصبر نافذ واتّجه نحو كدسة الطرائد، بينما نظر قلب النار إلى نجمة الصباح التي لم تتفاعل مع خبر الطعام على الإطلاق.

ارتعشت أذنا الرعب الأبيض، فوعده وهو ينظر إلى نجمة الصباح: «سأحرص على حصول كل منا على حصّته».

أجاب قلب النار: «شكراً لك». مشى إليه النمر الرمادي ووضع فأراً على الأرض أمام أكفّه. «تفضل، يمكنك أن تأكل هذه في الحضانة، فثمة بسايس أريدك أن تراها».

التقط قلب النار الفأر وتبع صديقه نحو مجموعة متشابكة من

القصب. مع اقترابهما، اندفع هَزَان فَضَيَّان عبر فجوة صغيرة في السَّوِيقَات المنسوجة بكثافة، واقتربا من النَّمَر الرَّمَادِي. رميا بنفسيهما عليه، وتدحرج النَّمَر الرَّمَادِي بسعادة، وهو يضرب بأكفِّه بلطف، بينما كان البسبوسان يتسلقان جسده. فعرف قلب النَّار على الفور أنَّهما صغيراه.

خرخر النَّمَر الرَّمَادِي بصوت عالٍ: «كيف عرفتما أنني قادم؟».

أجاب البسبوس الأكبر حجماً: «لقد اشتممنا رائحتك!».

أشاد به النَّمَر الرَّمَادِي قائلاً: «ممتاز!».

عندما أنهى قلب النَّار اللَّقْمَةَ الأخيرة من الفأر، جلس المحارب الرَّمَادِي وتدافع الصَّغِيرَان عليه. قال لهما: «الآن، حان الوقت لأعرِّفكما على صديق قديم لي. فقد تدربنا معاً».

التفت الهَزَان بأعينهما الكهرمانية إلى قلب النَّار، وحدّقا إليه برهبة. ماء البسبوس الأصغر حجماً: «أهذا قلب النَّار؟». أوماً النَّمَر الرَّمَادِي برأسه، وشعر قلب النَّار بالسَّعادة لأنَّ صديقه حدّث صغيره عنه.

ظهرت هَرَّة مرقّطة عند مدخل الحضانة وصاحت قائلة: «عودا إلى هنا، أنتما الاثنان! فالمطر سيهطل مجدّداً». رأى قلب النَّار أعين الصَّغِيرَيْن تضيق بسأم، ولكنَّهما استدارا ومشيا بانصياع نحو الوكر. خرخر قائلاً: «إنَّهما رائعان».

وافقه النَّمَر الرَّمَادِي، وبدا الحنان في عينيه وهو يجيب: «عليّ الاعتراف أنَّ الفضل يعود إلى فراء الثَّرى، فهي من تعتني بهما». سمع قلب النَّار نبرة حزن في صوت صديقه، وتساءل عن مدى افتقار النَّمَر الرَّمَادِي إلى بيته القديم.

لم يتحدّث أيّ من الهَزَيْن عندما وقف المحارب الرَّمَادِي وقاد قلب النَّار إلى خارج المخيم. جلسا على مساحة صغيرة من التراب بين

القصب، تحت شجرة صفصاف مقوسة، راحت أغصانها تهتز مع النسيم المنعش. شعر قلب النار بالرياح تهبّ على فرائه وهو يحدّق عبر ستارة الصفصاف إلى الغابة البعيدة، وبدا له أنّ عشيرة النجوم سترسل مزيداً من الأمطار إلى الغابة.

سأله النمر الرمادي: «أين جمرة؟».

اجتاح الحزن صدر قلب النار. «عادت جمرة معي إلى مخيم عشيرة الرعد للبحث عن كشكول والذيل الأبر، لكنني أضعتها في الدخان... فقد سقطت شجرة في الوادي أثناء خروجها». هل من الممكن أن تكون قد نجت من النيران؟ لم يستطع إطفاء شعلة الأمل التي أضاءت في صدره، مثل حمامة محاصرة ترفرف بجناحيها بشكل محموم. «لا أعتقد أنّك وجدت أثراً لرائحتها خلال دوريتك؟».

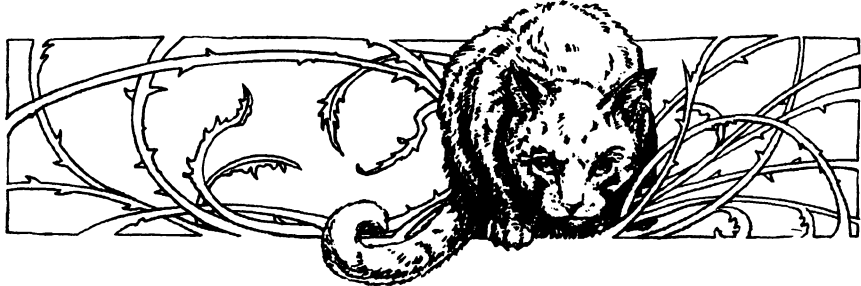
هزّ النمر الرمادي رأسه نافياً: «أنا آسف».

«هل تظنّ أنّ النار ما زالت مشتعلة بعد تلك العاصفة؟».

«لست متأكداً. لقد رأينا بضعة أعمدة من الدخان أثناء خروجنا».

تنهّد قلب النار. «وهل تعتقد أنّه تبقى من المخيم شيء؟».

أجاب النمر الرمادي: «ستكتشف ذلك قريباً». رفع رأسه وحدّق من خلال الأوراق إلى السماء المظلمة. «كانت فراء الثرى على حق، سيعاود المطر الهطول». بينما كان يتحدّث، سقطت قطرة كبيرة على الأرض بجانبهما. أضاف: «وينبغي أن يُطفئ الحريق تماماً هذه المرة». شعر قلب النار بالحزن يتملّكه، بينما تساقط مزيد من قطرات المطر عبر الأشجار، وتناثر على القصب الهشّ. ولم يمض وقت طويل حتّى بدأ المطر يهطل بغزارة للمرّة الثانية، كما لو أنّ عشيرة النجوم تبكي على كلّ ما ضاع.



الفصل 27



في وقت متأخر من عصر ذلك اليوم، حلت رائحة الرماد الرطب محل رائحة الدخان العالقة في الهواء، لكن قلب النار استمتع بمرارتها. قال للنمر الرمادي، الذي كان يحمي بجانبه تحت مجموعة من القصب: «لا بد أن النار انطفأت الآن، وبات بإمكاننا الذهاب لمعرفة ما إذا كان من الآمن للعشيرة أن تعود».

تمتم النمر الرمادي: «وللبحث عن جمرة والذيل الأبر». كان قلب النار يعرف أن صديقه القديم سيخمن السبب الحقيقي لرغبته في العودة إلى المخيم. فرف عينيه للمحارب الرمادي، ممتناً لتفهمه.

أضاف النمر الرمادي: «أريد أن أستاذن النجم الأعوج للمجيء معك». صدم كلامه قلب النار، فقد كاد أن ينسى أن النمر الرمادي أصبح ينتمي إلى عشيرة أخرى.

قال المحارب الرمادي وهو يقفز مبتعداً: «سأعود قريباً». حدّق قلب النار عبر الفسحة إلى حيث جلست نجمة الصباح متكوّرة بجوار الرعب الأبيض، كما لو أن المحارب الأبيض كان الحاجز الوحيد بين عقلها المضطرب والمصير المروّع الذي حلّ بعشيرتها.

فتساءل قلب النّار ما إذا كان ينبغي أن يخبرها عن وجهته، إلا أنّه قرّر العكس. ففي الوقت الحالي، سيتصرّف بمفرده ويعتمد على عشيرته لحماية زعيمتهم الضّعيفة من فضول قطط عشيرة النّهر. «قلب النّار». كان بسّ الغمام آتياً إليه. «هل تعتقد أنّ الحريق انطفأ؟».

أجابه: «ستحقّق من الأمر أنا والنّمّر الرّمادي». «هل بإمكانني المجيء؟».

هزّ قلب النّار رأسه نافياً، فهو لا يعرف ما سيجدونه في مخيم عشيرة الرّعد. كما أدرك بانزعاج أيضاً أنّه يخشى من أن يلقي بسّ الغمام نظرة على أنقاض بيته في الغابة، فتغريه العودة إلى حياة البسبوس الأليف المرفّهة.

وعده بسّ الغمام بجديّة: «سأنفّذ كلّ ما تأمرني به». ماء قلب النّار قائلاً: «إذاً، ابقَ هنا وساعد في حماية عشيرتك، فالرّعب الأبيض يحتاج إليك». أخفى بسّ الغمام خيبة أمله بهزّة من رأسه وماء قائلاً: «أمرك يا قلب النّار».

أضاف: «أخبر الرّعب الأبيض عن وجهتي. سأعود عند علوّ القمر». «حسناً».

راقب قلب النّار المبتدئ الأبيض وهو يتوجّه نحو بقية القطط، آملاً أن يتبع بسّ الغمام وأوامره ولو لمرة واحدة ويلازم مخيم عشيرة النّهر. عاد النّمّر الرّمادي مع النّجم الأعوج إلى جانبه. زمّ الهزّ المخطّط الشّاحب عينيه العنبريتين بنظرة متسائلة، وماء قائلاً: «أخبرني النّمّر الرّمادي أنّه يريد الذهاب معك إلى مخيمكم. ألا يمكنك أن تصطحب

أحد محاربك؟».

أوضح له قلب النار وهو ينهض على أكفّه: «لقد فقدنا اثنين من قطط عشيرتنا في الحريق، ولا أريد أن أجدهما بمفردي». بدا أن زعيم عشيرة النهر تفهّم الأمر، فمأء بلطف: «إن لم ينجيا، فأنت ستحتاج إلى مواساة صديق قديم. بإمكان النمر الرمادي مرافقتك». أجاب قلب النار خافضاً رأسه: «شكراً لك أيها النجم الأعوج».

تقدّمه النمر الرمادي إلى النهر. على الضّفة الأخرى من المياه الهائجة، كانت الغابة سوداء ومتفحّمة. احتفظت الأشجار الأكثر ارتفاعاً ببعض من أوراقها، التي راحت ترفرف بشجاعة على أطراف الأغصان. غير أنّه كان انتصاراً صغيراً بالنّظر إلى بقية الأغصان السوداء والعارية. ربّما أرسلت عشيرة النجوم العاصفة لإخماد الحريق، لكنّ الأوان كان قد فات على إنقاذ الغابة.

غاص النمر الرمادي في النهر من دون أن يتكلّم، وعبره سباحة. فتبعه قلب النار، وهو يكافح لمواكبة صديقه الذي راح يُجذّف بأكفّه بقوة. عندما صعدا إلى الضّفة الأخرى، حدّق الهزان برعب إلى أنقاض غابتهما المحبوبة.

تمتم النمر الرمادي: «كان تأمل هذا المكان من وراء النهر مصدر راحتي الوحيد».

نظر قلب النار إلى صديقه متعاطفاً، وبدا له أنّ النمر الرمادي يشعر بالحنين إلى الوطن أكثر ممّا كان يظنّ. لكن لم تتح له الفرصة لطرح أيّ أسئلة قبل أن ينطلق صديقه باتجاه حدود عشيرة الرّعد. عبر الحدود بلهفة، متوقّفاً ليضيف علامة رائحته الخاصّة. ولم يسع قلب النار إلّا أن

يتساءل عما إذا كان صديقه القديم يفكر بسلوكه هذا في حدود عشيرة
النهر - أم عشيرة الرعد.

على الرغم من الدمار، بدا أن النمر الرمادي سعيد بعودته إلى أرضه
القديمة. عندما اندفع قلب النار إلى المخيم، راح النمر الرمادي يسير
خلفه ذهاباً وإياباً، ويشتمّ الهواء باهتمام قبل اللحاق بصديقه. فذهش
قلب النار من قدرته على التعرف على أي شيء، ذلك أن الغابة تغيرت
على نحو لا يصدق، بعد أن احترقت الشجيرات، وأصبح الهواء خالياً
من رائحة الفرائس أو صوتها. شعر أن الأرض لزجة تحت أكفّه في
المكان الذي اختلط فيه المطر والرماد ليتحوّل إلى طين أسود ذي رائحة
لاذعة التصق بفرائهما. ارتعش قلب النار عندما تساقطت قطرات المطر
على فرائه المبلّل. وعندما تناهت إليه زقزقة طائر واحد شجاع من بعيد،
تألّم قلبه على كلّ ما ضاع.

أخيراً، وصلاً إلى أعلى الوادي. كان المخيم مرئياً بوضوح، وقد
تجرّد من مظلمته الواقية، والأرض الصلبة تلمع كالصخر الأسود تحت
المطر. وحدها الصخرة العالية لم تتغيّر بفعل النار، باستثناء بقعة من
الرماد الأسود اللزج.

اندفع قلب النار إلى أسفل المنحدر، وتساقطت الحصى والرماد
أمامه. كانت الشجرة التي أنقذ من عليها صغير زهرة الذهب قد تحولت
إلى كومة من العصي المتفحمة، فقفز فوقها بسهولة. بحث عن نفق
القندول الذي كان يؤدّي ذات يوم إلى الفسحة، لكن لم يبق منه سوى
مجموعة متشابكة من السويقات السوداء. فشقّ طريقه عبرها، وأسرع
إلى المنطقة الملطّخة بالسّخام.

بينما كان يحدّق حوله، وقلبه ينبض بشدّة، شعر بالنمر الرمادي

يكزّه. فتبّع نظرة صديقه إلى حيث كان يرقد جسد الذّيل الأبرّ في
الموضع الذي كان في ما مضى مدخل نفق الخنشار المؤدّي إلى فسحة
جمرة. لا بدّ أنّ الهزّة المداوية حاولت إعادة الهزّ المسنّ فاقد الوعي
إلى مكان آمن في المخيم، على أمل أن تحميها من النيران الصخرة
المتشققة التي صنعت منها وكرّاً.

اتّجه قلب النّار إلى الجثّة المحترقة، لكنّ النمر الرّمادي ماء قائلاً:
«سأدفن الذّيل الأبرّ، ابحت أنت عن جمرة». التقط الجثّة البنية الهامدة،
وبدأ يسحبها إلى خارج المخيم باتّجاه مكان الدفن.

شاهده قلب النّار وهو يتعدّد، وقد تجمّد قلبه رعباً. كان يعلم أنّ هذا
هو سبب عودته إلى المخيم، لكنّه شعر فجأة بضعف في قوائمه منعه من
التحرّك. أجبر نفسه على السّير إلى جذوع الأشجار المحترقة المصطفّة
على الطّريق المؤدّي إلى فسحة جمرة، وقد اختفى النفق الأخضر
الذي كان يحميه. أصبح وكر الهزّة المداوية مفتوحاً على السّماء، وكان
الصّوت الوحيد المسموع صوت قطرات المطر المنهمرة على الأرض
اللزجة.

نادى بصوت أجشّ وهو يسير في الفسحة: «جمرة!».
كانت الصّخرة التي جعلت منها الهزّة المداوية وكرها قد أصبحت
سوداء بفعل السّخام، غير أنّ رائحة الرّماد اختلطت بالرائحة المألوفة
للّهزة المداوية المسنّة. نادى مجدداً: «جمرة؟».

أجابه مواء منخفض وأبحّ من داخل الصّخرة. إنّها على قيد الحياة!
ارتجف قلب النّار بارتياح، ودخل الكهف المظلل.

لم يكن الضّوء كافياً للرؤية، ولم يكن قد سبق لقلب النّار الدّخول
إلى هنا قطّ. فتوقّف للحظة، ورفّ بعينه إلى أن تكيفتا مع الظلام. عند

أسفل أحد الجدران، كان ثمة صف من الأعشاب والتوت التي لطّخها الدخان، ولكن من دون أن تحترق. أخيراً، لمح عينيّن تلمعان من الطرف الآخر للكهف الضيق.

«جمرة!» اندفع إلى جانب الهزة المداوية. كانت ممّدة وقوائمها منكمشة تحتها، وقد غطاها السخام. راحت تثن بضعف غير قادرة على الحراك. كانت بالكاد قادرة على النظر إليه، وعندما تحدّثت، خرج صوتها لاهثاً وضعيفاً.

قالت: «قلب النار، أنا سعيدة لأنك أنت الذي أتيت». ضغط قلب النار خطمه على فرائها المتلبّد قائلاً: «ما كان ينبغي عليّ أن أتركك هنا. أنا آسف جداً». «هل أنقذت كشكول؟».

هزّ قلب النار رأسه نافياً بيأس. «لقد استنشقت كثيراً من الدخان». ردّت جمرة بصوت مبحوح: «وكذلك الذيل الأبر». رأى قلب النار جفنيها يرتجفان ويغمضان، فمأً بيأس: «لكننا أنقذنا صغير زهرة الذهب!».

تمتّت جمرة: «من تقصد؟». «بسبوس العنبر». راقبها وهي تغمض عينيها للحظات وجيزة، فتجمّدت الدماء في عروقه. الآن، عرفت جمرة أنّه جازف بحياتها لإنقاذ ابن النمر الشرس. هل أخبرتها عشيرة النجوم شيئاً تخشاه إلى حدّ أن تمنّى لو أنّ البسبوس لم ينجُ؟

فجأة، فتحت عينيها وحدّقت إليه بشراسة قائلة: «أنت محارب شجاع يا قلب النار. كم كنت لأفتخر بك لو كنت ابني. فعشيرة النجوم تعلم كم مرّة تمنيت لو كنت ابني بدلاً من-» أخذت نفساً سطحياً وخشناً،

وعرف قلب النار أن كل كلمة تقولها كانت عاقلة كالشوك في حلقها: «الذيل النمrod».

تراجع قلب النار عندما كشفت له الهزة المداوية المسنة عن سرّها الزهيب: كان زعيم عشيرة الظلال القاسي ابنها، الذي تخلّت عنه عند الولادة لأنّه ليس من المسموح للقطط المداوية بإنجاب الصغار. من يعلم أيّ معاناة تحمّلتها جمرة وهي تشاهد ابنها يقتل والدّه ليصبح زعيماً، ثم يدمّر عشيرتها بطموحاته وتعطّشه للدّماء؟

كيف يمكن لقلب النار أن يخبرها أنّه يعرف ذلك أساساً؟ وأنّه فهم أنّ السبب وراء رغبتها في منح الذيل النمrod ملاذاً في عشيرتها البديلة أنّها أرادت نيل فرصة أخيرة لرعاية ابنها الذي تخلّت عنه؟ انحنى إلى الأمام ولعق أذنيها، على أمل أن يهدّئها ذلك، لكنّها تابعت تقول: «لقد قتلته، سمّمته بيديّ، فقد أردته أن يموت». أقرت بذلك بصوت مبحوح قاطعه سعال مؤلم.

حتّها قلب النار قائلاً: «هسّ، حافظي على قوتك». كان يعرف ذلك أيضاً. فقد شاهدها من مخبئه وهي تُطعم الذيل النمrod الخائن التوت السام بعد أن ساعد النمر الشرس وقططه الشريفة في هجومها على عشيرة الرعد. شاهد المحارب القاسي يموت عند أكفّ أمّه، وسمع جمرة تكشف علاقتها الحقيقية بالهزّ الظالم. قال لها: «دعيني أحضر لك بعض الماء».

لكنّ جمرة هزّت رأسها ببطء قائلة: «لن ينفعني الماء بعد الآن، أريد أن أخبرك بكلّ شيء قبل أن...».

شهق قلب النار، وشعر بشظيّة جليد تخترق قلبه: «أنت لن تموتي! قول لي ما عليّ فعله لمساعدتك».

سعلت جمرة بغضب: «لا تضع وقتك. سأموت مهما فعلت، لكنني لست خائفة. أصنع إليّ وحسب».

أراد قلب النار أن يتوسل إليها لكي تصمت وتحافظ على أنفاسها حتى تتمكن من العيش لوقت أطول، لكنه كان يحترمها بما فيه الكفاية ليطيعها حتى في هذا الطلب.

«أتمنى لو كنت ابني، ولكن لم يكن بإمكانني أن ألد هراً مثلك. فقد أعطتني عشيرة النجوم الذيل النمرود لتلقني درساً».

اعترض قلب النار قائلاً: «ما هو الدرس الذي كان عليك تعلمه؟ أنت حكيمة كنجمة الصّباح نفسها».

«لقد قتلتُ ابني».

«كان يستحق ذلك!».

همست جمرة: «لكنني كنت أمه. فلتحكم عليّ عشيرة النجوم بالطريقة التي تريد، وأنا مستعدة لتنفيذ الحكم».

لم يستطع قلب النار أن يجبها، بل خفض رأسه وبدأ يلحق فراءها بشكل محموم، كما لو أنّ حبّه لهذه الهرة المسنة كان كافياً لإبقائها في الغابة لفترة أطول.

تمتت جمرة: «قلب النار».

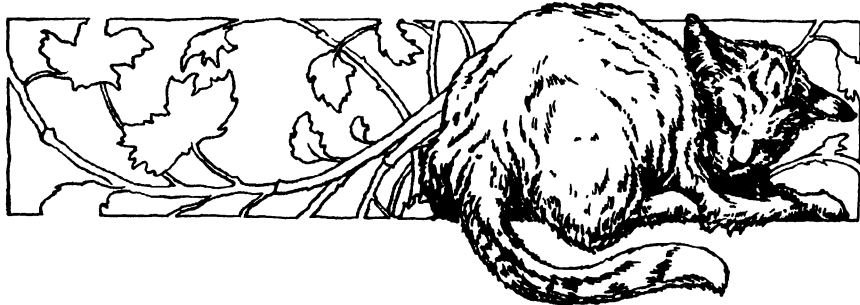
توقف قليلاً. «نعم؟».

«شكراً لأنك أحضرتني إلى عشيرة الرعد. أخبر نجمة الصّباح أنني كنت دائمة الامتنان للبيت الذي منحني إياه، ويسرني أن أموت فيه. يؤسفني وحسب أنني سأفقد لرؤيتك وأنت تصبح كما قدّرت لك عشيرة النجوم أن تكون». خفت صوت الهرة المداوية، وارتفع جنبها بسبب الجهد الذي تبذله لتنفس الهواء برئيتها المنهكتين.

توسّل قائلاً: «جمرة، لا تموتي!».

كانت أنفاسها المؤلمة تخترق قلبه، وأدرك أنّه ليس بيده شيء. «لا تخافي من عشيرة النجوم، فهم سيتفهّمون ما فعلته مع الذّيل النّمروذ». وعدها مضيافاً: «ستكرّمين من قبل أجدادنا المحاربين لولائك لأبناء عشيرتك ولشجاعتك غير المتناهية، فكثير من القطط يدينون لك بحياتهم. كان من الممكن لفراء الرّماد أن تموت بعد الحادث الذي تعرّضت له لو لم تعتنِ بها. وعندما تفشّى السعال الأخضر، حاربت ليل نهار...».

لم يستطع قلب النّار إيقاف الكلام الذي تدفّق من فمه، مع أنّه كان يعلم أنّ تنفّس الهرة المداوية المسنّنة قد تلاشى في صمت أبدي. لقد ماتت جمرة.



الفصل 28



بلعقة رقيقة، أغلق قلب النار عيني الهزة مداوية للمرة الأخيرة. بعد ذلك، خفض رأسه على كتفها، وشعر بالدفء يتلاشى من جسدها. لم يعرف كم مضى عليه من الوقت هناك، يصغي إلى نبض قلبه في الكهف المعتم. خطر بباله للحظة أنه اشتّم رائحة الورقة الرقطاء المألوفة تهبّ عليه في الوكر مع نسيم المطر البارد. هل أتت لتقود جمرة إلى عشيرة النجوم؟ سمح لتلك الفكرة المطمئنة بالتدفق عبره، وشعر بالنوم يداهمه كالسحب عند أطراف عقله.

«ستكون بأمان معنا». شعّت مواء الورقة الرقطاء اللطيف فراء أذنه، ورفع رأسه ونظر حوله.

ناداه النمر الرمادي من المدخل: «قلب النار؟»، فكافح للجلوس. ماء المحارب الرمادي: «لقد دفنتُ الذيل الأبتري».

همس قلب النار: «ماتت جمرة». تردّد مواءه الأجوف على جدران الكهف الصخرية. «كانت على قيد الحياة عندما وجدتها، لكنها ماتت». «هل قالت شيئاً؟».

أغمض قلب النار عينيه. لن يكشف أبداً سرّ جمرة الأساسوي لأيّ هزّ، ولا حتّى لأعزّ أصدقائه. «قالت وحسب إنها... ممتنة لنجمة الصباح

لأنّها سمحت لها بالعيش في عشيرة الرّعد».

دخل النّمر الرّمادي الكهف وحنى رأسه ليلعق خدّ الهرة المداوية المسنّة، ثمّ تتم بصوت مليء بالحزن: «عندما رحلتُ، لم أعتقد قطّ أنّي سأحدث إليها مجدّداً. هل ندفنها؟».

قال قلب النّار بحزم: «كلّا»، وانجلى عقله فجأة.

تردّدت كلمات الورقة الرقطاء في ذهنه: ستكون بأمان معنا. «لقد كانت محاربة وهرة مداوية أيضاً. لذا، ستحظى بليلة وداع وندفنها عند الفجر».

ذكّره النّمر الرّمادي: «ولكن علينا العودة إلى مخيم عشيرة النّهر لإخبار الآخرين بما حدث».

أجابه قلب النّار: «إذاً، سأعود اللّيلة وأسهر معها».

عاد الصّديقان عبر الغابة المدمّرة بصمت. كان ضوء الظّهيرة الرّمادي يتلاشى عندما دخلا مخيم عشيرة النّهر. تمدّدت مجموعات من القطط على طرف الفسحة، يتجاذبون الألسنة بعد وجبة المساء، وجلست قطط عشيرة الرّعد في مجموعة منعزلة على جانب واحد. وما إن ظهر قلب النّار والنّمر الرّمادي، حتّى وقفت فراء الرّماد وعرجت نحوهما.

نهضت نجمة الصّباح أيضاً من حيث كانت ترقد بجانب الرّعب الأبيض. تجاوزت فراء الرّماد ووصلت قبلها إلى المحاربين العائدين، وبدأت يائسة لسماع خبر مفرح. «هل عثرتما على جمرة والذيل الأبتري؟». رأى قلب النّار فراء الرّماد خلفها، وقد رفعت أذنيها متلهّفة لخبر جيّد بقدر زعيمة عشيرتها. قال لهما: «لقد ماتا كلاهما». ملأ قلبه ألم

جديد عندما رأى فراء الزّمام تكاد تنهار أرضاً. تراجعت الهرة الصغيرة بلا اتزان، وطغى الحزن على عينيها. أراد قلب النّار الذهاب إليها، لكنّ نجمة الصّباح وقفت في طريقه. لم تُظهر عينا زعيمة العشيرة الزرقاوان أيّ ألم. بدلاً من ذلك، أصبحتا قاسيتين وباردتين، بحيث سرت رعشة في عموده الفقري.

هستت قائلة: «أخبرتني الورقة الرّقطاء أنّ النار ستنقذ العشيرة! غير أنّها دمرتنا».

«كلّا». بدأ قلب النار جملة، لكنّه لم يجد كلمات تريح زعيمته. تبع بنظره فراء الزّمام وهي تعود متعثرة إلى الآخرين، وشعر بالارتياح عندما أسرع إليها عاصفة الرمال، وضغطت بجانبها لدعم جسد الهرة المداوية الرّمادية النحيل. نظر مجدداً إلى نجمة الصّباح، وغاص قلبه كانت رأى تعبيرها الجامد.

قالت بصوت كالجليد: «ستعود عشيرة الرّعد إلى ديارها الليلة». اعترض النّمر الرّمادي قائلاً: «لكنّ الغابة خالية، والمخيّم مدمر!». ردّت بحدة: «هذا لا يهمّ. فنحن غرباء هنا، وعلينا العودة إلى أرضنا».

عرض النّمر الرّمادي: «سأرافقكم إذا». نظر قلب النّار إلى صديقه، وفهم فجأة الشّوق الذي رآه في عينيه. لقد أراد النّمر الرّمادي العودة إلى دياره. غمر هذا الإدراك عقل قلب النّار مثل شهاب يضيء سماء الليل، ونظر بترقب إلى نجمة الصّباح. من المؤكّد أنّها استطاعت رؤية رغبة النّمر الرّمادي في العودة إلى عشيرة الرّعد.

سألته نجمة الصّباح وهي تزمّ عينيها: «ولماذا نحتاج إلى مرافقة؟».

قال النمر الزمادي بتردد: «حسناً، ربّما أستطيع مساعدتكم في إعادة بناء المخيم، وربّما أبقى لفترة وجيزة...». تلعثم عندما ومض الغضب في عيني نجمة الصّباح.

قالت بحدّة: «هل تحاول أن تقول إنك تريد العودة إلى عشيرة الرّعد؟ حسناً، لا يمكنك ذلك!». نظر إليها قلب النّار بذهول.

زمجرت الزعيمة: «لقد اخترت أن تكون مخلصاً لصغيريك بدلاً من عشيرتك. والآن، عليك أن تتعايش مع قرارك».

تراجع النمر الزمادي مجفلاً. حدّق قلب النّار إلى الزعيمة المسنّة غير مصدّق وهي تستدير لتنادي عشيرتها: «استعدّوا للرحيل، نحن عائدون!».

نهض قطط عشيرة الرّعد في الحال، لكنّ قلب النّار لم يشعر سوى بخيبة الأمل والغضب وهو يشاهد نجمة الصّباح تجمع العشيرة حولها. كانت نظرة الزعيمة مثبّتة على نقطة وراء القطط، عند طرف الفسحة. هناك، وقفت سحابة الضّباب وقلب الصوّان يراقبان قطط عشيرة الرّعد. فرأى قلب النّار الحزن يلوح في عيني نجمة الصّباح وهي تحدّق إلى صغيريها اللذين كبرا. كانت نجمة الصّباح تعرف أفضل من أيّ هزّ آخر ما يعنيه الاختيار بين العشيرة وصلة الدم. وقد اختارت ذات مرّة أن تكون مخلصّة لعشيرتها بدلاً من صغيريها، وهذا ما سبّب لها ألماً لا تتمناه حتّى لعدوّها.

فجأة، أدرك قلب النّار أنّه فهم سبب ردّها على طلب النمر الزمادي. هي لم تكن غاضبة من المحارب الزمادي، بل من نفسها، لأنّها ما زالت نادمة على ترك صغيريها طوال تلك السّنوات. وقد حاولت أن تمنع النمر

الزّماذي من ارتكاب الخطأ نفسه.

دار قطط عشيرة الرّعد بنفاد صبر في الظلام المخيم حولهم،
وتوجّهت نجمة الصّباح نحو النّجم الأعوج.

استدار قلب النّار ولحق كتف النّمر الزّماذي، ثمّ تمتم قائلاً: «لدى
نجمة الصّباح أسبابها لقول ذلك. إنّها تعاني في الوقت الحالي، لكنّها
ستتعافى. وربّما يمكنك بعد ذلك العودة إلى العشيرة».

حدّق النّمر الزّماذي إليه بأمل وسأله: «هل تظنّ ذلك؟».
أجاب قلب النّار، متمنياً من عشيرة النجوم أن يكون ذلك صحيحاً:
«نعم».

أسرع خلف نجمة الصّباح، ولحق بها في الوقت المناسب لسمع
زعيمة عشيرة الرّعد وهي تشكر النّجم الأعوج رسمياً على كرم عشيرة
النّهر. وقفت فراء الفهد بجانبهم، وحدّقت ببرود إلى قطط عشيرة الرّعد.
ماتت نجمة الصّباح وهي تخفض رأسها: «عشيرة الرّعد مدينة
لكم».

رأى قلب النّار فراء الفهد تزمّ عينيها الزمرديتين اللامعتين وتسمع
كلام نجمة الصّباح، فوخزته أكفّه بحذر. تساءل ما هو المقابل الذي
ستطلبه عشيرة النّهر لقاء لطفهم هذا؟ فقد كان يعرف فراء الفهد بما فيه
الكفاية ليشكّ في أنّها ستطلب شيئاً في المقابل.

تبع نجمة الصّباح وهي تتقدّم لتقود عشيرتها خارج مخيم عشيرة
النّهر. فنظر إلى الخلف ورأى النّمر الزّماذي يقف وحيداً في الظلّ، وقد
امتلاّت عيناه بالألم وهو يشاهد أبناء عشيرته السّابقين يتعدون.

* * *

تنهّد قلب النّار في سرّه عندما تردّد شمشوم مجدّداً عند حافة النّهر.

كان مستوى الماء قد ارتفع بفعل المطر، لكن النمر الأسود والرعب الأبيض عبرا أساساً وكانا ينتظران في المياه الضحلة عند الضفة الأخرى. سبح الفراء الأغبر بجانب بسّة الريش بينما كانت المبتدئة تكافح لإبقاء رأسها الرّمادي الصغير فوق الماء. عبرت عاصفة الرّمال مع فراء الرّماد. ولم تترك المحاربة البرتقالية الهرة المداوية منذ أن عاد قلب النّار وأخبرهم بمصير جمرة.

أمرت نجمة الصّباح شمشوم بصبر نافذ: «أسرع!».

نظر الهَرّ الرّمادي من فوق كتفه وقد فوجئ بنبرتها القاسية، ثم ألقي بنفسه في المياه السوداء. شدّ قلب النّار عضلاته استعداداً للانطلاق لإنقاذه، لكن لم تكن ثمة حاجة لذلك. فقد ظهر النمر الذّيال والفأرة السّمراء إلى جانبي الهَرّ المسنّ الذي راح يضرب الماء بشكل محموم، ودعماه بأكتافهما القوية.

قفزت نجمة الصّباح في النّهر وسبحت بسهولة إلى الطّرف الآخر، وقد اختفى الضّعف من جسدها كما لو أنّ النّار طهرتها من ضعفها ومنحتها قوّة جديدة. انزلق قلب النّار في الماء بعدها، وكانت السحب قد بدأت تتضاءل فوق الأشجار، بحيث شعر بقشعريرة تسري في فرائه المبلّل بسبب الرّياح المنعشة وهو يخوض في النهر. سبح نحو فراء الرّماد، ومال ليلق رأسها. نظرت إليه عاصفة الرّمال، وكانت عيناها تعكسان حزنه، بينما وقف بقيّة أفراد العشيرة على ضفّة النّهر وحدّقوا إلى الغابة برعب صامت. حتّى في ضوء القمر الخافت، كان الخراب واضحاً، إذ تجرّدت الأشجار من أوراقها، واستبدلت روائح الأوراق والسراخس العفنة بالرائحة الكريهة للحطب والأرض المحترقة.

بدت نجمة الصّباح غافلة عن كلّ ما حولها. تجاوزت بقيّة القطط

من دون توقّف، وصعدت المنحدر باتجاه الصّخور المشمسة والطّريق المؤدّي إلى المخيم. ولم يسع عشيرتها سوى اللّحاق بها. همست عاصفة الرّمال: «أشعر وكأنّنا في مكان آخر». فهزّ قلب النّار رأسه موافقاً.

«بسّ الغمام». مرّ قلب النّار من بين القطط التي تسير أمامه ومشى بجانب تلميذه. «شكراً لك على بقائك في مخيم عشيرة النّهر كما طلبت منك».

هزّ بسّ الغمام كتفيه مجيباً: «لا شكر على واجب». «كيف حال المسنين؟».

«سيستغرقون بعض الوقت للتغلّب على مأساة وفاة الذّيل الأبتري وكشكول». كان صوت بسّ الغمام خافتاً. «ولكنني تمكّنت من جعلهم يأكلون بعضاً من الفرائس الطازجة أثناء غيابك. فهم بحاجة إلى الحفاظ على قوّتهم، مهما كان حزنهم كبيراً».

قال قلب النّار وهو يشعر بالفخر لتعاطف تلميذه وحكمته غير المتوقّعة: «أحسنّت. هذا هو الصّواب».

امتدّ الوادي مثل جرح مفتوح في المشهد. توقّفت عاصفة الرّمال وأطلّت من فوق الحافة، ولاحظ قلب النّار ارتعاشها. كان يرتجف هو الآخر، على الرّغم من أنّ فراءه قد جفّ بعد عبور النّهر. تقدّمت العشيرة ببطء أسفل المنحدر الحادّ وتبعّت نجمة الصّباح إلى داخل المخيم. في الفسحة، حدّق القطط بصمت إلى الفسحة الجرداء والمسودة التي كانت في يوم من الأيام بيتهم.

أخيراً، كسرت نجمة الصّباح الصمت بموائها الحادّ متوجّهة لقلب النّار: «خذني إلى جثّة جمرة!».

انتصب فراء قلب النار. لم تكن تلك هي الزعيمة الضعيفة التي كافح لحمايتها خلال الأعمار الأخيرة، كما أنها لم تكن الزعيمة الحكيمة واللطيفة التي رَحِّبَتْ به في العشيرة وكانت مدرِّبته. بدأ يتوجَّه إلى فسحة جمرة، تتبعه نجمة الصُّباح. نظر من فوق كتفه، ورأى فراء الرَّماد تلحق بزعيمة عشيرة الرُّعد.

ماء وهو يقف عند المدخل: «إنها في وكرها». دخلت نجمة الصُّباح إلى الظلام المخيِّم داخل الصخرة.

في الخارج، جلست فراء الرَّماد وانتظرت.
سألها قلب النار: «ألن تدخلني؟».

أجابت: «سأحزن لاحقاً. أعتقد أن نجمة الصُّباح تحتاج إلينا الآن». فوجئ برباطة الجأش التي لمسها في صوتها، فنظر إلى عينيها. كانتا تلمعان على نحو غير طبيعي بالحزن، ولكنها بدت هادئة وهي ترف جفنيها بلطف له. فردَّ لها البادرة، ممتناً لشجاعتها وسط هذه الفاجعة. علا صراخ مخيف من وكر جمرة، ثم خرجت نجمة الصُّباح مترنحة، وهي تهز رأسها يميناً ويساراً بعنف، وتحذِّق إلى الأشجار السوداء. صاحت بحدة: «كيف يمكن لعشيرة النُّجوم فعل ذلك بنا؟ ألا تشفق علينا؟ لن أقصد حجر القمر بعد اليوم! من الآن فصاعداً، أحلامي أصبحت لي. لقد أعلنت عشيرة النُّجوم الحرب على عشيرتي، ولن أسامحها أبداً».

حدَّق قلب النار إلى زعيمته، وقد جمَّده الرعب. لمح فراء الرَّماد تزحف بهدوء إلى وكر جمرة، وتساءل عما إذا كانت قد ذهبَت لتحزن على صديقتها المسنَّة، لكنها ظهرت بعد برهة وهي تحمل شيئاً في فكيها، وضعته بجانب نجمة الصُّباح.

حَثَّهَا قَائِلَةٌ: «تناولي هذه يا نجمة الصُّباح، فهي ستخفّف من ألمك». سأَلَهَا قلب النّار: «أهي مصابة؟».

التفتت فراء الرّماد لتنظر إليه وخفضت صوتها مجيبة: «بشكل من الأشكال، لكن لا يمكن رؤية إصاباتِها». رَفَّت بعينِها وأضافَت: «ستهذّئُها بذور الخشخاش هذه وتمنح عقلها وقتاً للشفاء». التفتت إلى نجمة الصُّباح وهمست مجدّداً: «تناوليها من فضلك».

خفضت نجمة الصُّباح رأسها وراحت تلعق البذور السوداء الصّغيرة.

مات فراء الرّماد بلطف: «تعالِي»، ثمّ قادت زعيمة عشيرة الرّعد بعيداً.

شعر قلب النّار بأكفّه ترتجف بينما كان يشاهد مهارة فراء الرّماد الهادئة. لو رأتها جمرة، لشعرت بالفخر بها. دخل الوكر، وقبض على مؤخّر عنق جمرة المجدّد والملطّخ بالدخان، ثمّ سحبها إلى الفسحة التي أثارها ضوء القمر، ورَتَّب جسدها لترقد بكرامة، مثلما عاشت. عندما انتهى، انحنى ليلعق صديقته القديمة للمرّة الأخيرة، ثمّ همس قائلاً: «ستنامين تحت النّجوم للمرّة الأخيرة هذه الليلة»، وجلس بجانبها ليسهر بقربها كما وعد.

انضمّت إليه فراء الرّماد عندما بدأ القمر ينزلق بعيداً، والأفق يتوهّج باللونين القشدي والوردي فوق قمم الأشجار السوداء. فنهض قلب النّار، ومدّد قوائمه المتعبة، ثمّ حدّق حول الفسحة المدمّرة.

تمتّت الهرة الرمادية بجانبه: «لا تحزن كثيراً على الغابة، فهي ستعود للنموّ بسرعة، وستكون أقوى ممّا كانت بسبب الجراح التي

أصابته، مثل العظم المكسور الذي يشفى ويعود أفضل ممّا كان». ترك قلب النّار كلماتها تريحه، وخفض رأسه لها بامتنان قبل أن يذهب لرؤية بقيّة أفراد العشيرة.

كانت الفأرة السّمراء جالسة للحراسة خارج وكر نجمة الصّباح. قال الرّعب الأبيض وهو يخرج من الظلّ: «لقد أمّرت فراء الرّماد بذلك». كان فراء المحارب لا يزال ملطّخاً بالدّخان وعيناه محاطتين بهالتين حمراوين بسبب النّار والإرهاق. «قالت إنّ نجمة الصّباح مريضة وتحتاج إلى المراقبة».

ماء قلب النّار: «هذا جيّد. وكيف حال بقيّة العشيرة؟». «معظمهم نام قليلاً، بمجرّد أن وجدوا أماكن جافة بما فيه الكفاية للاستلقاء».

فكّر قلب النّار بصوت عالٍ: «يجب أن نرسل دورية فجر. فقد يستغلّ النّمّر الشّرس ما حدث».

سأله الرّعب الأبيض: «ومن سترسل؟». «بدو أنّ النّمّر الأسود هو الأنسب بين المحاربين، لكننا سنحتاج إلى قوّته لإعادة بناء المخيم». حتّى وهو يتحدّث، عرف أنّه لم يكن يقول الحقيقة كاملة. فقد أراد إبقاء المحارب المخطّط الدّاكن أمام نظره. «أريدك أن تبقى هنا أنت أيضاً، إن كان ذلك يناسبك». خفض الرّعب الأبيض رأسه موافقاً بينما واصل قلب النّار كلامه يقول: «علينا إخبار بقيّة القطط بما يجري».

«نجمة الصّباح نائمة. هل تعتقد أنّه علينا إيقاظها؟» عبر عبوس وجه الرّعب الأبيض وهو يتحدّث.

هزّ قلب النّار رأسه مجيباً: «كلّا، فلنتركها ترتاح. سأتحّدث بنفسي

مع العشيرة».

قفز إلى الصخرة العالية بوثة واحدة واستدعى أفراد العشيرة بالطريقة المألوفة. في الأسفل، خرج القطط بنعاس من أنقاض أوكارهم، وهم يهزون أذيالهم وآذانهم باستغراب عندما رأوا قلب النار واقفاً في المكان الذي اعتادت زعيمتهم مخاطبتهم منه.

بدأ كلامه بمجرد أن اجتمعوا أمامه: «علينا إعادة بناء المخيم. أعلم أنّ المكان يبدو في حالة فوضى الآن، لكننا في ذروة فصل الحرّ. ستعود الغابة للنمو بسرعة مجدداً، وستكون أقوى بعد الجراح التي أصابتها». رفّ عينيه وهو يكرّر كلام فراء الرّماد.

تصلّب قلب النار عندما تحدّاه النمر الأسود من خلف المجموعة متسائلاً: «ولماذا لا تخبرنا نجمة الصّباح بذلك؟».

أجاب: «نجمة الصّباح منهكة، فقد أعطتها فراء الرّماد بذور الخشخاش حتّى تتمكّن من الاستراحة والتّعافي». عندما سرت همهمات القلق بين القطط المحتشدة، طمأنهم قلب النار قائلاً: «كلّما استراحت أكثر، تعافت بشكل أسرع، تماماً مثل الغابة».

قالت عين الزمرد بقلق: «الغابة فارغة، فالفرائس إمّا هربت أو ماتت في الحريق. ماذا سنأكل؟». نظرت بقلق إلى بسّ أرقش وبسّة الريش، وطمّغى على وجهها قلق الأمّ على الرّغم من أنّ صغيرها قد غادرا الحضانة.

أكّد لها قلب النار قائلاً: «ستعود الفرائس. علينا أن نصطاد كالمعتاد، وإذا اضطررنا للابتعاد قليلاً للعثور على فرائس جديدة، فسنفعل». علت همهمات الاستحسان في الفسحة، وبدأ قلب النار يشعر بموجة من الثّقة. «أيّها النمر الذّيال والفأرة السّمراء وبسّ الشوك والفراء الأغبر -

ستتولون دورية الفجر». نظر القطط الأربعة إلى قلب النار، وأومأوا برؤوسهم من دون اعتراض. «وأنت يا بسّ رشيق، يمكنك أن تحلّ محلّ الفأرة السّمراء في مهمّة الحراسة، وكن حريصاً على عدم إزعاج نجمة الصّباح. أمّا نحن البقية، فسنبداً بالعمل في المخيم. سيقوم الرّعب الأبيض بتنظيم الدّوريات لجمع الموادّ. وأنت أيّها النمر الأسود، بإمكانك الإشراف على إعادة بناء جدار المخيم».

سأله النمر الأسود: «وكيف يفترض بي فعل ذلك؟ لقد احترقت نباتات الخنشار عن بكرة أبيها».

أجابه قلب النّار: «استخدم ما هو متاح، ولكن احرص على أن يكون قوياً. فعلينا ألا ننسى تهديد النمر الشّرس. نحن بحاجة إلى البقاء في حالة تأهب، وعلى كلّ البسايس أن تلزم المخيم. وحدهم المبتدئون سيخرجون مع المحاربين». حدّق قلب النّار إلى أفراد العشيرة الصّامتين. «هل اتّفقنا؟».

ارتفع مواء صاحب من الحشد: «اتّفقنا!».

ماء قلب النّار: «حسناً، فلنبداً العمل!».

بدأ القطط يتعدون عن الصّخرة العالية، ويتنقلون بين بعضهم للاجتماع حول الرّعب الأبيض والنمر الأسود لتلقّي التعليمات. قفز قلب النّار من على الصّخرة العالية واتّجه إلى عاصفة الرّمال. «علينا تنظيم احتفال لدفن جمرة».

أشارت عاصفة الرّمال وقد بدت الحيرة في عينيها الخضراوين: «لكنّك لم تذكر شيئاً عن وفاتها».

«ولا عن وفاة الذّيل الأبترا!» نظر قلب النّار إلى الأسفل عندما سمع مواء بسّ الغمام بجانبه. شعر بالعتب في نبرة المبتدئ الشاب.

أجاب قلب النّار وفراؤه يخزه بانزعاج: «أفراد العشيرة يعرفون أنّهما توفياً، وتكريمهما بالكلمات المناسبة يقع على عاتق نجمة الصّباح. لا شكّ في أنّها ستفعل عندما تصبح بحال أفضل». سألته عاصفة الرّمال: «وماذا إن لم تتعاف؟». قاطعها قلب النّار بحدّة: «ستعافى!». أجفلت عاصفة الرّمال، ولامت نفسها. كانت تعبّر وحسب عن مخاوف كلّ العشيرة. إن كانت نجمة الصّباح قد أدارت ظهرها حقّاً لطقوس عشيرة النّجوم، فإنّ جمرة والذّيل الأبتّر لن يسمعا أبداً الكلمات المناسبة لإرسالهما في رحلتهما إلى الفراء الفضيّ.

شعر قلب النّار بثقله تتلاشى. ماذا لو لم تستردّ الغابة عافيتها قبل فصل الثّلوج؟ وماذا لو لم يتمكّنوا من العثور على ما فيه الكفاية من الفرائس لإطعام العشيرة؟ وماذا لو هاجمهم النّمر الشّرس؟ تتمم قائلاً: «إن لم تتحسنّ نجمة الصّباح، فأنا لا أدري ماذا سيحلّ بنا». لمعت عينا عاصفة الرّمال كالنّار: «إن كانت نجمة الصّباح قد عيّنتك نائباً لها، فهي تتوقّع منك أن تعرف ما عليك أن تفعل!».

لذعته كلماتها كالبرد، فردّ بحدّة: «لا داعي لتظهري مخالبك يا عاصفة الرّمال! ألا ترين أنّي أبذل قصارى جهدي؟ بدلاً من انتقادي، اذهبي ونظّمي المبتدئين لدفن جمرة». ثمّ حدّق إلى بسّ الغمام مضيفاً: «وأنت أيضاً يمكنك الذهاب، وحاول أن تتجنّب المشاكل ولو لمرة». عبّر الفسحة، مبتعداً عن الهريّن المذهولين. أدرك أنّ ردّه كان قاسياً، ولكنهما طرحا سؤالاً لم يكن مستعدّاً للإجابة عليه. كان سؤالاً مخيفاً للغاية، لم يستطع بعد التّفكير في عواقبه.

ماذا لو لم تتعاف نجمة الصّباح؟



الفصل 29



ظَلَّتِ السَّمَاءُ رَمَادِيَّةً وَغَائِمَةً خِلَالَ الْأَيَّامِ الْقَلِيلَةِ التَّالِيَةِ، لَكِنْ
الْأَمْطَارُ لَمْ تُعَقِّ إِعَادَةَ بِنَاءِ الْمَخَيِّمِ. فِي الْوَاقِعِ، رَحَّبَ قَلْبُ النَّارِ بِالْمَطَرِ
التَّطْهِيرِيِّ الَّذِي سَيَغْسِلُ الرَّمَادَ فِي التُّرْبَةِ وَيُسَاعِدُ الْغَابَةَ عَلَى التَّعَافِي.
لَكِنْ هَذَا الصَّبَاحُ، أَشْرَقَتِ الشَّمْسُ عَالِيًا فِي السَّمَاءِ، وَابْتَعَدَتْ
السَّحَبُ إِلَى الْأَفَقِ. قَالَ قَلْبُ النَّارِ بِحُزْنٍ فِي نَفْسِهِ، سَتَكُونُ السَّمَاءُ صَافِيَةً
لِاجْتِمَاعِ اللَّيْلَةِ، مَتَمْنِيًا وَلَوْ لِمَرَّةٍ وَاحِدَةٍ أَنْ يَخْتْفِيَ الْقَمَرُ لِكَيْ لَا يُعْقَدَ
الاجْتِمَاعُ. فَجَمَّةُ الصَّبَاحِ لَمْ تَسْتَعِدْ بَعْدَ حَالَتِهَا الطَّبِيعِيَّةِ السَّابِقَةِ، وَلَمْ
تَخْرُجْ مِنْ وَكْرِهَا إِلَّا عِنْدَمَا أَقْنَعَهَا الرَّعْبُ الْأَبْيَضُ بِالْمَجِيءِ لِرُؤْيَا كَيْفِيَّةِ
سِيرِ الْإِصْلَاحَاتِ. أَوْمَأَتْ زَعِيمَةُ عَشِيرَةِ الرَّعْدِ بِرَأْسِهَا بِشُرُودِ اللَّقْطِطِ
وَهِيَ تَعْمَلُ، قَبْلَ أَنْ تَرْجِعَ بِيْطَاءً إِلَى فِرَاشِهَا الْأَمْنِ. فَتَسْأَلُ قَلْبَ النَّارِ
عَمَّا إِذَا كَانَتْ تَذْكُرُ أَنَّ اجْتِمَاعًا سَيُعْقَدُ اللَّيْلَةَ. رُبَّمَا يَجْدُرُ بِهِ الذَّهَابُ
إِلَيْهَا وَالتَّحَقُّقُ بِنَفْسِهِ.

مَشَى حَوْلَ أَطْرَافِ الْفَسْحَةِ، وَشَعَرَ بِمَوْجَةٍ مِنَ الْفَخْرِ وَهُوَ يَتَأَمَّلُ
الْعَمَلَ الَّذِي أَنْجَزَتْهُ الْعَشِيرَةُ حَتَّى الْآنَ. كَانَ الْمَخَيِّمُ يَسْتَعِيدُ بِالْفِعْلِ
جُزْءًا مِنْ شَكْلِهِ السَّابِقِ. صَحِيحٌ أَنْ جَذَعَ السَّنْدِيَانَةُ الْمُقْطُوعَةَ أَصْبَحَ
أَسْوَدَ اللَّوْنِ، لَكِنَّهُ لَا يَزَالُ مَتَمَاسِكًا، عَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّ مَتَاهَةَ أَغْصَانِهِ

قد احترقت تماماً. أما أجمة العليق التي كانت تؤوي الحضانة، والتي جُرّدت من أوراقها الواقية لتتحول إلى مجموعة متشابكة من السويقات، فتمّ ترقيعها بعناية بأغصان مورقة جُلّبت من أجزاء أقلّ تضرراً من الغابة. وتمّ تدعيم جدار المخيم بالأغصان الأقوى التي استطاع القطط إحضارها، على الرّغم من أنّه لم يكن بإمكانهم فعل الكثير لاستبدال حاجز الخنشار السّميك الذي كان يحيط بالمخيم، بل سيتعين عليهم الانتظار حتّى تنمو الغابة مجدّداً.

سمع قلب النّار خشخشة خلف الحضانة. من خلال الجدران غير المكتملة، رأى فراءً أبيض مألوفاً. فنادى قائلاً: «بسّ الغمام!». خرج المبتدئ من خلف أجمة العليق، وفكّاه مليّثان بالأغصان التي كان ينسجها في جدران الحضانة. رفّ قلب النّار جفنيه وقد فرح برؤيته. في الواقع، لم يكن الهزّ الوحيد الذي لاحظ مدى الجهد الذي بذله بسّ الغمام خلال الأيّام الماضية لإصلاح المخيم. والأهمّ، أنّ التزام المبتدئ بالعشيرة لم يعد موضع شكوك. فتساءل قلب النّار عمّا إذا كان الأمر قد تطلّب حادثاً خطيراً بقدر الحريق لكي يكتشف بسّ الغمام المعنى الحقيقي للولاء. وقف الهزّ الشابّ أمامه الآن من دون أن يتكلّم، وكان فراؤه مسطّحاً وملطّخاً بالسّخام والطّين، وقد بدا على عينيه التوتر والإرهاق.

أمره قلب النّار بلطف: «اذهب واسترح، أنت بحاجة لذلك». أسقط بسّ الغمام كومة الأغصان مجيياً: «دعني أنهي هذه أولاً». «يمكنك إنهاؤها لاحقاً».

جادله بسّ الغمام قائلاً: «لكن لم يتبقّ لديّ سوى قليل من العمل». أصرّ عليه قائلاً: «إنّك تبدو مرهقاً، اذهب وخذ قسطاً من الراحة».

«حسناً يا قلب النار». استدار للذهاب، وألقى نظرة يائسة على السّنديانة المقطوعة التي كان يجلس عندها شمشوم مع فراء الكستناء وعوراء. ماء قائلاً: «يبدو وكر المسنين خالياً جداً».

ذكره قلب النار قائلاً: «أصبح كشكول والذّيل الأبر مع عشيرة النّجوم الآن، وسيراقبانك اللّيلة من الفراء الفضّي». اعتصرت أحشاءه موجة من الأسف عندما تذكّر أنّ نجمة الصّباح رفضت إجراء المراسم المعهودة لهزيّ عشيرتها الرّاحلين.

قالت له بمرارة: «لن أضعهما بين مخالب عشيرة النّجوم، فأجدادنا المحاربون لا يستحقّون صحبة قطط عشيرة الرّعد». فقام الرّعب الأبيض بتهديئة روع العشيرة من خلال نطق الكلمات التي من شأنها أن ترسل جمرة والذّيل الأبر بأمان إلى أصدقائهما القدامى في الفراء الفضّي، تماماً كما فعل مع كشكول في مخيم عشيرة النّهر.

أوما بسّ الغمام برأسه، لكنّه بدا غير مقتنع. وعرف قلب النار أن المبتدئ ما زال يجد صعوبة في التصديق أنّ أضواء الفراء الفضّي كانت أرواح أسلافهم المحاربين الذين يحرسون أراضي صيدهم القديمة. كرّر له قائلاً: «اذهب واسترح».

جرّ الهزّ الشابّ أكفّه إلى الجذع المتفخّم الذي كان المبتدئون يجتمعون عنده للأكل ونجاذب الألسنة. سارعت بسّ زاهية عبر الفسحة لتحية صديقها، فردّ لها بسّ الغمام التحية بلمسة أنف وديّة. غير أنّ جفني المبتدئ الأبيض كانا يغمضان بالفعل، وقاطع تحيته تهاؤب كبير. فاستلقى في مكانه، وأسند رأسه على الأرض مغمضاً عينيه المتعبتين. جثمت بسّ زاهية بجانبه وبدأت تعلق بلطف فراءه القذر. لدى مشاهدتهما، شعر قلب النار بالوحدة وهو يتذكّر الصّحبة التي تشاركها مع النمر الرمادي

في الماضي.

التفت مجدداً إلى وكر نجمة الصّباح. كان النمر الذّيال جالساً في الخارج، وأوماً له برأسه عندما مرّ بجانبه. توقّف قلب النّار عند المدخل. كانت الأشنة قد احترقت، واسودّت الصّخرة بفعل السّخام. فألقى تحيّة خافتة، ثمّ دلف إلى الداخل. من دون ستارة الأشنة، تدفّق الهواء والضوء إلى الكهف، الأمر الذي دفع نجمة الصّباح إلى سحب فراشها إلى الظلّ في الجزء الخلفي من وكرها المفتوح على تيارات الهواء.

جلست فراء الرّماد بجانب الزعيمة المتكوّرة، ودفعت إليها بكومة من الأعشاب. حثّتها قائلة: «ستشعرين بالتّحسن». ردّت نجمة الصّباح بحدّة ونظرها مثبت على الأرض الرّمليّة: «أنا بخير أساساً».

«سأتركها هنا إذاً، فربّما تتناولينها لاحقاً». وقفت فراء الرّماد ومشّت من دون اتّزان إلى مدخل الوكر. همس قلب النّار: «كيف حالها؟».

أجابت وهي تتجاوزه إلى الخارج: «عنيّدة». اقترب بحذر من الزعيمة المسنّة. أصبحت نجمة الصّباح أكثر غرابة بالنسبة إليه الآن، وهي حبيسة عالم الخوف والشكّ ليس حيال النمر الشّرس فحسب، بل وحيال أجدادهم المحاربين في عشيرة النّجوم. قال متردداً وهو يخفض رأسه: «نجمة الصّباح، بالنسبة إلى الاجتماع الليلة، هل قرّرت من سيذهب؟».

أجابت باشمئزاز: «الاجتماع؟ قرّرت أنت من ستأخذ، فأنا لست ذاهبة. لم يعد لديّ سبب لتكريم عشيرة النّجوم». بينما كانت تتحدّث، هبّت موجة من الرّماد من المدخل المفتوح، فقاطعت كلامها نوبةً سعال.

حدّق قلب النّار إليها باستياء، بينما هزّت التشنّجات جسدها الضّعيف. كانت نجمة الصّباح زعيمة العشيرة! وهي التي أخبرته عن عشيرة النّجوم والطريقة التي تراقب بها أرواح المحاربين الغابة. لذلك، لم يصدّق أن تنبذ المعتقدات التي أسّست حياتها بأكملها عليها. تلعثم قائلاً: «لـ ليس عليك تكريم عشيرة النّجوم، ولكن كوني هناك لتمثيل عشيرتك. فهي بحاجة إلى قوّتك الآن».

نظرت إليه نجمة الصّباح مطوّلاً، ثمّ همست قائلة: «لقد احتاج إليّ صغيري في الماضي، لكنني سلّمتها لعشيرة أخرى لتربيتها. ولماذا؟ لأنّ عشيرة النّجوم أخبرتني أنّ مصيراً آخر ينتظرني. أهذا هو؟ أن أهاجم من قبل الخونة؟ وأن أشاهد عشيرتي تموت من حولي؟ كانت عشيرة النّجوم مخطئة، فالأمر لم يكن يستحقّ».

شعر قلب النّار بالدّماء تتجمّد في عروقه، فاستدار وخرج من الوكر شاردّاً. حلّت عاصفة الرّمال محلّ النّمر الذّيال في الخارج. نظر بأمل إلى المحاربة البرتقالية الشاحبة، لكن من الواضح أنّها لم تغفر له كلامه القاسي، لأنّها ثبتت نظرها على أكفّها وتركته يمرّ من دون أن تتكلّم. كان قلب النّار يشعر بالاضطراب عندما رأى الرّعب الأبيض يهرول عائداً إلى المخيم مع دورية علوّ الشّمس. أشار إلى المحارب الأبيض بذيله، فاتّجه نحوه بينما توزّعت بقيّة الدورية بحثاً عن الطّعام ومكان للرّاحة.

ماء قلب النّار عندما وصل إليه الرّعب الأبيض. «نجمة الصّباح ليست بحال تسمح لها بحضور الاجتماع».

هزّ المحارب المسنّ رأسه، كما لو أنّه لم يفاجأ بالخبر. قال بهدوء: «كان ثمة وقت لم يكن يثنيها فيه شيء عن حضور الاجتماع».

أجاب قلب النار: «مع ذلك، علينا إرسال مجموعة. فلا بدّ من تحذير العشائر الأخرى بشأن النمر الشرس، ذلك أنّ عصيته الشريفة تشكّل تهديداً لجميع العشائر».

أوما الرّعب الأبيض برأسه موافقاً، ثم اقترح قائلاً: «أعتقد أنّه بإمكاننا القول إنّ نجمة الصّباح مريضة، ولكن قد يكون من الخطر أن نعلن أنّ زعيمتنا ضعيفة».

أشار قلب النار: «وسيكون من الأسوأ عدم الدّهاب على الإطلاق. فالعشائر الأخرى ستعرف عن الحريق. لذلك، علينا أن نظهر أقوى قدر المستطاع».

وافقه الرّعب الأبيض: «من الواضح أنّ عشيرة الرّياح لا تزال تعادينا».

اعترف قلب النار قائلاً: «ولم يساعد قتالنا لهم على أرضهم، أنا وعاصفة الرّمال وبسّ الغمام، وفوزنا عليهم. كما أنّه علينا التفكير في عشيرة النّهر».

نظر إليه الرّعب الأبيض بفضول وقال: «ولكنّهم قدّموا لنا المأوى بعد الحريق».

أجاب: «أعرف، ولكنني أتساءل ما إذا كانت فراء الفهد ستطلب شيئاً في المقابل».

«ليس لدينا ما نعطيّه».

أجاب قلب النار: «لدينا الصّخور المشمسة. فعشيرة النّهر لم تخف يوماً اهتمامها بهذا الجزء من الغابة، ونحن الآن بحاجة إلى كلّ جزء من أراضيها للصيد».

ماء الرّعب الأبيض قائلاً: «على الأقلّ، عشيرة الظلال أضعفها

المرض، وهي لن تهاجمنا لفترة من الوقت».

وافقه قائلاً: «نعم»، وشعر بالذنب لاضطرارهم إلى الاستفادة من معاناة عشيرة أخرى. «في الواقع، أخبار النمر الشرس قد تكون في صالحنا». حدّق إليه الرّعب الأبيض بشيء من الحيرة، فتابع يقول: «إذا تمكّنتُ من إقناع العشائر الأخرى بأنه يشكّل تهديداً لهم هم أيضاً، فقد يبدلون كلّ طاقتهم لحماية حدودهم».

أوما الرّعب الأبيض برأسه ببطء. «أفضل ما يمكننا أن نأمل به حالياً هو إبعادهم عن أراضينا بينما نستعيد قوتنا. أنت محقّ يا قلب النّار، علينا الذهاب إلى الاجتماع، حتّى لو لم تتمكّن نجمة الصّباح من الحضور». التقى نظر عينيّه الزرقاوين بنظر قلب النّار، وعلم أنّهما يفكران في الشيء نفسه. فنجمة الصّباح قادرة على الذهاب لو أرادت ذلك، لكنّها اختارت العكس.

مع غروب الشّمس، بدأ القطط بتناول الفرائس الطازجة من الكومة الضّئيلة التي جمعوها. أخذ قلب النّار فأراً صغيراً، حمّله إلى أجمة القراص، والتهمه ببضع لقمات نهمة. لم تكن بطون قطط العشيرة قد امتلأت منذ أيّام. الفرائس تعود، ولكن ببطء، وعلم قلب النّار أنّه عليهم توخّي الحذر بشأن الكميّة التي يصطادونها. فعلى الغابة أن تحظى بفرصة تجديد نفسها قبل أن يتمكّنوا من إشباع بطونهم مجدداً.

ما إن انتهوا من وجبتهم الضّئيلة، حتّى وقف قلب النّار ومشى عبر الفسحة. شعر بأعين العشيرة تتبعه عندما قفز على الصّخرة العالية. لم يكن ثمة حاجة لمناداتهم، إذ اجتمعوا في الأسفل بنظرات متسائلة في ضوء المساء الخافت.

أعلن قائلاً: «لن تحضر نجمة الصّباح هذا الاجتماع».

علا مواء القلق بين القطط، ورأى قلب النّار الرّعب الأبيض يمرّ بينهم لتهدئتهم وطمأنتهم. تُرى، إلى أيّ حدّ خَمِنَت العشيرة الحالة الذهنية التي تمرّ بها زعيمتهم؟ في مخيمّ عشيرة النّهر، اتحدوا لحماية نجمة الصّباح من الأعين المتطفّلة. أمّا هنا في مخيمّهم، فقد جعلهم ضعفها أكثر خوفاً وهشاشة.

جلس صغير النّمر الشّرس المخطّط خارج الحضانة، يحدّق إلى الصّخرة العالية بعينين كبيرتين وفضوليتين. للحظة، ترك قلب النّار نفسه يُفتن بنظرته الذهبية، وبدأت صور النّمر الشّرس تلوح في عقله. «هل هذا يعني أنّ عشيرة الرّعد لن تحضر الاجتماع؟» أيقظه صوت النّمر الأسود وهو يشقّ طريقه بين القطط المحتشدة. «ففي النّهاية، ما قيمة العشيرة من دون زعيم؟».

هل تخيل قلب النّار بريق التشاؤم في عينيّ النّمر الأسود؟ ماء مخاطباً العشيرة بأكملها: «ستذهب عشيرة الرّعد إلى الأشجار الأربع اللّيلة. علينا أن نُظهر للعشائر الأخرى أنّنا أقوىاء، على الرّغم من الحريق». أو مأت الرّؤوس موافقة. حرّك المبتدئون قوائمهم ونظروا بشغف إلى بعضهم البعض، وكانوا أصغر من أن يفهموا خطورة حضور اجتماع من دون زعيمة، غير أنّ احتمال اختيارهم للذهاب بثّ الحماسة في نفوسهم.

تابع قلب النّار: «يجب ألاّ نُظهر أيّ ضعف، وذلك لمصلحة نجمة الصّباح والعشيرة بأكملها. تذكّروا، نحن عشيرة الرّعد!». علا صوته وهو ينطق بالكلمات الأخيرة، وفوجئ بالقناعة النّارية التي ملأت قلبه، بينما استجاب قطط العشيرة بتقويس ظهورهم، ولحق فرائهم المغطّى بالرّماد،

وتمليس شواربهم المحروقة.

«سأصطحب النمر الأسود، والفأرة السمراء، وعاصفة الزمال،
والزعب الأبيض، وبسّ أرقش، وبسّ الغمام».

سأله النمر الأسود: «وهل سيكون عدد بقيّة القطط لحماية
المخيّم؟».

أضاف النمر الذّيال: «سيعرف النمر الشرس أنّه ثمة اجتماع، ماذا
لو استغلّ الفرصة للهجوم؟».

أصرّ قلب النار: «لا يمكننا أن نترك خلفنا عدداً من القطط أكبر من
المعتاد، لأننا إذا بدونا ضعفاء في الاجتماع، فإننا نخاطر بدعوة جميع
العشائر لمهاجمتنا».

وافقته الفأرة السمراء قائلة: «إنّه على حقّ، لا يمكننا أن نكشف
ضعفنا للآخرين!».

أضافت غصن الصّفصاف: «عشيرة النّهر تعرف أساساً أنّ الحريق
دمر مخيّمنا، لذلك علينا أن نظهر أقوىاء كسالف عهدنا».

سأل قلب النار: «هل اتّفقنا إذا؟ سيقوم كلّ من النمر الذّيال والفراء
الأغبر وبياض الثلج وعين الزمرد والفراء الأشقر بحراسة المخيّم. أيّها
المسنّون والأمّهات، ستكونون بأمان معهم، وسنعود بأسرع ما يمكن».
أصغى إلى الهمهمات، وراقب الأعين التي تنظر إليه. وبموجة من
الارتياح، رأى الرؤوس تومئ موافقة، فمأء قائلاً: «هذا جيّد»، ثمّ هبط
عن الصّخرة.

كان المحاربون والمبتدئون الذين اختارهم لمرافقته يدورون عند
مدخل المخيّم، ويحرّكون أذيالهم بصبر نافذ. وكان بينهم هرّ ذو فراء
أبيض طويل ومألوف. سيكون هذا الاجتماع الأوّل لبسّ الغمام، وكان

قلب النار يتطلع إلى هذه اللحظة منذ وصول البسبوس للمرة الأولى إلى العشيرة. فهو ما زال يتذكر الاجتماع الأول الذي حضره، وهو يجري على المنحدر إلى الأشجار الأربع، محاطاً بالمحاربين الأقوياء، ولم يسعه إلا الشعور بخيبة أمل وهو ينظر حوله إلى القطط الجائعين والملطّخين بالسّخام الذين سيتعين على بسّ الغمام مرافقتهم اليوم. مع ذلك، شعر قلب النار بالحماسة وطاقتهم المكبوتة التي لا تقلّ قوّة عن السابق. كانت عاصفة الرّمال تضرب الأرض بكفيها الأماميتين، بينما لمعت عينا الفأرة السّمراء في الظلام وهو يسرع إليهم.

ماء قائلاً: «أيها النّمر الذّيال»، وتوقّف للحظة بجانب المحارب البنيّ. ستكون كبير المحاربين هنا، احرس العشيرة جيّداً». خفض النّمر الذّيال رأسه لقلب النار مجيئاً: «سيكونون بأمان، أعدك».

تحوّل الرضا الذي توهّج في عيني قلب النار أمام إيماءة الاحترام من جانب النّمر الذّيال إلى امتعاض بسبب النظرة الساخرة التي ألقتها عليه النّمر الأسود من مدخل المخيم. بدا له كما لو أنّ المحارب يستطيع أن يرى من خلال ثقته السطحيّة عدم اليقين الذي يكمن تحتها. التقت نظرات قلب النار بنظرة عاصفة الرّمال عندما مرّ بجانبها، وكانت تحدّق إليه بإصرار. إن كانت نجمة الصّباح قد عيّنتك نائباً لها، فهي تتوقّع منك أن تعرف ما عليك أن تفعل! تلك الكلمات المتحدّية التي لسعته كلدغة أفعى منحته القوّة فجأة، فألقى على النّمر الأسود نظرة تحدّ وهو يتقدّم القطط إلى خارج المخيم.

اندفعوا بصمت عبر الغابة، وارتفعت الأشجار المحترقة لتلامس السماء المظلمة مثل مخالب حادة. أحسّ قلب النار بأكفّه تغوص في

الزّماذ الرّطب والرّزج، لكنّ الرّواء كان مفعماً بالأمل الذي بثّه رائحة
البراعم الرّخضاء وهي تنبت من تحت الرّماذ.

نظر إلى الرّواء. كان بسّ الرّغام يواكبهم، وعاصفة الرمال تتقدّم،
وتقترب إلى أن أصبحت تجري بجانبه وتواكب سرعته.

ماءت لاهثة: «كان خطابك جيّداً على الصّخرة العالفة».

أجاب: «شكراً». ابتعد عنها وهم يتسلّقون تلة شديدة الانحدار، لكنّ
عاصفة الرّمال لحقت به عندما وصلوا إلى القمة.

ماءت بصوت خافت: «أنا... أنا آسفة على ما قلته عن نجمة
الصّباح، فقد كنت قلقة وحسب. يبدو المخيم بحالة عظيمة نظراً...»
أتمّ جملة باسّياء: «نظراً لكوني نائباً؟».

«نظراً للأضرار البالغة التي تعرّض لها». ارتعشت أذنا قلب النّار
بينما تابعت قائلة: «لا بدّ أن نجمة الصّباح فخورة بك»، فانقبض وقد
شكّ في أن تكون نجمة الصّباح قد لاحظت ذلك، لكنّه شعر بالامتنان
لكلام عاصفة الرّمال.

ماء مجدّداً: «شكراً لك». التفت وهما يركضان لهبوط الجانب
الآخر من التلّ، ونظر إلى عيني المحاربة الرّمديتين الدّافئتين ثمّ قال:
«لقد اشتقت إليك يا عاصفة الرّمال»

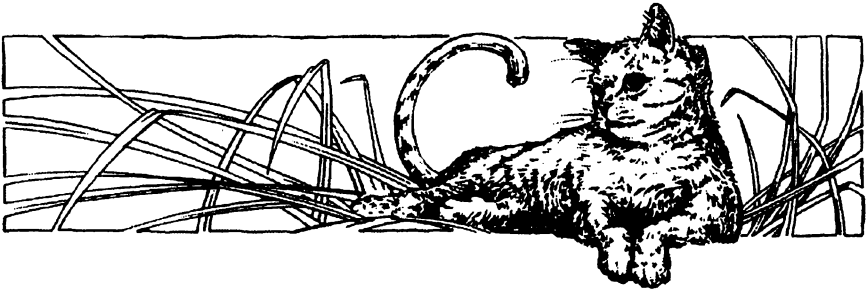
قاطعه صوت أكفّ قوّة تضرب الأرض خلفهما، ثمّ زمجر النّمر
الأسود قائلاً: «بمّ ستخبر العشائر الأخرى إذا؟».

قبل أن يتمكّن قلب النّار من الإجابة، لاحت في الأفق شجرة
أسقطتها العاصفة على الأرض. فقفز في الرّواء، لكنّ غصن الشجرة
علق بكفّه، وهبط متعثراً بشكل أخرق. أسرع بقية القطط متجاوزين إيّاه،
ولكنهم أبطأوا من جريهم تلقائياً عندما تأخّر قلب النّار.

سأله النمر الأسود عندما لحق به قلب النار: «هل أنت بخير؟»، ولمعت عينا المحارب المخطّط في ضوء القمر. أجاب قلب النار باقتضاب، محاولاً ألا يكشف الألم الذي يشعر به في كفّه: «أجل، أنا بخير».

كان لا يزال يتألم عندما وصلوا إلى قمّة المنحدر المؤدّي إلى الأشجار الأربع. فتوقّف قلب النار لالتقاط أنفاسه واستجماع أفكاره، قبل أن ينضمّوا إلى العشائر الأخرى. لم تكن النيران قد بلغت الوادي في الأسفل. هناك، ارتفعت أشجار السنديان الأربع سالمة في السماء المرصّعة بالنجوم.

نظر قلب النار إلى القطط الذين ينتظرون بجانبه، وهم يهزّون أذياهم وآذانهم بترقب. من الواضح أنهم وثقوا به ليحلّ محلّ نجمة الصّباح في الاجتماع ويقنع العشائر الأخرى بأنّ عشيرة الرّعد لم تُضعفها المأساة. وكان عليه أن يُثبت أنّه يستحقّ تلك الثقة. حرّك ذيله مشيراً إليهم، كما رأى نجمة الصّباح تفعل عدّة مرّات من قبل، ثمّ هبط نحو الصّخرة العظيمة.



الفصل 30



كان هواء الفسحة مثقلاً برائحة عشيرة الرياح وعشيرة النهر. شعر قلب النار برعشة قلق. ففي غضون لحظات قليلة، سيتعين عليه الوقوف على الصخرة العظيمة ومخاطبة هؤلاء القطط. لم يكن ثمة أي أثر لعشيرة الظلال. هل استبد بهم المرض لدرجة ألا يتمكنوا من المشاركة في الاجتماع؟ تذكر بحسرة الطوق الأبيض، الأمر الذي جعله يفكر بالنمر الشرس، وبالرعب الذي ظهر في عيني المحارب الشاب عندما لاح الهز الضخم على حافة درب الرعد. فجأة، شعر بوخز في أكفّه لتسلق الصخرة العظيمة وتحذير العشائر الأخرى من وجود المحارب الداكن في الغابة.

«قلب النار!» قفز النمر الوحيد إلى جانب قلب النار، وفاجأته الخرخرة الودية التي صدرت عن الهز. في المرة الأخيرة التي رأى فيها هز عشيرة الرياح، كان الكف الأثرب يصيح بغضب ويختفي في أجمة الخلنج. لكن من الواضح أن النمر الوحيد لم ينس كيف أعاد قلب النار عشيرته من المنفى. فقد تقرب المحاربان من بعضهما البعض في تلك الرحلة، وما زالا يقدّران كلاهما الرّابط الذي نشأ بينهما.

حيًا قلب النار الهزّ البني المخطّط قائلاً: «مرحباً أيها النمر الوحيد،

من الأفضل ألا تدع الكف الأترب يراك وأنت تتحدّث معي، سواء بهدنة أو من غير هدنة. فنحن لم نفترق على اتفاق في لقائنا الأخير».

أجاب النمر الوحيد، وهو يتنقل باضطراب من كف إلى أخرى: «الكف الأترب يفتخر بالدفاع عن أرضه». من الواضح أنه سمع عن الهجومين على قطط عشيرة الرعد في أراضي عشيرة الرياح.

أقرّ قلب النار: «ربّما، ولكن هذا ليس عذراً لمنع نجمة الصّباح من الوصول إلى الأحجار العالية». وجد نفسه يتمنّى لو استطاعت نجمة الصّباح مشاركة عشيرة النجوم عند حجر القمر ذلك اليوم. ربّما كانت الأمور ستختلف الآن لو حصلت على تأكيد بأن أجدادها المحاربين لم ينقلبوا ضدها.

«لم يفرح النجم المذنّب عندما سمع عن ذلك. فحتّى لو خبأتم الذّيل النّمرو، هذا ليس عذراً»

قاطعه قلب النار: «كان الذّيل النّمرو ميتاً في ذلك الوقت»، غير أنّه ندم على نبرته عندما رأى أذن النمر الوحيد تهتزّ بانزعاج، فماء بلطف أكبر: «أنا آسف أيّها النمر الوحيد. تسرّني رؤيتك مجدّداً، كيف حالك؟». أجاب وقد بدا عليه الارتياح: «بخير. أنا آسف بشأن الحريق، أعرف كم من الصّعب أن تترك العشيرة ديارها». التقت نظراته المتعاطفة بنظرات قلب النار، فحاول هذا الأخير أن يبدو واثقاً وهو يجيب: «لقد عدنا إلى مخيمنا وأعدنا بناءه بأفضل ما يمكن. ولن يمضي وقت طويل حتّى تتعافى الغابة مجدّداً».

ماء النمر الوحيد: «أنا سعيد لسماع ذلك، فكما تعلم، يبدو الأمر الآن كما لو أنّنا لم نبتعد يوماً عن مخيمنا. لقد ولد عدد كبير من البسايس في فصل الحرّ هذا، وصغير زهرة الصّباح موجود هنا كمبتدئ

— إنه يحضر اجتماعه الأول». تذكر قلب النار كتلة الفراء الصغيرة التي ساعد في حملها تحت المطر، من أراضي ذوي الساقين إلى ديار عشيرة الرياح. تبع نظر النمر الوحيد عبر الفسحة إلى أن رأى هراً بنياً شاباً. مع أن المبتدئ كان صغير الحجم مثل بقية أفراد عشيرته، إلا أن عضلاته بدت الآن قوية وبارزة تحت فرائه القصير والسّميك.

لاحظ قلب النار النمر الوحيد يخفض رأسه فجأة، فالتفت ليرى النجم المذنّب يقترب منهما. نظر زعيم عشيرة الرياح إلى قلب النار بعينين مزمومتين وقال: «لقد رأينا الكثير منك مؤخراً يا قلب النار. لمجرّد أنّك أعدتنا إلى ديارنا ذات مرّة، فهذا لا يمنحك حرّية التجوّل في أراضينا».

أجاب قلب النار: «لقد تمّ تحذيري بذلك». أجبر نفسه على التزام الهدوء، ولم يدع استياءه من المعاملة التي تلقتها نجمة الصّباح يظهر في نبرة صوته. ففي النهاية، عُقد الاجتماع بموجب هدنة، وهذا محارب تعلّم احترامه في رحلتها معاً عبر أراضي ذوي الساقين. غير أن قلب النار تحدّى نظرة الزعيم الأسود والأبيض وماء بحزم: «مع ذلك، عليّ أن أضع احتياجات عشيرتي في المقام الأول».

لمعت عينا النجم المذنّب وهو ينظر إليه، ثمّ أوماً برأسه بخفة وقال: «أنت تتحدّث مثل محارب حقيقي. وبعد أن سافرتُ معك، لم أفاجأ عندما عيّنتك نجمة الصّباح نائباً لها». نظر زعيم عشيرة الرياح إلى أرجاء الفسحة وأضاف: «ثمة من اعتقد أنّ هراً شاباً مثلك لن يتحمّل مسؤولية كبيرة كهذه، غير أنني لم أكن من بينهم».

فوجئ قلب النار، فهو لم يتوقّع ثناء كهذا من زعيم عشيرة الرياح. فكتّم خرخرة سعيدة، وأوماً برأسه شاكراً.

سأله النجم المذنب: «أين نجمة الصّباح؟ أنا لا أراها بين هرركم». كان صوته عادياً، لكنّ عينيه كشفتاً عن فضول شديد. أجاب قلب النّار بخفّة: «إنّها ليست بحال يسمح لها بالسفر». «هل أصيبت في الحريق؟». ماء متميّناً من كلّ قلبه أن يكون كلامه حقيقة: «ليس بشيء لن تتعافى منه».

بجانبه، نظر النمر الوحيد إلى الأعلى بحدّة. تبع قلب النّار نظره إلى المنحدر من الجانب الآخر من الوادي، فرأى ثلاثة قطط من عشيرة الظلال تهوّل إلى الفسحة، على رأسهم شرشور. فشعر بشيء من الارتياح وهو يتعرّف على أحد المحاربين اللّذين يقفان خلف الهزّ المداوي الرّمادي والأبيض. كان النّمّر الصّغير، وقد تعافى بوضوح من المرض بفضل فراء الرّماد.

تراجع قطط العشائر الأخرى بعيداً عن محاربي عشيرة الظلال عندما توقّفوا أمام الصّخرة العظيمة. من الواضح أنّ أخبار مرضهم انتشرت في الغابة.

فماء شرشور وهو يلهث، كما لو أنّه قرأ أفكارهم: «لا تخشوا شيئاً، فعشيرة الظلال أصبحت خالية من المرض. لقد تمّ إرسال مسبقاً لأطلب منكم الانتظار قبل بدء الاجتماع، فزعيم عشيرة الظلال في طريقه إلى هنا».

سأله النجم المذنب الواقف بجانب قلب النّار: «وما الذي آخر نجم الليل؟».

أجاب شرشور من دون مقدّمات: «نجم الليل قد مات». انتشرت همهمات الصّدمة بين بقية القطط مثل النسيم عبر الأشجار،

ورف قلب النار جفنيه. كيف يمكن لزعيم عشيرة الظلال أن يموت؟ فقد تلقى أرواحه التسعة مؤخراً. ما هذا المرض الرهيب؟ لا عجب في أن النمر الصغير والطوق الأبيض كانا خائفين جداً من العودة إلى مخيمهما. قال الزعب الأبيض مشيراً إلى نائب عشيرة الظلال: «وهل سيحضر الاجتماع الفراء الأفحم بدلاً منه؟».

نظر شرشور إلى أكفه مجيباً: «كان الفراء الأفحم من أوائل الذين ماتوا بالمرض».

سأله النجم الأعوج الذي خرج من الظل من الجانب الآخر من الصخرة العظيمة: «ومن هو زعيمكم الجديد؟».

نظر شرشور إلى زعيم عشيرة النهر ووعدته قائلاً: «سترون بأنفسكم قريباً، فهو على وشك الوصول».

«المعذرة»، تمت قلب النار للنجم المذنب والنمر الوحيد. «ثمة أمر عليّ قوله لشرشور».

ذهب قلب النار إلى حيث وقف الهزّ المداوي لعشيرة الظلال، محاطاً بالمحاريبين والمبتدئين المتلهفين لمعرفة هوية زعيم عشيرة الظلال الجديد. تساءل ما سيكون عليه ردّ فعل الهزّ العجوز عند سماعه بوفاة جمرة. كان شرشور قد رأى كثيراً من حالات الوفاة مؤخراً، بحيث قد لا يتأثر كثيراً بالخبر بعد الآن، لكنّ قلب النار شعر أنّ عليه إخباره على انفراد، قبل أن يُصدر إعلاناً من على الصخرة العظيمة. ففي النهاية، جمرة هي التي درّبت شرشور عندما كانت الهرة المداوية لعشيرة الظلال، ولا بدّ أنّ العلاقة بينهما كانت قويّة في يوم من الأيام، ولو لفترة قصيرة، قبل أن يطرد الذيل النمرود جمرة من عشيرتها.

أشار قلب النار بذيله للهزّ المداوي، وبدا على هذا الأخير الارتياح

للابتعاد عن دائرة الوجوه المستفسرة. تبع قلب النار إلى بقعة أكثر هدوءاً تحت إحدى أشجار السنديان، ثم سأله: «ما الأمر؟». ماء قلب النار بلطف وهو يشعر بشوكة الحزن في قلبه: «لقد ماتت جمرة».

طغى الحزن على عيني شرشور. أخفض الهز الأبيض والزماذي رأسه، بينما تابع قلب النار: «ماتت وهي تحاول إنقاذ أحد أبناء العشيرة من الحريق. سوف تكرم عشيرة النجوم شجاعتها». لم يجبه شرشور، بل راح يهز رأسه ببطء يميناً ويساراً. شعر قلب النار بغصة في حلقه، لكنه لا يستطيع أن يسمح للحزن بالسيطرة عليه هنا. فلامس رأس الهز بأنفه وابتعد مسرعاً.

بدأ بقية القطط يتنقلون بقلق بين بعضهم البعض، ومواؤهم يزداد ارتفاعاً. سمع قلب النار محارب عشيرة النهر يتمتم للهز الواقف بجانبه: «لا يمكننا الانتظار أكثر، فالقمر سيغيب قريباً!».

وافقته الفأرة السمراء قائلة: «إذا كان هذا الزعيم الجديد سيتأخر، فتلك مشكلته». عرف قلب النار السبب الحقيقي وراء حرصها على مواصلة الاجتماع والعودة إلى المخيم. فمع وجود النمر الشرس طليقاً في الغابة، لم تكن أي من العشائر في مأمن.

رأى وميضاً من الفراء الأبيض في وسط الفسحة بينما كان النجم المذنب يقفز على الصخرة العظيمة. من الواضح أنه قرر بدء الاجتماع من دون زعيم عشيرة الظلال. بدأ النجم الأعوج يتوجه إلى الصخرة، فاستعد قلب النار لاجتماعه الأول على رأس عشيرته، وكان يائساً لتحذير القطط الأخرى من التهديد الكامن في الغابة.

«حظاً سعيداً». شعر قلب النار بأنفاس عاصفة الزمال على فرائه،

فالتفت ولا مس خذها الدافع بلطف، مدركاً أنّ شجارهما قد انتهى. بعد ذلك، شقّ طريقه بين بقيّة القطط نحو الصخرة العظيمة. أوقفه مواء عالٍ من المنحدر خلفه. «لقد وصل!».

استدار قلب النّار، ورأى النّمر الأسود يلتفت بجانبه. غير أنّ مجال رؤيتهما حُجب من قبل القطط الآخرين الذين راحوا يحدّقون ويقفون على قوائمهم الخلفية لإلقاء نظرة على زعيم عشيرة الظلال الجديد وهو يمرّ بين الحشد. فجأة، انتصبت أذنا النّمر الأسود من شدة المفاجأة. كان المحارب المخطّط يحدّق إلى الصخرة العظيمة، وعيناه تتألّان بحماسة مكبوتة بالكاد. فما كان من قلب النّار إلّا أن لوى رأسه محاولاً أن يرى السبب الذي أثار ردّ الفعل القويّ هذا لدى ابن عشيرته.

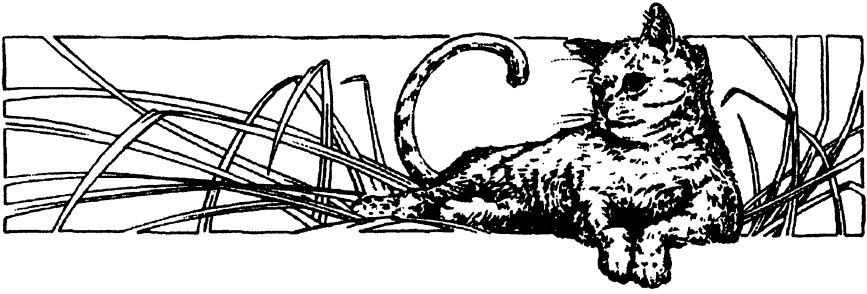
في ضوء القمر البارد، رأى قلب النّار الكتفين القويّتين والرّأس العريض للهزّ الذي قفز على الصخرة بجانب النّجم المذنّب. بدا الزعيم الآخر صغير الحجم وضعيفاً بجانب هذا الهزّ الضخم. وبرعشة باردة من شدة الرّهبة، أدرك قلب النّار أنّ الزعيم الجديد لعشيرة الظلال لم يكن سوى النّمر الشّرس.



telegram @
yasmeenbook

إيرين هانتر

تستلهم إيرين هانتر مؤلفاتها من حبّها للقطط
وانبهارها بوحشيّة العالم الطبيعي. بالإضافة إلى احترامها
الكبير للطبيعة بجميع أشكالها، تستمتع إيرين بإيجاد
تفسيرات أسطورية غنية لسلوك الحيوان. وهي أيضاً
مؤلفة سلسلة Seekers and Survivors الأكثر مبيعاً.



ملخص:

تمّت هزيمة عدوّ قلب النّار الخائن، النّمر الشّرس ونُفي من عشيرة الرّعد. غير أنّ قلب النّار ظلّ يشعر أنّ الهزّ الشرس يتربّص في الغابة، بانتظار فرصته للهجوم.

ليست هذه المشكلة الوحيدة التي تواجه المحارب الشاب في أشهر الصيف الملتهبة تلك، وهو يكافح مع النبوءات المشؤومة، ومبتدئ يخفي سرّاً صادماً، وزعيمة عشيرة محطّمة لم تعد تشبه بشيء الزعيمة التي عرفها.

في تلك الأثناء، تلهب الحرارة الغابة... ويستعدّ الجميع لمواجهة العاصفة القادمة ... الأعمار +10.



telegram @
yasmeenbook

telegram @yasmeenbook